الإبحار
إلى أعماق التراث

عرض مجموعة من الكتب النادرة

تأليف

محمد خير رمضان يوسف

هذه المادة حصرية لـ
إدارة الثقافة الإسلامية
2013
الريادة عالمياً في العمل الإسلامي

يهدى ولا يباع

الإبحار
إلى أعماق التراث

عرض مجموعة من الكتب النادرة

محمد خير رمضان يوسف

إهـداء

إلى آخر عنقود أسرة الخير

شقيقي الحبيب إدريس

فهرس المحتـــويات

الموضوع	الصفحة
إهداء	٣
فهرس المحتويات	٥
مقدمة	٩
الأجوبة المسكتة، لابن أبي عون	٢٩
أحسن ما سمعت، للثعالبي	٤٥
أخبار الحمقى والمغفَّلين، لابن الجوزي	٥٥
أخبار وحكايات، للغسّاني	٨١
أدب الندماء ولطائف الظرفاء، لكُشاجِم	٨٩
أسرارُ الحكماء، لياقوت المستعصمي	٩٥
بلاغات النساء، لابن طيفور	١٠٩
تحسين القبيح وتقبيح الحسن، للثعالبي	١٢٧
حدائق الآداب، لابن شاه مردان	١٣٥
رائق التحلية في فائق التورية، لابن زرقالة	١٤٧
الشرح الجَلي على بيتَي المَوْصلي، للبربير	١٥٣
الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، للسيوطي ..	١٧٧
صناعةُ الكُتّاب، لأبي جعفر النحّاس	١٨٣

العقد الفريد للملك السعيد، لأبي سالم النصيبي ١٩٩
فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، لابن عربشاه ٢١١
القول النبيل بذكر التطفيل، للأقفهسي ٢٢١
كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار، لابن غانم ٢٣٥
مجالس ثعلب، لأبي العباس ثعلب ٢٤٣
محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب
الأصبهاني ٢٦١
المختار من نوادر الأخبار، للمقَّري ٣٠٣
مُعيد النِّعم ومُبيد النِّقم، للسبكي ٣٢٣
المنتقى من أخبار الأصمعي، لضياء الدين المقدسي ٣٣٣
....

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

هل خطرَ لك خاطر في يوم من الأيام، أن تقومَ بجمع مناظرات ومجادلات وحوارات، بينها أجوبة مُسكتة، أفحمَ بها رجلٌ خصيمه، أو قالها امرؤ في مناسبة فلم ترَ لها ندّاً، أو وعظَ بها واعظٌ فكان كلاماً جامعاً، طأطأ لها المستمعون رؤوسهم اعترافاً بإطباق الجواب؟ مثلما قال رجل لعمر بن الخطاب: أَهْلَكَنا النوم، فقال له: بل أهلكتكم اليقظة!

ومثلما قال رجل لسلمان الفارسي: إنني لا أستطيع قيام الليل، فقال له: فلا تعجز بالنهار!

ومثلما قيل لمعلِّم: لِمَ تركتَ تأديب ولد فلان؟ فقال: لأنه سريع التعلُّم!!

هذا ما قام به كاتب من رجال القرن الرابع الهجري، يدعى ابن أبي عون الكاتب، فأودع في كتابه "الأجوبة المُسكتة" طائفة نادرة من الأجوبة البليغة، والحِكَم الشرعية، وأقوال الصوفية، وأجوبة النساء، وأصحاب الظَّرَف والهزل...

وإذا لم تطاوعك قُواك لجمع مثل تلك الجوابات، فهل تفكر في تدوين "**أحسن ما سمعت**" في حياتك الثقافية والعلمية؟ من آداب سلوكية، وأشعار حكمية، ومناسبات إخوانية، ومُلح

فكهية، وجواهر أدبية، تكون حصيلةَ عُمر، فيها ما يفيد ويشوّق؟

لقد قام أديب من القرن الخامس الهجري، هو العلّامة الثعالبي، بجزءٍ من هذا العمل، حيث انتقى في كتابه أحسن ما سمعه من أشعار في موضوعات متعددة، رتَّبها على اثنين وعشرين باباً، وقام غيره بمثل هذا العمل في مجالات أخرى، بعضها عامة، وبعضها خاصَّة، وبعضها قاصرة، وبعضها ناضجة.. والباب مفتوح لمن أراد ولوجه.

ومن أحسن ما أورده المؤلف في الصُّبح قول بعضهم:

ولمّا رأيتُ الصبحَ قد سلَّ سيفهُ ... وولَّى انهزاماً ليلهُ وكواكبهْ
ولاحَ احمرارٌ قلتُ قد ذُبِحَ الدُّجى ... وهذا دمٌ قد ضمَّخَ الليلَ ساكبهْ

- ولعلك تسأل وتقول: ما الفائدة من جمع أخبار مثل "**أخبار الحمقى والمغفَّلين**"؟

وقد لا يخطر لك جواب حاضر! لكن الإمام ابن الجوزي يجيبك بداهة ويقول:

- إن العاقل إذا سمع أخبارهم عرف قدر ما وُهب له مما حُرموه، فحثَّه ذلك على الشكر.

- وإن ذكر المغفَّلين يحثُّ المتيقِّظ على اتِّقاء الغفلة، إذا لم تكن الغفلة مجبولةً في طباعه.
- والثالث أن يروِّح الإنسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المبخوسين حظوظاً، فإن النفس قد تملُّ من الدأب في الجدّ، وترتاح إلى بعض المباح من اللهو.. ومازال العلماء الأفاضل يُعجبهم المُلَح ويهشُّون لها، لأنها تجمُّ النفس، وتُريح القلب من كدِّ الفكر.

وعندما قيل لبعض المغفَّلين: حدِّثنا عن ابن عمر، قال: كان يحفُّ شاربه حتى يبدو بياضُ إبطيه!

ويغضب أحدهم على امرأته ويقول لها: أنا الذي إذا رأيت المرأة تأتي بقبيح أهينها وأهين من يهينها!

ورُئي أحدهم وهو يدغدغ نفسه، فسُئل عن ذلك: فقال: لبستُ عمامةً جديدة فأردت أن أضحكَ قليلاً!

- وكتاب "**أخبار وحكايات**" هو كما يُفهم من عنوانه.. طائفة من الأخبار والحكايات المسندة الهادفة، الدينية منها والتاريخية. وتعود أهميتها إلى كون راويها من رجال القرن الثالث وأوائل الرابع الهجري، حيث صارت مروياته هذه مصدراً لكثير من رواة الأخبار وأصحاب الزهديات.

والمؤلف محمد بن الفيض الغسَّاني، صاحب حديث ومعرفة، وهو من دمشق، عُمِّر دهراً!

ومما ورد فيه نظمٌ مؤثِّر لأحمد بن صاعد، فأنشد لنفسه:

أقلِّب طرفي في البلادِ فلا أرى سوى مُلْك مولاي لدى السهل والوعرِ
أراعي سوادَ الليل أُنْساً بسيِّدي وشوقاً إليه غير مُستكرَه الصبرِ
ولكن سروراً دائماً وتعرُّضاً وقرعاً لباب الربِّ ذي العزِّ والقَدْرِ

● ولا شكَّ أنك سمعتَ بشيء اسمه "كُشاجِم"! لكن معناه يكونُ غائباً عنك إذا لم تكن من الغائصين في أعماق التراث، الذين يبحثون في بطون الأصداف عن اللآلئ والدرر، ويعجبهم منها الأشكال النادرة الغريبة!

إنه لقب أديب وشاعر متفنِّن، من الرملة، بفلسطين الحبيبة السليبة، اسمه "محمود بن الحسين" ت ٣٦٠هـ.

ولقبه هذا منحوت، فيما يقال من علوم كان يتقنها: الكاف للكتابة، والشين للشعر، والألف للإنشاء، والجيم للجدل، والميم للمنطق.. وتعلَّمَ الطبَّ، فزيد في لقبه طاء فقيل: "طكشاجم" ولم يشتهر به!

وكتابه المعروض هنا بعنوان: "**أدب الندماء ولطائف الظرفاء**" الذي يُعنى بآداب الصحبة، ويركز على ما ينبغي أن

يتمتع به من يجالس أهل المُلك والشرف والسؤدد في مواقف مختلفة. وليس كل ما فيه نافع، بل إن فيه من الغثِّ الكثير.

ومما جاء فيه أن رجلاً كان مع المأمون، فغسل يده، وأبطأ الطعام، فسبقته يده إلى رأسه، فقال له المأمون: أعد غسلَ يدك، لا يلي غسلَ اليد إلا الخبز.

● ولياقوت المستعصمي كتاب جميل جليل، يجدر بالمرء قراءته كله، ففيه أطيب الأقوال وأجلُّ الوصايا، وقد يكون حلبة يتسابق فيها الخطاطون المبدعون، ليجعلوا من كل حكمة جليلةٍ فيه لوحة تحفظ أو تعلق في الجدران.. والمؤلف نفسه خطّاط مبدع، شاع ذكره في البلاد، وإليه انتهت رئاسة الخطِّ المنسوب، وكانت المصاحف التي يكتبها بيده تُرسل هديةً للملوكِ والسلاطين. وهو من أصلٍ رومي، سكنَ بغداد، ونسبتهُ إلى الخليفة المستعصم بالله، آخر خلفاء بني العباس، الذي كان قد اشتراه صغيراً وربّاه بدار الخلافة.

لقد جمع في كتابه "**أسرار الحكماء**" أقوالاً طيبة، ووصايا جليلة، وحكماً رائعة جامعة، وأجوبة بليغة نادرة، لأبرز العلماء والحكماء والخلفاء والأدباء.. وما يُطرح منه أو لا يعتدُّ به قليل...

من ذلك قول عبد الله بن عمر رضي الله عنه عنهما: كان الرجل إذا أراد أن يعيبَ جاره؛ طلب الحاجة إلى غيره!

وقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لو قال لي فرعون خيراً؛ لرددتُ عليه مثلَه!

● وأدبيات المرأة متناثرة في بطون الكتب، لم يُعمدْ إلى جمعها من كتب التراث، إلا الشعر وما يتعلق بالتراجم والسِّيَر؛ أما النثر فلا أعرف له مجموعاً إلا ما كان في **"بلاغات النساء"** للأديب البليغ ابن طيفور، الذي ألَّف نحوَ خمسين كتاباً، وجمع في كتابه هذا أبلغ ما قالته النساء، مما حفظه التاريخ، في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، شعراً ونثراً.. وقد يكون الأول هو الغالب، وفيه جواباتهنّ، وطرائف كلامهنّ، ومُلَحُ نوادرهنَّ، وأخبار ذواتِ الرأي منهنَّ.. وفيها ما يجاوز كثيراً من بلاغات الرجال المحسِّنين، والشعراء المختارين.

من ذلك أن أحدهم خطب فتاة، فسألت عن حرفته، فكتب إليها شعراً:

وسائلةٍ ما حرفتي قلتُ حرفتي مقارعةُ الأبطال في كل مأزقِ
وضربي طلى الأبطالِ بالسيف معلماً إذا زحفَ الصفّان تحت الخوافقِ

فلما قرأت الشعر أرسلت إليه تقول: فديتُكَ، أنت أسدٌ فاطلب لنفسك لبؤة، فإني ظبيةٌ أحتاج إلى غزال!

● وصار الثعالبي ينافس السيوطي في عرض كتبه النادرة، فها هو ذا مرة أخرى يُبرز كتابه "**تحسين القبيح وتقبيح الحسن**" الذي انتقى مادته بعناية فائقة، والذي أراه خطيراً في موضوعه، لا يحسن إيراد كثير من فقراته إلا بالإشارة إلى نقدها، ذلك أن للبلاغة سحراً قد يتسلَّل إلى النفوس فتهشُّ له وتقنع به! مثل تحسين البخل والجبن، وتقبيح المشورة والصبر والجود! لكنَّ الأدب – مهما كان لونه – هو حرفة هذا الرجل الذي ترك خيط جلودِ الثعالب واتجه نحو الأدب كله، حسنه وقبيحه، ويرى في تحسين القبيح وضدِّه: "غاية البراعة، والقدرة على جزل الكلام في سرِّ البلاغة وسحر الصناعة". قال: وما أراني سُبقتُ إلى مثله في طرائف المؤلفات وبدائع المصنَّفات!

من ذلك ما أورده في تقبيح الغنى والمال: قد يكون مال المرء سببَ حتفه، كما يُذبَح الطاووس لحسن ريشه، ويُصاد الثعلب من أجل وبَره!

● وابن شاه مردان أديب لا يُعرف عنه شيء! كان في أواخر القرن السادس الهجري. عمد هذا الأديب إلى كتب العلم، ولاسيما اللغوية منها، فانتقى اللباب، وضمَّنه ثلاثين كتاباً! وأشار إليه بهذا العمل الوزير ابن شعيب، لأنه "أقربُ

على المتعلِّم، وأسهل على المتأدِّب، وأنشطُ للطالب الراغب، مع ما في ذلك من خفَّة المؤونة على العالم الماهر". ويسمِّي كتابه هذا "**حدائق الآداب**". ويصفه بأنه "بستان بُني على البساتين، ويحتوي على حدائق الرياحين.. ترتاح له نفوسُ الأدباء، وقلوبُ الألبّاء، كما ترتاح للرياض المونقة، والأنوار المبهجة".

وهل تعرف لماذا سُمِّي القَلم بهذا الاسم؟

إنه – كما يقول – من قلمتُ الشجرة، وقلمتُ الكَرْم: إذا قطعت رؤوس أغصانها، ومن قلمتُ الظُّفر إذا قصصت أطرافه...

● وفجأة يهجم أحد فنون البلاغة على الشعر الأندلسي، ويسيطر على اهتمامات نفرٍ من الشعراء في القرن الثامن الهجري، لتُثار به المجالس، مداعبة وتسلية، أو ليُعدَّ من جملة الظُّرَف والمُلَح ورياضة الذِّهن؛ وهو فن "التورية" حيث يذكر الشاعر ألفاظاً لها معانٍ قريبةٌ وبعيدة، فإذا سمعها المتلقِّي سبق إلى فهمه القريب، ومرادُ المتكلِّم البعيدُ!

ومن هؤلاء: الشاعر ابن خاتمة الأنصاري، حيث قام أحد تلاميذه، وهو الوزير الأديب ابن زرقالة الأندلسي، بجمع

مقطعات من شعره الغزير، مما احتوى منه على هذا الفنّ، وجمعه في كتاب بعنوان: "**رائق التحلية في فائق التورية**".

من ذلك قوله في قصيدة:

خضـوعٌ طويـلٌ ودمـعٌ سـريع وخـدٌّ بسـيطٌ وشـجوٌ مديـد

فالتورية هنا بأسماء بحور الشعر: الطويل والسريع والبسيط والمديد، والمورَّى عنه ما فيها من معنى لغوي...

● وإذا طُلب منك أن تشرح بيتين من الشعر، مهما كانا "معقَّدين"، فكم يأخذ هذا من وقتك؟ وكم صفحة تتخيل أن تكتب؟

قد تنشرح نفوس بعض الأدباء لهذا السؤال ويقولون: إن بإمكانهم كتابة ما لا يقل عن خمسين أو مائة صفحة.. وخاصة إذا كانا من الشعر الجاهلي!

وإذا طُلب المزيد من الصفحات، فقد لا تصل إلى ضعف هذا العدد المذكور!

لكنّ الهمّة وصلت ببعض الأدباء إلى شرح بيتين من الشعر في أكثر من (٥٠٠) صفحة من المطبوع.. والشاعر من القرن الحادي عشر الهجري، وشارح البيتين من شعره من علماء القرن

الثالث عشر الهجري، وعنوان كتابه هو "**الشرحُ الجليّ على بيتي المَوْصلي**"!

وإذا كان فيه حشو وتهميش، فإنه يحوي من الفوائد النادرة، والأخبار الغريبة، والأدبيات العجيبة، ما حفزني إلى اختيار العديد من فقراته...

من ذلك أنه ليس هناك حرف من أحرف الهجاء إلا وله معنى أو أكثر. فـ"الألف": الرجل العَزَب، والواحد من كل شيء، والرجل الحقير... و"الزاي": الجلدة اليابسة، والكثير الأكل... وهكذا.. حتى "اللام ألف" يطلق على شِسع النعل!

● ويطلُّ علينا الإمام السيوطي في هذه المرة ملوِّحاً بكتابه "**الشهاب الثاقب في ذمِّ الخليل والصاحب**" الذي بيَّن فيه وجوب الاحتراس من الناس، وذمَّ الأصحاب والأخلّاء، وصفاتِ الذين يصادقون...

وفيه ما قيل لأسباب معينة، ونتيجة خيانة أو عدم وفاء بعض الأصحاب الذين اؤتمن عليهم فلم يكونوا أمناء.

ومما ورد هنا قول لقمان الحكيم لابنه: يا بني، إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه، وإلا فتجنّبه.

● وأبو جعفر النحّاس مفسِّر وأديبٌ مشهور، كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. له "معاني القرآن" و"شرح المعلقات السبع" وغيرهما.

ومن بين كتبه "**صناعة الكُتّاب**" الذي ذكر فيه عيون ما يُنتفع به، من الخطِّ والهجاء والعربية واللغة والمكاتبات، على الترتيب للرجال والنساء، وعيوناً من الرسائل، وجعلها عشرة مراتب، فيها أمثلة وتطبيقات وأقوال وعبر نادرة رائعة.

من ذلك أن أعرابياً سمع رجلاً يتكلم، ويُكثر، ثم التفتَ إليه فقال: ما البلاغة عندكم؟ قال: خلاف ما أنت فيه منذ اليوم!

ومن ذلك قول الإمام الحسن البصري: من علم أن الكلام عمل، لم يتكلم إلا فيما يعنيه!

● والكتب التي تؤلَّف للملوك والسلاطين فيها أخبار وأحداث نادرة، مثل القطع النادرة الموجودة في خزائنهم. وحتى لو تعدَّدت الكتب في موضوع واحد، فإنها تحتوي على غرائب الحكم وعجائب الأحداث، وهذا ما حدا بي إلى اعتبارها نوادر، ولو أن موضوعاتها أصلاً في الأحكام السلطانية والوقائع السياسية، فإن فيها حكايات ذات مغزى، وعظات وحكمًا شتى، كما في كتاب "**العقد الفريد للملك السعيد**"، الذي

جعله مؤلفه على أربعة قواعد، وذكر أنه جمع فيه "فرائد الفوائد، ونوادر المقاصد، كالفلك المشحون، كلما قرأ منه مطالعه شيئاً دفعه إلى حديث ذي شجون".

ومؤلفه "أبو سالم النُّصيبي" من قرى نُصَيبين، وزيرٌ من الأدباء والكتّاب، ولي الوزارة بدمشق ثم تركها وتزهَّد، وتوفي بحلب.

ومما ورد في الكتاب قول بعضهم:

إذا كنتَ ذا عقل فلا تخشَ غُربةً فما عاقلٌ في بلدةٍ بغريبِ
يُعَدُّ رفيعَ القوم من كان عاقلاً وإن لم يكن في أهله بحسيبِ

● وإذا كان كتاب "**فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء**" لابن عرباشه، المؤرخ الرحّالة، أيضاً في الآداب الملوكية والسياسية السلطانية، إلا أنه يختلف عن غيره في الشكل وأسلوب المعالجة، حيث قلَّد فيه كتاب "كليلة ودمنة"، وجعل معظم فصوله على لسان الحيوانات، وجعله في عشرة أبواب، منها: نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع، ونوادر التيس المشرقي والكلب الإفريقي، وحكم الأسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد.

من ذلك قوله: خالطوا الناس مخالطة إن غبتم حنُّوا إليكم، وإن متُّم بكوا عليكم.

● والأقفهسي – المعروف بابن العماد – فقيه شافعي من القاهرة، عمدَ إلى جمع أخبار الطفيليين، ورتَّبها على نهج علمي، ووزَّع موضوعاتها على أربعة وعشرين باباً، مستفيداً من خبرات من سبقه في التصنيف في هذا الموضوع، وسمَّى كتابه: "**القول النبيل بذكر التطفيل**".

ومن أبواب الكتاب: التغليظ على من أتى طعاماً ولم يُدْعَ إليه، من عَرَّض بالتطفيل ولم يصرّح، من أحبَّ تطفيل غيره فسهل السبيل إليه، من صرف إلى التطفيل همَّه وجعل ذلك صناعة وحرفة، من مُنع من الدخول وتسبَّب إلى الوصول، من طفَّل من الأشراف والأكابر وأهل العلم والأدب، وصايا الطفيليين...

● وربما تعرفتَ على أشخاص عميقي التفكير، ذوي حسٍّ مرهف.. إذا وقع تحت أيديهم شيء قلبوه على وجوهه، ونظروا فيه مليّاً، واستنطقوا مدلولاته ومعانيه، حتى لو كان ذلك الشيء لا يلفتُ لك انتباهاً، ولا يزيدك عليه حرصاً، ولكنه قد يكون خطرَ له خاطرٌ فيه لم يجرِ لك على بال!

وهذا أديب مقدسي واعظ، يُعرف بابن غانم، ألَّف كتاباً من هذا النوع، وسمّاه "**كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار**" ترجم فيه عما استفاد من الحيوان برمزه، والجمادِ بغمزه، وما خاطبته به الأزاهير بلسان حالها، والشحارير عن مكان ارتحالها، وجعله موعظة لأهل الاعتبار، وتذكرة لذوي الأبصار والاستبصار.

والمؤلف من رجال القرن السابع الهجري، له مؤلفات عديدة، منها كتاب بعنوان "تفليس إبليس" وهو مناظرات له مع الشيطان!

- ولا يخفى ما لمجالس العلماء من فوائد، وخاصة إذا كان سيدُ المجلس عالماً عَلَماً، حيث يقوم بعض التلاميذ النجباء بتسجيل كامل لما يحدث في هذا المجلس، الذي يضمُّ الدروس العلمية، ومناقشات الشيخ لأقوال العلماء وتفسيراته أو تأويلاته، وكذلك إجاباته على أسئلة المتلقين...

و"**مجالس ثعلب**" إمام الكوفيين في العربية والشعر واللغة متنوعة بين علوم العربية، ونوادر الأدب، وغرائب الشعر، ونكات في النحو والصرف، التي تضمُّ في تضاعيفها كثيراً من المسائل النحوية على مذهب الكوفيين.

من ذلك قوله: أصل "اليتيم" الغفلة، ومنه سمي اليتيم، لأنه يُغْفَل عنه.

وقيل لأعرابي: ما أشدُّ البرد؟

قال: إذا دمعت العينان، وقطرَ المَنْخِران، ولجلجَ اللسان!

● وكتاب "**محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**" للراغب الأصبهاني، يعرفه القرّاء جيداً.. وقد عرضتُ قسماً منه في هذه الحلقة، وأجلت ما بقي منه إلى حلقة قادمة إن شاء الله، نظراً لضخامته، وكان عدم الاستغناء عن كثير من أخباره النادرة العجيبة حافزاً لي على إثباتها، وإدراجها تحت سلسلة من الحِكَم والوصايا، والأخبار القصيرة الموجزة المعبِّرة. فهو موسوعة في الآداب والمعارف، ذكر مؤلفه أنه ضمَّه طرفاً من الأبيات الرائقة، والأخبار الشائقة، وأنه ظَرْف مُلئ طُرَفاً، ووعاءٌ حُشي جدّاً وسخفاً! من شاء وجد منه ناسكاً يعظه ويُبكيه، ومن شاء صادف منه من يُضحكه ويُلهيه...

من ذلك قول بعضهم: النوادر تفتح الآذان، وتنبِّه الأذهان.

وقول آخر: الشِّرَّة في المال دناءة، وفي العلم نباهة.

● ويقول المقَّري إنه طالع كتب المتأدِّبين، فوجد أن أكثرها يشتمل على غثّ وسمين، فعمد إلى جمع كتاب مختصر يشتمل على مستحسن الحكايات، ومستجود الروايات؛ فجمع فصولاً مترادفة في ذلك وسماها: "**المختار من نوادر الأخبار**"، فيها ألوان متنوعة مما تشتهيه النفس، ويُقبل عليه القرّاء ويتناقله المتأدِّبون والشعراء، إلى جانب أجوبة الأذكياء، وعبارات الفضلاء، وحِكَم الحكماء، ونوادر جرَّها التأليف...

والمؤلف من الأدباء والبلغاء المتصوفين، من علماء المالكية، وهو جدُّ صاحب "نفح الطّيب".

ومما ورد هنا أن عبدالملك بن الحر ورث خمسين ألفاً، فبعث بها إلى إخوانه وقال: كنتُ أسأل لإخواني في صلاتي الجنة، أفأبخل اليوم عليهم بالدنيا؟!

وقيل ليحيى بن خالد البرمكي: غيِّر حاجبك؛ فقال: ومن يعرف إخواني القدماء؟!

● ويَرِدُ سؤال للإمام السُّبكي مضمونه: هل من طريق لمن سُلب نعمةً دينية أو دنيوية أن تعود إليه تلك النعمة؟ وكيف؟

وتتشعَّب فروع الجواب عند هذا العالم الكبير لتعلُّقه بأمور شتى، حتى يعمد إلى تأليف كتاب يضمِّنه الجواب ملخصاً! ويسميه: "**مُعيد النِّعم ومُبيد النِّقم**"، فيذكر ما يحفظ على الإنسان في هذه الحياة النعمة التي أسداها الله إليه، ويدفع عنه السوء والبأساء.. حتى ذكر الوظائف الحكومية في عصره، وبيَّن ما يُطلب في كل عمل ووظيفة، وقد أيده وأعانه على هذا سعة فقهه وخبرته بأحوال عصره وشؤون الدولة وطبقات الناس، فقد ولي وظائف حسّاسة جعلته قريباً من الحكّام وسواد الناس، وألمَّ بالمساوئ وسير العمال إلمام الخبير العليم.

ومما ورد فيه قول الإمام الشافعي: من ضيَّع حق الله، فهو لما سواه أضيع.

● والأصمعي دائرة معارف متنقلة! وموسوعة ما زالت تجري في نهر الحياة، لما حفظ الزمان أخباره، وتتابع الكُتّاب في نسخ كتبه. وقد جمع بين العلم والمُلَح، مما بلغه قمَّة علمية نادرة، وحياة مادية طيبة. فقد كان أديباً ظريفاً، لغوياً، مؤرخاً، جغرافياً، قارئاً، وديِّناً صحيحَ العقيدة، ودرَّس.. وناظر.. وصنَّف.

وقد جُمعت طائفة طيبة من أخباره ورواياته في كتاب بعنوان: "أخبار الأصمعي" للربعي، وانتقى منها الحافظ ضياء الدين المقدسي أخباراً متنوعة، على طريقة المحدِّثين في انتقائهم الكتب، وسماه: "**المنتقى من أخبار الأصمعي**".

وهو – على وجازته – سِفْر أدبي جامع، يُطلعنا على علم الأصمعي، ومقدرته الفائقة في نقل اللغة والأدب وعلوم العربية.

ومما ورد هنا قوله: ما كان أعجب الحجّاج، ما ترك إلا ثلاثمائة درهم!

* * *

ويأتي هذا الكتاب بعد خمسة كتب قدمتُها في هذه السلسلة هي:

- جولة بين كتب غريبة.
- كتب نادرة من التراث الإسلامي.
- نوادر الكتب: غريبُها وطريفُها.
- الغريب النادر من كتب التراث الإسلامي.
- أسرار خزانة المكتبة التراثية: عرض مجموعة من الكتب النادرة.

وأرجو أن يكون ما أقدمه في هذه السلسلة انتقاء من طيب الكلام، ممتثلاً قولَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيتُ الله عزَّ وجلّ: لولا أن أضع جبهتي لله عزَّ وجلَّ، أو أجلس في مجالس يُنتقى فيها طيِّبُ الكلام كما يُنتقى فيها طيِّبُ الثَّمر، أو أن أسير في سبيل الله عزَّ وجلَّ"(١).

وأدعو الله أن ينفع بها، ويكتب لها القبول، ويوفقني لإتمام ما أصبو إليه منها، ويجنِّبني الزَّلل. والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

محمد خير يوسف

(١) الزهد للإمام أحمد بن حنبل ٢/٢٦, حلية الأولياء ١/٤٨.

الأجوبة المسكتة [1]

لابن أبي عون

نظر إيدجانس إلى رجل أحمق جالس على حجر فقال: حجرٌ على حجر!

● أُهديَ إلى الإسكندر آنية من فخار، فاستحسنها، ثم أمر بكسرها!

---

(١) ... الأجوبة المسكتة / تأليف ابن أبي عون الكاتب؛ تحقيق وتعليق محمد عبد القادر أحمد.— القاهرة: مطبع الناشر العربي، ١٤٠٥هو ٢٣٥ص.
أودع فيه المؤلف طائفة نادرة من الأجوبة البليغة، والحكم الشرقية: اليونانية والفارسية والهندية والعربية، والصوفية، وأجوبة النساء، والمخنثين، وأصحاب الظرَف والهزل. وقد نقل منه الكثير ممن ألفوا في النوادر.
والمؤلف هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي عون أحمد بن المنجم. أديب، بغدادي الأصل، من سكان الأنبار. نشأ في أسرة تشتغل بالأدب، كان أبوه شاعراً وكاتباً مشهوراً، وله عمّان شاعران. واختلف في عمل المؤلف، ويرى كثيرون أنه كان كاتباً في بغداد أيضاً، بينما يورد البعض الآخر أنه كان قائداً للشرطة، وبعضهم يرى أنه كان حاجباً لأحد وزراء المعتز.
والأمر البارز في حياته أنه كان من أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني، المعروف بابن أبي العزاقر، وكان أحد ثقاته، وممن كان يغلو في أمره ويتعصب له. اتهم شيخه بقوله بالتناسخ، ووجدت الشرطة في==

فسُئل عن ذلك فقال: كسرتُ الأشياء التي كانت تنكسر

على يد الخدم واحداً واحدًا فتهيَّج لي الغضب؛ فأرحتُ نفسي منها في مرة واحدة!!

● قيل لأرسطاطاليس: ما أعسر الأشياء على الإنسان؟ قال: السكوت!

= منزله رقاعاً وكتباً ممن كانوا على مذهبه يخاطبونه فيها على أنه إله! وطلب من بعض أتباعه التبرؤ منه، بينهم ابن أبي عون هذا، وأن يكون صفعه في وجهه دليلاً على هذا التبرؤ، ولما مدَّ ابن أبي عون يده ليصفعه ارتعدت، فقبَّل لحية ابن الشلمغاني ورأسه، فجمع الراضي العباسي الفقهاء والقضاة ورجال الفتيا، واستفتاهم في أمرهما، فأفتوا أن دمه ودم صاحبه حلال، فضُربت أعناقهما في ذي القعدة سنة ٣٢٢هـ. ومؤلفاته الأخرى هي: التشبيهات، النواحي والبلدان، بيت مال السرور، الدواوين، لب الألباب في جوابات ذي الألباب.

وإذا كان انتقاؤنا من هذا الكتاب هو من الأجوبة المفيدة النادرة، التي لا بأس بها إن شاء الله، وفيها ما يبعث على التفكير والتعجب، فإن ما يلفت النظر من حياة المؤلف هو القول إن الذكاء كما يكون طريقًا إلى الهداية؛ يكون أيضاً طريقاً إلى الضلال والفساد. وإن نية المرء وعزيمته هي التي توجه ذكاءه، فيستعمله للخير أو للشر. اللهم إنا نعوذ بك من الضلال بعد الهدى، ومن الكفر بعد الإيمان.

ثم إني لم أرَ بأساً في عرض هذا الكتاب ضمن الكتب النادرة، ما دامت الحكمة ضالة المؤمن، وما دامت الأجوبة مختارات منتقاة، وقد سبقني إلى النقل منه أدباء وعلماء فضلاء في التاريخ الإسلامي، ذكرهم محقق الكتاب في المقدمة ص ٢٠ – ٢١. وعلى الله التكلان.

● قال رجلٌ لفيلسوف: يا أبخر!

فقال: لا أتعجب من هذا، فقد عفنتْ في فمي أقاويل كثيرة لا ينبغي أن ألفظها، ولو شممتها لكانت أنتن!.

● سُئل حكيم: ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقاً؟

قال: مدحُ الإنسان نفسه.

● سُئل أفلاطون عن رجل كان يحب مغنيةً حبّاً شديداً لماذا يحبها؟!

قال: لأنه لا يعرف شيئاً خيراً من الغناء!

● قيل لحكيم: ما أحسن الكلام؟

قال: الذي لا يحتاج فيه إلى كلام!

● نظر فيلسوف إلى رجل يرمي وسهامه تذهب يميناً وشمالاً؛ فقعد في موضع الهدف! فقيل له في ذلك فقال: لم أرَ موضعاً أسلمَ منه.

● نظر بعض الفلاسفة إلى رجل مدخول النسب يسبُّ رجلاً فقال: لعله يعني أباه وهو لا يعلم!

● وجد إيدجانس رجلاً قد تسوَّر على حائط له، فقال له: أي شيء هذا؟ قال: إني لم أتَسَوَّر لأسرق شيئاً، قال: فليس

ينبغي لك أن تتشبَّه باللصوص.

● قال بعض الأحداث لأفلاطون: كيف قويت على أن عرفتَ هذا العلم كله؟

قال: لأني أفنيتُ زيتاً في السِّراج أكثرَ من الشراب الذي شربته في عمرك كله!

● نظر إيدجانس إلى رجل حسن الوجه يكذب، فقال: أما البيت فحسن، وأما الساكن فيه فشيطان!

● قيل لراهب حضرته الوفاة: كيف تجدك؟

قال: أجدني لم أركض حياتي إلا لموتي!

● جلس بعض الزهاد إلى رجل يشتري منه شيئاً، فقال له بعض من حضره: هذا فلانٌ الزاهد، فارخص عليه.

فغضب وقام وقال: إنما جئنا نشتري بدراهمنا، لم نجئ نشتري بأدياننا!

● أراد قوم سفراً، فجازوا عن الطريق، وانتهوا إلى راهب منفرد في ناحية، فقالوا له: قد ضللنا فكيف الطريق؟

قال لهم: ها هنا. وأومأ بيده إلى السماء.

● قيل للحسن البصري: ما بال المجتهدين أحسن وجوهاً؟

قال: لأنهم خَلَوا بربِّهم فكساهم من نوره.

● مرَّ محمد بن واسع بقوم، فقيل له: هؤلاء زهّاد.

فقال: وما قَدْرُ الدنيا حتى يُحْمَدَ مَن زهد فيها؟!

● قال رجل لسلمان الفارسي: إني لا أستطيع قيام الليل؟

قال: فلا تعجز بالنهار.

● قال رجلٌ لعمر: أهلكنا النوم.

قال: بل أهلكتكم اليقظة!

● قال بعض الزهاد لصديق له قد حضرته الوفاة: أما ذنوبي فإني أرجو لها مغفرة ربي، ولكني أخاف على بناتي.

فقال له: فالذي ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه لحفظ بناتك.

● قيل لبعض الزهاد: ما تقول في صلاة الليل؟

قال: خفِ الله بالنهار ونمْ بالليل!

● قيل لعمرو بن عبيد التيمي: ما البلاغة؟

قال: ما أبلغكَ الجنة، وعَدَلَ بك عن النار!

● قال عبد الله بن المبارك: سمعتُ راهباً صغيراً يقول لراهب كبير: اسقني الدواء.

فقال: دواءَ الراحةِ تريدُ أم دواء الإفاقة؟

فقلت: ما دواء الراحة ودواء الإفاقة؟

فقال: أما دواء الراحة فالثقة بالله، وأما دواء الإفاقة فالزهد

في الدنيا!

● قال رجلٌ لطاووس: ادعُ لي.

قال: ادعُ أنت لنفسك، فإن الله يجيب المضطرَّ إذا دعاه.

● قسم الحجَّاج مالاً، فأعطى منه مالك بن دينار، وأراد أن يدفع منه إلى حبيب بن محمد الفارسي، فأبى أن يقبل منه شيئاً. ثم مرَّ حبيب بمالك وهو يقسم ذلك المال، فقال له مالك: لهذا قبلناه!

قال حبيب: دعني مما ها هنا، أسألك بالله، الحجّاج اليوم أحب إليك أم قبل اليوم؟

قال: اليوم.

قال: فلا خير لك في شيء حبَّب إليك الحجّاج!

● رأى الحسن على مالك بن دينار كساء صوف فقال: أيعجبك هذا الطيلسان؟

قال: نعم.

قال: إنه كان على شاة قبلك!

● قيل لأبي حازم: ما مالك؟

قال: شيئان لا عدم لي معهما؛ الرضا عن الله، والغنى عن الناس.

● وقيل له: إنك لمسكين.

فقال: وكيف أكون مسكيناً ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض، وما بينهما، وما تحت الثرى؟!

● شتم رجل بعض الزهّاد، فقال له: هي صحيفتك فاملِ فيها ما شئت.

● قيل لعامر بن عبد قيس: أتحدِّث نفسكَ في الصلاة؟

قال: نعم، أحدِّث نفسي بوقوفي بين يدي ربي، ومنصرفي من بين يديه.

● قيل لزاهد: أي خلق الله أصغر؟

قال: الدنيا، التي لا تعدل عند الله جناحَ بعوضة.

فقال له السائل: من عظَّم هذا الجناح كان أصغر منه!

● قال رجل لإبراهيم بن أدهم: أوصني.

قال: لا أعلم النجاة إلا في اثنتين: دع الرياء بالدِّين، والفخرَ بالدنيا.

● قالت امرأة ماجنة جميلة: ما بقي أحد إلا فتنتُه غير طاووس (العالم العابد)، فتعرَّضتْ له، فقال لها: نعم، إذا كان وقت كذا فتعالي. فجاءت ذلك الوقت، فذهب بها إلى المسجد الحرام، إلى موضع كثير الأهل، فقال: اضطجعي. فقالت: سبحان الله، ها هنا؟

قال: الذي يرانا ثَمّ يرانا ها هنا.

فرجعت المرأة عما كانت عليه!

● دخل هشام بن الحكم[1] على بعض العباسيين، فقال رجل للعباسي: أنا أقرر هشاماً بأن علياً كان ظالماً! فقال له: إن فعلتَ فلك كذا وكذا، فقال له: يا أبا محمد، علمتَ أن علياً نازع العباسَ إلى أبي بكر؟ قال: نعم، قال: فأيهما كان الظالمَ لصاحبه؟ فتوقف هشام، وخاف أن يقول العباس، أو يقول عليٌّ فينقص أصله، فقال: لم يكن فيهما ظالم، قال: فكيف؟ أيختصم اثنان في أمر وهما جميعاً متفقان؟ قال: نعم، اختصم الملكان إلى داود وليس فيهما ظالم، فكذلك اختصم هذان إلى أبي بكر!.

● قيل للنظّام: ما الاختصار؟

قال: الذي اختصاره فساد.

● خطب أعرابي إلى قوم، فقال له أهلها: إن لها من المال والأثاث والماشية كذا وكذا، فما لك؟

---

(١) هشام بن الحكم الشيباني بالولاء. متكلم مناظر. كان شيخ الإمامية في وقته. ولد بالكوفة, ونشأ بواسط, وسكن بغداد, وانقطع إلى يحيى بن خالد البرمكي, ولما حدثت نكبة البرامكة استتر, وتوفي على إثرها بالكوفة سنة ١٩٠هـ.

قال: إن كان ما ذكرتم لها يكفيني وإياها ما بقينا، فما حاجتكم إلى مالي؟!

● وقيل لآخر: كيف تقول "ضرب عبدُ الله زيداً" قال: كما قلت. قال: ولِمْ؟ قال: لشرٍّ أحسبه وقع بينهما!

● سُئل أعرابي عن أمر الناس فقال: أرى ظالماً لا ينتهي، ومظلوماً لا ينتصف.

● قيل لأعرابي كانت له أَمَةٌ تسمَّى زهرة: أيسرُّك أنك الخليفة وتموتُ زهرة؟

قال: لا، تذهب الأَمَة وتضيعُ الأُمَّة!

● سأل أعرابي على باب دار، فقال له صاحبها: ليس ها هنا أحد.

فقال الأعرابي: إنك لأَحَدٌ لو جعل الله فيك بركة!

● قيل لأعرابي: أيُّ الصامت أعجب إليك؟ فقال: الذهب، قيل: فالناطق؟ قال: الخيل.

● قيل لأعرابي كثير الكلام: أليس لهذا انقطاع؟

قال: بلى، ولكن إذا انقطع وصلناه!

● قيل لأعرابي مات أخوه: ما كان سبب موته؟

قال: كونُه!

● قيل لأعرابي: أما تخاف الحساب؟ قال: ومن يحاسبني يومئذ؟ قالوا: الله عزَّ وجلّ. قال: إن الكريم إذا حاسب تفضَّل.

● قيل لأعرابية: أتعرفين النجوم؟

قالت: سبحان الله، أما نعرف أشياخنا وقوفاً علينا كل ليلة؟

● قيل لأعرابي: كيف عيشكم؟

قال: كما نجد.

● قال عمرو بن العاص لأمَة ومعها طبق مغطى: ما في الطبق؟

● قالت: فلِمَ غطَّيناه إذن؟

● قال محمد بن منصور: قالت لي جارية لي: ظهر يا مولاي في رأسك الشيب. فقلت: ما لا تحبونه. فقالت: إنما يثقل علينا الشيب على البديهة، فأما شيبٌ نشأ معنا، فنحن ننظر إلى صاحبه بالعين الأولى.

● قال ابن السمّاك لجارية كانت له: لِمَ لا تصيرين إلى مجلسي فتسمعين كلامي ومواعظي؟ فصارت إلى مجلسه، فلما انقضى قال لها: كيف رأيت؟

قالت: سمعت كلَّ شيء حسن، غير أني رأيتك تكرر الكلام وتعيده.

قال: ليفهمه من لم يكن فهمه!

قالت: فإلى أن يفهمه الغبيّ، يكون قد ثقل على سمع الذكيّ!

● جلس طيورية المجنون عند باب الحسن يبول، فأخذه الشُّرَط وضربوه، فقال: أرأيتم لو بال ها هنا حمار كنتم تتركونه؟ قالوا: نعم. قال: فأنا حمار. فتركوه!

● تغدَّى مزيد مع أعرابي، فقال له مزيد: كيف مات أبوك؟

فأقبل الأعرابي يحدِّثه، ومزيد يمضي في الأكل. فلما فطن الأعرابي قطع الحديث. وقال له: أنت كيف مات أبوك؟ قال مزيد: فجأة.

● قال رجل لأحمد بن أبي خالد: لقد أُعطيتَ ما لم يُعْط رسول الله صلى الله عليه وسلم!

فقال: لئن لم تخرج مما قلت لأعاقبنَّك!

فقال: قال الله عزَّ وجلَّ لنبيه: ↓ ❐◆❑⬀ ❁💣✡↗ ▫→⑧ ↘☒❏⓿↑☒

قال رجل لمخارق الجزار (المغنّي): يا أبا المهنا. لِمَ إذا غنيتَ أنت أحوِّل أنا رأسي طرباً، وأنسى أمرَ متجري؟ قال: هذا دليل على أن عليك رأساً لا يفلح أبداً!

● نظر الأصفهاني إلى أبي هفَّان يسارُّ رجلاً، فقال: فِيمَ تكذبان؟ قال أبو هفّان: في مدحك!

● قيل لبعض الفقراء وقد مرض: عليك بالحِميَة.

قال: هي دائي!

● تزوَّج مغنٍّ بنائحة.. فقال لها يوماً: إنما الدنيا فرح وحزن، وقد أخذنا بطرفي ذلك، إن كان فرح دعَوْني، أو حزنٌ دعوكِ!

● وقف سائل على بابٍ فقال: تصدَّقوا عليَّ. فقالت الجارية: ما عندنا خبز، وستِّي في المأتم!

فقال: يكون مأتم أكثر مما أنتم فيه إذا لم يكن عندكم خبز؟!

● قال الموفَّق لحماد: أيَّ شيء أهديتَ لي في هذا العيد؟

---

(١) سورة آل عمران, الآية ١٥٩.

قال: حلقتُ لكَ رأسي!

● قال ثعلب لأبي العِبَر: الظبي معرفة أم نكرة؟

فقال: إن كان مشوياً على المائدة فهو معرفة، وإن كان في الصحراء يعدو فهو نكرة!

● قال الفضل بن يحيى البرمكي[1] لجعيفران الموسوس: لم لا تأتيني؟

قال: أنت بحر، وأنا لا أحسن أن أسبح، وأخاف الغرق. فوصله.

● قال موسى بن أسباط لرجل: ابن عمك فلان لو مات كنت تكفنه؟ قال: نعم. قال: فإنه عريان فكفِّنه!

● رمى المتوكل عصفوراً فأخطأه، فقال ابن حمدون: أحسنت والله يا سيدي!

قال: هو ذا تهزأ بي؟ كيف أحسنت؟!

قال: إلى العصفور!

● صار جماعة إلى باب أحد الفضلاء يستأذنون عليه، وكان ضجراً، فقال لغلامه: اخرج فقل لهم: قد مات!

فخرج ورجع وقال: قد قلتُ لهم، فجلسوا ينتظرون الجنازة!

---

(١) وزير هارون الرشيد.. كان من أجود الناس.

● دخل لصٌّ على ابن أبي قيس، ففتش البيت، فلم يجد شيئاً. فلما أراد أن يخرج قال له: أغلق الباب خلفك.

قال: أَوَ من كثرة ما أخذتُ حتى تستخدمني!

● مدح محمد بن عبدوس صاحبَ الشرطة، فقال له : أما أن أعطيك من مالي شيئاً فلا، ولكن إن جنيتَ جناية لم أحبسك!

● قال دعبل: جاءني رجلٌ خزاعي فقال لي: أنت عمي، وسند أهلي، وقد قلتُ شعراً، وجئتُ لأعرضه عليك، فإن كان صواباً أظهرته، وإلا كتَمتُه. قلت: هاته. فأنشدني:

إن ذا الحـــبِّ ســـقيم لـــيس يهنيـــه الفـــرارُ
ونجـا مَـنْ كـان لا يعشـقُ مـــن ذُلَّ المخـــازي

فقلت: البيت الأول راء والآخر زاي؟

قال: لا تنقطه حتى يستويا!

قلت: فالأول مرفوع القافية، والثاني مخفوض؟

قال: أنا لا أنقط ولا أشكل!

● رجل أبوه مغنٍّ وأمه باكية، كلمه إنسان فأغضبه، فقال له: تكلمني وأنا ابن الحرب والضرب؟!

● قال بعضهم: كنتُ جالساً مع صديق لي على بابه، فرأيتُ رجلاً يدخل ويخرج، فقلت له: من هذا؟ فسكت، ثم

أعدتُ عليه فقال: هو زوج أختِ خالتي!

● قيل لمعلم: لِمَ تركت تأديب ولد فلان؟

قال: لأنه كان سريعَ الأخذ!

● كان أبو الحارث جميز يبغض الباذنجان، ويقول: قشره يشبه بطن العقرب، وأذنابه تشبه أذناب المحاجم، وحَبُّه يشبه القمل!

فدعاه قوم وحبسوا عنه الطعامَ حتى جاع، ثم أتوه بباذنجان، فأقبل يأكله بشهوة ونهم! فقيل له في ذلك فقال: قد علمت أنه باذنجان، ولكن أيُّما خير، هو أم الموت؟!

● قيل لإنسان مرة: إذا رأيتَ سواد الليل فأقبل عليه ولا تخف منه، فإنه يخافك كما تخافه!

فقال: أخاف أن يكون ذلك السواد قد سمع هذا الحديث قبلي!

● وجد بهلول ديناراً فدفعه إلى أمه، فجاء أصحاب الدينار، فأخذوا بهلولاً وقالوا له: رُدَّ الدينار. فقال: تعالوا حتى أرُدَّه عليكم. فجاء إلى أمه وقال: هاتي الدينار الذي دفعته إليك، فقالت: ما دفعتَ إليَّ شيئاً، وليس العجب إلا من هؤلاء الذين يقبلون كلام مجنون مثلك! فقال: فإن كنتُ لم أدفع إليك شيئاً كما تقولين، فما لك إذا قالوا لك هاتي الدينار يحمرُّ

وجهك؟!.

● فلَّس القاضي رجلاً، وأركبه حماراً، فطيفَ به ونوديَ عليه: هذا مفلس فاعرفوه ولا تعاملوه إلا بالثقة فلا دعوى عليه. فلما كان آخر النهار نزل عن الحمار، فقال له المكاري – صاحب الحمار –: أعطني أجرة حماري، فقال له: ففِيمَ كنا طوال هذا اليوم؟!

● قدم الفرزدقُ الشام، فأتاه رجلٌ يدَّعي قول الشعر، فأنشده شعراً له، فبكى. فقيل له: ما يبكيك؟ فقال له: لو كان هذا بالبصرة ما اجترأ ينشدني هذا الشعر!

● قال رجل لابن سيابة: ما بال الكلب إذا بال شغر برجله؟

قال: لأنه يكره أن يفسد ثيابه.

● قيل لأبي الحارث جميز: استوى الناس في الماء البارد في الشتاء.

قال: لكنهم لا يستوون في الماء الحار!

* * *

أحسن ما سمعت [1]

للثعالبي

من أحسن ما قيل في الشكر لله على نعمه قول محمود الورَّاق:

إذا كـان شـكري نعمـةَ الله نعمـةً علـيَّ لـه في مثلهـا يجـبُ الشـكرُ
فكيـف بلـوغُ الشـكرِ إلا بفضـلهِ وإن طالـتِ الأيامُ واتصـلَ العمـرُ

- وقوله في الإلهيات:

---

(١) أحسن ما سمعت/ تأليف أبي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي؛ شرح وتعليق أحمد عبدالفتاح تمام, سيد عاصم.- بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية, ١٤٠٩هـ, ١٧٥ص.

انتقى فيه أحسن ما سمعه من أشعار في موضوعات متعددة, رتبها على اثنين وعشرين باباً, هي: في الإلهيات, النبوات, الملوكيات, الإخوانيات, الأدبيات, الخمريات, الربيع وآثاره, الصيف والخريف والشتاء, الآثار العلوية, الدنيا والدهر, الأمكنة والأبنية, الطعاميات, النساء والتشبيب, الغزل المذكر, الشباب والشيب, مكارم الأخلاق والمدائح, الشكر والاستماحة, مساوئ الأخلاق والأهاجي, الأمراض والعيادات, التهاني والتهادي, المراثي والتعازي, فنون مختلفة.

وقد سبق صدور الكتاب عام ١٣٢٤هـ في مصر بتحقيق محمد صادق عنبر, كما صدر بعنوان: اللآلئ والدرر أو أحسن ما سمعت؛ شرحه وضبطه عبد الأمير مهنا .- بيروت: دار الفكر اللبناني, ١٤١٠هـ, ١٥٨ص. وسبق التعريف بالمؤلف, المتوفى سنة ٤٢٩هـ.

تعصي الإلهَ وأنت تُظهر حبَّهُ هـذا مُحـالٌ في القيـاس بـديعُ
لو كان حبُّكَ صادقاً لأطعتَهُ إن المحـبَّ لمـن أحـبَّ مطيـعُ

- وفي الملوكيات قال صريع الغواني للرشيد:

بأبي وأمـي أنـت، مـا أنـدى يـداً وأبـــرَّ ميثاقـــاً، ومـــا أزكاكـــا
يغــدو عــدوُّك خائفــاً فــإذا رأى أن قـد قـدرتَ على العقـابِ رجاكـا

- أحسن ما قيل في ترك العتاب:

أقلِلْ عتابَ من اشتريتَ بودِّهِ ليســتْ تُنـالُ مـودَّةٌ بقتـالِ

- ومن أظرف ما قيل في ذمِّ الاستكثار من الأصدقاء قولُ بعضهم:

ألا إن إخــواني الــذين عهــدتهم أفـاعي رمـالٍ لا تُقصِّـر في لسـعي
ظننــتُ بهــم خــيراً فلمَّــا بلــوتُهم حللــتُ بـوادٍ مـنهمُ غـيرِ ذي زرعِ

- ومن أحسن ما قيل في العيد عند مفارقة الإخوان، قولُ أبي الفرج الشامي:

مــن ســرَّه العيــدُ فــلا ســرَّني بــل زادَ في شــوقي وأحــزاني
لأنــه ذكَّــرني مــا مضــى مــن عهــد أحبـابي وإخـواني

- ومن أحسن ما قيل في القَلم قولُ أبي الفتح البستي:

إذا افتخر الأبطالُ يوماً بسيفهم وعَدُّوه مما يُكسبُ المجدَ والكرمْ
كفى قلمُ الكُتّاب فخراً ورفعةً مدى الدهرِ أن الله أقسمَ بالقلمْ

- وقال أبو إسحاق في حسن الخط:

له يدٌ بَرَعت جوداً بنائلها ومَنْطِقُ دُرِّهِ في الطِّرس ينتثرُ
فحاتمٌ كامنٌ في بطنِ راحتها وفي أناملها سحبانُ مستترُ!

- وقال للمهلبي الوزير:

لك في المحافل منطقٌ يشفي الجوَى ويسوغُ في آذان الأديبِ سُلافُه
فكأنَّ لفظك لؤلؤٌ مُتَنخَّلٌ وكأنما آذانُنا أصدافُه

- من أحسن ما قيل في ذمِّ الشاعر:

أنت بين اثنتَين تبرزُ للنَّا سِ وكلتاهما بوجهِ مذالِ
لستَ تنفكُّ طالباً لوصالٍ من حبيبٍ أو طالباً لسؤالِ

- من أحاسن ما قيل في الربيع قولُ ابن المارداني:

أما ترى الأرضَ قد أعطتك عُذْرتها مخضرَّةً واكتسى بالنورِ عاريها
فللسماءِ بكاءٌ في حدائقها وللرِّياضِ ابتسامٌ في نواحيها!

- ومن مُلَح ابن سُكَّرة قوله:

أما ترى الروضةَ قد نوَّرت وظاهر الروضة قد أعشبا
كأنما الروضُ سماءٌ لنا نَقْطِفُ منها كوكباً كوكبا!

- قال أبو إسحاق الصابي في البقّ:

وليلـةٍ لم أذقْ مـن حرّهـا وسَـنا كـأنَّ في جوّهـا النـيرانُ تشـتعلُ
أطافَ بي عسكرٌ للبقِّ ذو لجبٍ مـا فيـه إلا شـجاعٌ فاتـكٌ بطـلُ
طافوا علينا وحَرُّ الشمسِ يطبخنا حتى إذا نضجت أجسادنا أكلوا

- ومن أحسن ما قيل في "الثلج" قولُ الصاحب:

أقبـل الجـوُّ في غلائـل نـورٍ وتهـادى في لؤلـؤٍ منثـورِ
فكـأن السـماءَ صـاهرتِ الأرْ ض فكـان النِّثَـارُ مـن كـافورِ

- ومن أحسن ما قيل في الليل وسواده قولُ بعضهم:

وليلـةٍ لـيلاء يَحْـ ـكيهـا سـوادُ المفـرقِ
كأنمـا نجومُهـا في مغـربٍ ومشـرقِ
دراهـمٌ قـد نُثـرتْ علـى بسـاطٍ أزرقِ

- وقال ابن المعتز:

نادمـتُ إخـواني بدجلـةَ ليلـةً والـنجمُ في كبـدِ السـماء محلَّـقُ
والبدرُ يضحكُ وجهُه في وجهها والمـاءُ يـرقصُ حولنـا ويصـفِّقُ

- ومن أبدع ما قاله بعضهم في طول الليل:

عهـدي بنـا ورداءُ الوصـل يجمعنـا والليـلُ أطولُـه كـاللمحِ بالبصـرِ
فـالآن ليلـي مـذ غـابوا فـديتهمُ ليلُ الضريرِ فصبحي غيرُ منتظرِ

- ومن أحسن ما جاء في الصبح قولُ بعضهم:

ولمَّا رأيتُ الصبحَ قد سلَّ سيفَه ... وولَّى انهزاماً ليلُه وكواكبُهْ
ولاحَ احمرارٌ، قلتُ قد ذُبِحَ الدُّجى ... وهذا دمٌ قد ضمَّخ الليلَ ساكبُهُ

- ومن أحسن ما قيل في ذمِّ الدنيا قولُ ابن بسَّام:

غُمومها لا تنقضي ساعةً ... عن مَلِكٍ فيها ولا سُوْقَهْ
يا عجبي منها ومن شأنها ... عدوَّةٌ للناس معشوقَهْ

- من الملح قولُ بعضهم في مدينة "هراة":

هراةُ أرضٌ خصبها واسع ... ونبتُها التفاح والنرجسُ
ما أحدٌ منها إلى غيرها ... يخرجُ إلا بعدما يُفلسُ

- وفي الطعاميات يقول أبو الفتح البستي:

كُلْ قليلاً تعشْ طويلاً وتسلمْ ... من عوادي الأسقامِ والأدواءِ
إنما يتغذَّى الكريمُ ليبقى ... وبقاءُ السفيه للاغتذاءِ

- ومما قيل في ذمِّ البخلاء:

إني لأصبو إلى البِيض الحِسان كما ... تصبو قدورُ أبي عمروٍ إلى المرَقِ
الجوعُ أرَّقني لمَّا نزلتُ بهِ ... فكدتُ أتلفُ بين الجوع والأرَقِ

- ومن أحسن ما قيل في أخلاق النساء قولُ علقمة:

وإن تسألوني بالنساء فإنني ... خبيرٌ بأدواء النساءِ طبيبُ
إذا شابَ رأسُ المرء أو قلَّ ماله ... فليس له في ودِّهنَّ نصيبُ

- ومما قيل في إنذار الشيب بالموت قولُ محمود الوراق:

الشيبُ إحدى الموتتين تقدَّمتْ إحداهما وتأخَّرتْ أُخراهما
وكأنَّ من حَلَّت به صُغْراهما يوماً فقد حلَّتْ به كبراهُما

- وقال ابن المعتز:

يا خاضبَ الشيبِ بالحِنَّاء تستُره سَلِ الإله لهُ ستراً من النارِ
لن يرحلَ الشيبُ عن دارٍ يلمُّ بها حتى يُرَحِّلَ عنها صاحبَ الدارِ

- وقال غيره:

لا يَرُعْكَ المشيبُ يا ابنةَ عبد اللّـ ـهِ فالشيبُ زينةٌ ووقارُ
إنما تَحْسُنُ الرياضُ إذا ما ضحكتْ في خلالها الأنوارُ

- ومن أحسن ما قيل في مدح الشجاع قولُ المتنبي:

شجاعٌ كأن الحربَ عاشقةٌ له إذا زارها فَدَتْهُ بالخيل والرَّجْلِ

- قال بعضهم في القناعة:

اقتنعْ بالقوتِ واجعلْ كلَّ أيامك طاعهْ
ما أرى الدنيا تُساوي عند الحرِّ غمَّ ساعهْ

- وأحسن ما قيل في الهيبة قولُ بعضهم:

يُفضِي حياءً ويُفضَى من مهابته فما يُكلَّم إلا حينَ يَبْتَسمُ

- قال بعضهم في طبيبه:

إذا ســـقامٌ عـــراكَ نازلُـــه فانـــدبْ أبا جعفـــر لنازِلـــهِ
يعـرفُ مـا يشـتكيه صـاحبُه كأنَّـــه حـــلَّ في مفاصـــلِهِ

● من أحاسن ما قيل في الشكر قولُ أبي تمام:

لئن جحدتُك ما أوليتَ من حَسَنٍ إني لفي اللؤم أحظى منك في الكرمِ
رددتُ رونـــقَ وجهـــي في صـــحيفته ردَّ الصِّـــعَالِ بمـــاء الصـــارمِ الخَـــذَمِ
ومـا أُبالي – وخـيرُ القـولِ أصـدقُه – حقنتَ لي ماءَ وجهي أم حقنتَ دمي

● قال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر في العفو:

ذنـــــبي إليـــــك عظـــــيمٌ وأنـــــتَ أعظـــــمُ منـــــهُ
ضـــيَّعتُ عُرْفـــكَ عنـــدي ولم أصُـــــــــنْهُ فصُـــــــــنْهُ
إن لم أكـــــن في فعـــــالي حـــــرّاً كريمـــــاً فَكُنْـــــهُ

● أحسن ما قيل في مدح الصحة وذمّ المرض قولُ بشار:

إني وإن كـان جمـعُ المـال يُعجبـني فليس يَعْدِلُ عندي صحةَ الجسدِ
في المـال زيـنٌ وفي الأولادِ مكرمـةٌ والسَّقْمُ يُنسيكَ ذكرَ المالِ والولدِ

● ومن أحسن ما قيل في العتاب على ترك العيادة قولُ بعضهم:

لمـَّا اعتللـتُ تجـافى عـن مواصـلتي مـن كنـتُ أرصُـده للـبُرْءِ والسَّـقمِ
إن عاقَهُ الشُّغْلُ عن إتيانِ مكرمةٍ فلـم يَعُقْـهُ عـن القرطـاسِ والقلـمِ

- ويحسن قولُ الآخر:

حــقُّ العيــادةِ يــومٌ بــين يــومينِ في جِلْسةٍ لك مثل اللَّمْح بالعينِ
لا تُحــزنَنَّ مريضــاً في مُســاءلةٍ يكفيكَ مـن ذاك تَسـآل بحـرفينِ

- ومـن أحسـن مـا سمعـتُ في التهنئـة بمولـود قـولُ ابـن الرومي:

شمــسٌ وبــدرٌ وَلَــدا كوكبــا أقســمتُ بالله لقــد أنجبــا
ثلاثــةٌ تُشــرق أنوارُهــا لا بُـدِّلتْ مـن مشـرقٍ مَغْـرِبا
تبــارك الله وســبحانه أيُّ شــهابٍ مــنكمُ أثقبــا؟!

- ومن أحاسن ما قيل في مرثية الولد قولُ العتبي:

دعوتُـكَ يا بُـنَيَّ فلـم تُجبـني فـرُدَّت دعـوتي بأسـى عليَّـا
بموتِـك ماتَـتِ اللـذَّاتُ عـني وكانـت حيـةً إن كنـتَ حيَّـا
فيا أسفى عليك وطولَ شوقى إليـك لـو أن ذلـك ردَّ شـيَّا

- أحسنُ ما سمعتُ في الشمعة قولُ الصاحب:

ورائــقِ القــدِّ مســتحبّ يجمـعُ أوصـافَ كـلِّ صـبِّ
صـفرةُ لـونٍ وسـكبُ دمـعٍ وذوبُ جسـمٍ وحَـرُّ قلـبِ

- أحسنُ ما قيل في النهي عن احتقار العدوِّ الصغير:

فــلا تحتقــرنَّ عــدواً رمــا كَ ولو كان في ساعِدَيْهِ قِصَرْ
فــإن الســيوف تحــزُّ الرِّقــا ب وتعجـزُ أن تنـال الإبَـرْ!

● أحسنُ ما قيل في بخل الجواد قولُ بعضهم:

ورُبَّ جـــوادٍ يُمســـكُ الله جـــودَه كمـا يُمسـكُ الله السـحابَ عـن المطـرِ
ورُبَّ كـــــريمٍ تعتريـــــه كـــــزازةٌ كما قد يكونُ الشوكُ في أكرم الشجرِ

● وأحسنُ ما قيل في الوداع:

أيا عجـــبي ممـــن يمـــدُّ يمينَـــهُ الى إلفـــهِ يـــوم الـــوداع فيُســـرِعُ
ضـعفتُ عـن التوديـع لمـّا رأيتـه فصـافحتُه بالقلـبِ والعـينُ تـدمعُ

* * *

أخبار الحمقى والمغفلين[1]

لابن الجوزي

● قال زيد بن خالد: ليس أحدٌ أحمقَ من غنيٍّ قد أَمِنَ الفقرَ، وفقيرٍ قد أَيِسَ من الغنى!

---

(١) أخبار الحمقى والمغفلين من الفقهاء والمفسرين والرواة والمحدِّثين والشعراء والمتأدبين والكتّاب والمعلمين والتجار والمتسببين وطوائف تتصل للغفلة بسبب متين / تصنيف جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي.— بيروت: دار الكتب العلمية, ١٤٠٥هـ, ١٩٢ص.

ذكر المؤلف أن الهدف من جمع هذه الأخبار هو ثلاثة أشياء:

الأول: أن العاقل إذا سمع أخبارهم عرف قدر ما وُهب له مما حُرموه, فحثَّه ذلك على الشكر.

والثاني: أن ذكر المغفلين يحثُّ المتيقِّظ على اتقاء أسباب الغفلة إذا كان ذلك داخلاً تحت إمكان التمرُّن والتعلم, وأما إذا كانت الغفلة مجبولة في الطباع, فإنها لا تكاد تقبل التغيير.

والثالث: أن يروِّح الإنسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المنحوسين حظوظاً.. فإن النفس قد تملُّ من الدؤوب في الجد, وترتاح إلى بعض المباح في اللهو.

قال: وما زال العلماء والأفاضل يعجبهم المُلح ويهِشُّون لها, لأنها تجمُّ النفس, وتريح القلب من كدِّ الفكر. وقد وصف رجل من النسّاك عند عبيدالله بن عائشة فقالوا: جَدٌّ كلُّه, فقال: لقد أضاق على نفسه المرعى وقصر لها طول النهى, ولو فككها بالانتقال من حال إلى حال لتنفس عنها ضيق العقدة, وراجع الجدَّ بنشاط وجِدَّةٍ!

قلت: والكتاب متوفر مشهور, وقد سبق أن أوردت الكثير من أخباره, التي انتشرت في كتب عدة, أو أنه هو نقل من غيره, مثل كتاب الهفوات النادرة لغرس النعمة. كما ضربت صفحاً عن إيراد حكايات كثيرة لأنها لا تليق.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

● قال الحافظ أبو حاتم بن حبّان: علامة الحمق: سرعةُ الجواب، وتركُ التثبت، والإفراطُ في الضحك، وكثرةُ الالتفات، والوقيعةُ في الأخيار، والاختلاطُ بالأشرار. والأحمقُ إن أقبلتَ عليه اغترّ، وإن أحسنتَ إليه أساء إليك، وإن أسأتَ إليه أحسن إليك، وإن حلمتَ عنه جهل عليك، وإن جهلتَ عليه حلمَ عليك..!

● قال ابن أبي زياد: قال لي أبي: يا بني، الزمْ أهلَ العقل وجالسهم، واجتنبِ الحمقى، فإني ما جالستُ أحمق فقمتُ إلا وجدتُ النقصَ في عقلي!

● وعن الأعمش أنه قال: معاتبة الأحمق نفخٌ في تلِّيسة!

● أضلَّ هبنَّقة بعيراً له، فجعل ينادي: من وجده فهو له!

فقيل له: فلمَ تنشده؟!

قال: فأين حلاوةُ الوجدان؟!

● ومن الحمقى أو المغفلين أبو غبشان، رجلٌ من خزاعة، كان يلي الكعبة، فاجتمع مع قصي بن كلاب (سيد قريش في عصره) بالطائف على الشرب، فلما سكر اشترى منه قصي ولاية البيت بزقِّ خمر، وأخذ منه مفاتيحه، وسار بها إلى مكة، وقال: يا معشر قريش، هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل، ردَّها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم.

وأفاق أبو غبشان، فندم، فقيل: "أندم من أبي غبشان" و"أخسر من أبي غبشان" و"أحمق من أبي غبشان". قال بعضهم:

باعتْ خزاعةُ بيتَ الله إذ سكرتْ بزقِّ خمرٍ فبئست صفقةُ البادي
باعتْ سدانتَها بالخمر وانقرضت عن المقام وضلَّ البيتُ والنادي

- قال بعضهم لغلامه: أيَّ يومٍ صلينا الجمعة في الرصافة؟ ففكر الغلام ساعةً ثم قال: يومَ الثلاثاء!
- وقيل لبعض المغفَّلين: حدِّثْنا عن ابن عمر.

فقال: كان يحفُّ شاربه حتى يبدو بياضُ إبطيه!

- سمعَ جحا قائلاً يقول: ما أحسنَ القمر!

فقال: إي والله، خاصَّة في الليل!

- وكسر بعضهم لوزاً، فطارت لوزةٌ فقال: كلُّ شيء يهربُ من الموت حتى البهائم!
- وأتى غلامُ بعضهم يوماً بفرخ فقال: انظروا إلى هذا الفرخ ما أشبهه بأمه! ثم قال: أمه ذكرٌ أم أنثى؟!
- وذُكِرَ رجلٌ عند بعضهم فقال: أخبرتني أنه ولد أبوهُ وله ثمانون سنة!

● ومن النساء الحمقى المذكورات في الجاهلية: ريطة بنت عامر بن نمير، كانت تعلم رأس أولادها بالقزع (أي تقص بعضه وتترك البعض الآخر) لتعرف أولادها من أولاد غيرها!

● ليس في الحمق أعظم من ادعاء فرعون أنه الإله، وقد ضرب الحكماءُ له مثلاً فقالوا: أُدخل إبليس على فرعون فقال: من أنت؟ قال: إبليس. قال: ما جاء بك؟ قال: جئت أنظر إليك فأعجب من جنونك! قال: كيف؟ قال: عاديتُ مخلوقاً مثلي وامتنعتُ من السجود له فطُردتُ ولُعنت، وأنت تدَّعي أنك أنت الإله؟! هذا والله الجنونُ البارد!

● عن محمد بن عبدالله المنادي قال: كنا في دهليز بعضهم، فخرج إلينا وقال: ↓ ♍▫ 🗐 ❒◆✂ ❒◆✍♦ ⑷□○⇔➲↗❷↖❒♦♌ ↑ في أي سورة هو؟!

● عن يحيى بن أكثم قال: قدَّم رجلٌ ابنه إلى بعض القضاة ليحجرَ عليه، فقال القاضي: فيمَ الحَجْر؟

قال: أصلحك الله، إن كان يحسنُ آيتين من كتاب الله فلا تحجرْ عليه!

فقال له القاضي: اقرأ يا فتى. فقال:

أضــاعوني وأيَّ فــتى أضــاعوا ليــومٍ كريهــةٍ وســدادِ ثغــرِ

فقال أبوه: أصلحك الله، إن قرأ آيةً أخرى فلا تحجرْ عليه!

فحجرَ القاضي عليهما!

● جاء رجلٌ إلى الليث بن سعد فقال: كيف هو حديث: في الذي نشرت في أبيه القصة؟

فقال الليث: ويحك! إنما هو "في الذي يشرب في آنية الفضة".

● قال ابن خلف: اختصم رجلان في بعض الولاة، فلم يحسن أن يقضي بينهما، فضربهما وقال: الحمد لله الذي لم يفتني الظالمَ منهما!

● دخل بعضهم على المستعين بالله (من خلفاء الدولة العباسية، ت ٢٥٢هـ) وطرفٌ من عباءته مخرق، فسأله عن سبب ذلك فقال: اجتزتُ في الدرب وكان فيه كلب، فوطأتُ عباءته فخرق ذَنَبي!

فما تمالك المستعين أن ضحك!

● قال الرشيد لمولى لبني كلاب: كيف بصرك بالحكم؟

قال: الناسُ والبهائم عندي واحد في الحق، ولو وجب الحقُّ علي بهيمة وكانت أمي أو أختي لحددتُها، ولن تأخذني في الله لومةُ لائم!

● عرض بعضهم دوابه، فأصاب واحدة عجفاء مهزولة فقال: هاتوا الطباخ!

فبطحهُ وضربهُ خمسين مقرعة، وقال له: ما لهذه الدابة على هذه الحال؟

قال: يا سيدي أنا طباخ، ما علمي بأمر الدواب؟

قال: بالله أنت طباخ؟ فلِمَ لم تقل لي؟ اذهب الآن، فإذا كان غداً أضربُ السائس ستين مقرعة، يبقى عشرون، فطب نفساً!

● وعُرف عن أحدهم الحمق، فكان إذا أخطأ الفرسُ تحته يأمرُ بقطع علفه تأديباً له، فإذا قيل له في ذلك قال: أطعموهُ ولا تُعلموه أنني علمتُ بذلك!

● خاصم أبو دلامة رجلاً إلى عافية[1] فقال:

(١) عافية بن زيد القاضي, ولاه المهدي القضاء على بغداد.

لقــد خاصــمَتْني غُــواةُ الرجــال وخاصـــــمتُهم ســـــنةً وافيـــــهْ
فمـــا أدحـــضَ الله لي حجَّـــةً ومـــــا خيَّـــــبَ لي قافيـــــهْ
فمــن كنــتُ مــن جَــوْرِه خائفــاً فلســـتُ أخافـــكَ يا عافيـــهْ

فقال له عافية: لأشكونَّك لأمير المؤمنين: قال: لِمَ تشكوني؟ قال: لأنك هجوتني. قال: والله لئن شكوتني إليه ليعزلنَّك! قال: لِمَ؟ قال: لأنك لا تعرف الهجوَ من المدح!

● قال بعضُ الرواة: تقدَّم رجلان إلى قاضٍ بحرَّان، فقال أحدهما: أصلحَ الله القاضي، هذا ذبح ديكاً لي، فخذْ لي بحقي. فقال لهما القاضي: عليكما بصاحب الشرطة فإنه ينظرُ في الدماء!

● عن الحسين بن السميدع الأنطاكي قال: كان عندنا بأنطاكية عامل من حلب، وكان له كاتب أحمق، فغرقت في البحر "شلنديتان" من مراكب المسلمين التي يُقصَدُ بها العدو، فكتبَ ذلك الكاتب عن صاحبه إلى العامل بحلب يخبرهما: بسم الله الرحمن الرحيم، اعلم أيها الأمير أعزَّه الله تعالى، أن شلنديتين، أعني مركبين، قد صفقا من جانب البحر، أي غرقا من شدة أمواجه، فهلك من فيهما، أي تلفوا!

قال: فكتب إليه أمير حلب: بسم الله الرحمن الرحيم. ورد كتابك أي وصل، وفهمناه أي قرأناه، أدِّب كاتبك أي اصفعه،

واستبدلْ به أي اعزله، فإنه حائقٌ أي أحمق، والسلام أي انقضَى الكتاب!

● عن أبي أحمد الحارثي قال: كنتُ أعاشرُ بعض كتّاب الديلم، فسمعته مرة يحلف ويقول: والله الذي لا إله إلا هو، أعني به الطلاق والعتاق!

● عن عبدالله بن إبراهيم الموصلي قال: نابَ الحجّاجَ في صديق له مصيبة، ورسولٌ لعبدالملك بن مروان شامي عنده، فقال الحجّاج: ليت إنساناً يعزيني بأبيات. فقال الشامي: أقول؟ قال: قل. فقال: وكلُّ خليل سوف يفارقُ خليله، يموت أو يُصاب أو يقع من فوق البيت، أو يقعُ البيت عليه، أو يقع في بئر، أو يكون شيئاً لا نعرفه.

فقال الحجاج: قد سليتني عن مصيبتي بأعظم منها في أمير المؤمنين إذ وجَّه مثلك لي رسولاً!

● كتب بعضهم إلى طبيب: بسم الله الرحمن الرحيم. ويلك يا يوحنا وأمتع بك، قد شربتُ الدواء خمسين مقعداً، المغصُ والتقطيعُ يفتلُ بطني والعينين والرأس، فلا تؤخر باحتباسك عني، فسوف تعلمُ أني سأموت وتبقى بلا أنا، فعلت موفقاً إن شاء الله.

● وكتب بعضهم إلى صديق له: بسم الله الرحمن الرحيم، وجعلني الله فداك، لولا علةٌ نسيتها لسرتُ إليك حتى أعرفك بنفسي والسلام!

● وكتب رجل إلى أبيه: كتبتُ إليك يا أبتِ، نحن كما يسرُّك من الله عونه وتوفيقه، ولم يحدث علينا بعدك إلا كلُّ خير، إلا أن حائطاً لنا وقعَ على أمي وأخي الصغير وأختي والجارية والحمار والديك والشاة، ولم يفلتْ غيري!

● قدم أعرابي على بعض أقاربه بالبصرة، فدفعوا له ثوباً ليقطع منه قميصاً. فدفع الثوبَ إلى الخياط، ففصلَ عليه، ثم قطع منه، فقال له: لِمَ قطعتَ ثوبي؟ قال: لا يمكن خياطته إلا بقطعه. وكان مع الأعرابي هراوة، فعلا بها عليه وشجَّه، فرمى الخياط بالثوب وهرب. فتبعه الأعرابي وهو ينشد:

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله ... فيما مضى من سالفِ الأحقابِ
من فعلِ علجٍ جئتُه ليخيطَ لي ... ثوباً فخرَّقهُ كفعلِ مصابِ
فعلوتُه بهراوةٍ كانت معي ... فسعى وأدبرَ هارباً للبابِ
أيشقُّ ثوبي ثم يقعدُ آمناً ... كلاً ومنزّل سورةِ الأحزابِ

● قال بعض الأعراب: لنا تمرٌ تضعُ التمرةَ في فيكَ فتبلغُ حلاوتُها إلى كعبك!

● ودعا أعرابي بمكة لأمه، فقيل له: ما بالُ أبيك؟ قال: ذاك رجلٌ يحتالُ لنفسه!

● وكان أعرابي يصلي، فأخذ قومٌ يمدحونهُ ويصفونهُ بالصلاح، فقطع صلاته وقال: مع هذا فإني صائم!

● وعن ميمون بن هارون قال: قال رجلٌ لصديق له: ما فعل فلان بحمارِه؟ قال: باعِهِ!

قال: قل: باعَهُ. قال: فلِمَ قلتَ بحمارِه؟ قال: الباءُ تجرُّ. قال: فمن جعلَ باءك تجرُّ وبائي ترفع؟!

● وقدم على ابن علقمة النحوي ابنُ أخٍ له، فقال له: ما فعل أبوك؟ قال: مات. قال: وما فعلت علَّته؟ قال: ورمت قدميه. قال: قل قدماه. قال: فارتفعَ الورمُ إلى ركبتاه.

قال: قل ركبتيه، فقال: دعني يا عم، فما موتُ أبي بأشدَّ عليَّ من نحوك هذا!

● وعن أبي القاسم الحسن قال: كتب بعضُ الناس: كتبتُ من طيس (يريد طوس)! فقيل له في ذلك فقال: لأن "مِنْ" تخفض ما بعدها. فقيل: إنما تخفض حرفاً واحداً، لا بلداً له خمسمائة قرية!

● وفي حلقة أبي سعيد السيرافي النحوي لمح طلبةُ العلم قدومَ شخص عليه ثيابٌ فخمة، وسيفٌ ومنطقة، فقام الناس

وأجلُّوه. فلما جلس قال للشيخ: لقد تعلمتُ شيئاً من النحو.. وأنا أسألك، "المحبرة" اسم أو فعل أو حرف؟

فسكت الشيخ قليلاً ثم قال: حرف!

فلما قام ذلك الرجلُ لم يقم له أحد!

● كان أبو القاسم بن برهان الأسدي (عالم باللغة والنحو وأيام العرب) يقول لأصحابه: إياكم والنحو بين العامة، فإنه كاللحن بين الخاصة!

قال ابن عقيل: وتعليلُ هذا أن التحقيقَ بين المحرفين ضائع، وتضييعُ العلم لا يحلّ.

وعن أبي زيد النحوي قال: وقفتُ على قصّاب وعنده بطون، فقلت: بكم البطنان؟ فقال: بدرهمان يا ثقيلان!

● وعن أبي حمزة المؤدِّب قال: دخل أبو علقمة النحوي سوق الجرّارين بالكوفة، فوقف على جرّار فقال: أجدُ عندك جرَّةً لا فقداءَ ولا دبّاء ولا مغربلةَ الجوانب؟ ولتكن نجويةً خضراء نضراء، قد خفَّ محملها، وأتعبتْ صانعها، قد مسَّتها النار بألسنتها، إن نقرتَها طنَّت، وإن أصابتها الريحُ رنَّت؟

فرفع الجرَّار رأسه إليه ثم قال له: النطس بكور الجروان أحر وجكي، والدقس باني والطبر لي شك لك بك، ثم صاح الجرار:

يا غلام، شرّجْ ثم درِّبْ وإلى الوالي فقرِّب. يا أيها الناس، من ابتُلي بمثل ما نحن فيه؟

● وعن الصولي قال: كان لبعضهم ابنٌ فقال لأبيه: إني قد قلت شعراً. قال: أنشدينه.

قال: فإن أجدتُ تهب لي جاريةً أو غلاماً؟ قال: أعطيك الاثنين! فأنشده:

إن الـــــديارَ طيفـــــاً هـيَّجْنَ حـزناً قـد عفـا
أبكينـــــني لشـــــقاوتي وجعلـــنَ رأســـي كالقفـا

فقال: يا بني، والله ما تستاهل جارية ولا غلاماً، ولكن أمكَ مني طالقٌ ثلاثاً إذا ولدتْ مثلك!

● وعن ابن خلف قال: جاء يوماً رجلٌ من عرس، فسأله بعضهم ما أكل؟ فأقبل يصف له، فقال: ليت ما في بطنك في حلقي!

● وحكى أبو منصور الثعالبي أن رجلاً سأل سيفويه عن "الغِسْلين" في كتاب الله تعالى فقال: على الخبير سقطت! سألتُ عنه شيخاً فقيهاً من أهل الحجاز فما كان عندهُ قليل ولا كثير!

● حكى أبو محمد التميمي أن أبا الحسن السمّاك الواعظ دخل عليهم يوماً وهم يتكلمون في "أبابيل"، فقال: في أي

شيء أنتم؟ فقالوا: نحن في ألفِ "أبابيل"، هل هو ألفُ وصلٍ أو ألفُ قطع؟ قال: لا ألفُ وصلٍ ولا ألفُ قطع، وإنما هو ألفُ سخط، ألا ترون أنه بلبلَ عليهم عيشهم؟! فضحك القومُ من ذلك.

● قال بعض القصّاص: يا معشر الناس، إذا سُمِّي الله على الطعامِ والشرابِ لم يقربه الشيطان، فكلوا خبزَ الأرز المالح ولا تسمُّوا ليأكل معكم، ثم اشربوا الماء وسمُّوا حتى تقتلوهُ عطشاً!

● قال الجاحظ: مررتُ بمعلم صبيان وهو جالسٌ وحده وليس عنده صبيانه، فقلت: له: ما فعل صبيانك؟ قال: ذهبوا يتصافعون! فقلت: أذهبُ وأنظرُ إليهم؟ فقال: إن كان ولابدَّ فغطِّ رأسكَ لئلا يحسبوك أنا فيصفعوكَ حتى تعمَى!

● قال: ورأيت معلماً قد جاءه غلامان، قد تعلق كلُّ واحد منهما بالآخر، فقال: يا معلم هذا عضَّ أذني، فقال: ما عضضتها وإنما عضَّ أذن نفسه! فقال: اسكت، وهل هو جملٌ حتى يعضَّ أذنَ نفسه؟!

● وقال: من أعجب ما رأيت، معلِّماً بالكوفة وهو شيخٌ جالسٌ ناحيةَ من الصبيان يبكي، فقلت له: يا عمّ ممَّ تبكي؟ قال: سرق الصبيان خبزي!

● عن نافع قال: كان ابن عمر يمازح جارةً له فيقول:

خلقني خالقُ الكِرام، وخلقك خالقُ اللئام! فتغضبُ وتبكي، ويضحكُ ابن عمر!

● وعن ثمامة بن أشرس قال: شهدتُ رجلاً وقد قدَّم خصماً له إلى بعضِ الولاة فقال: أصلحك الله، أنا رافضيٌّ ناصبي، وخصمي جهميٌّ مشبِّهٌ مجسِّمٌ قَدَريّ، يشتمُ الحجّاجَ بن الزبير الذي هدم الكعبة على علي بن أبي سفيان، ويلعن معاوية بن أبي طالب!

فقال له الوالي: ما أدري ممَّ أتعجب؟! من علمك بالأنساب أم من معرفتك الألقاب!

قال: أصلحك الله، ما خرجت من الكُتَّاب حتى تعلمت هذا كله!

● عن المرزبان قال: أخبرني بعض أصحابنا قال: قال رجل لرجل في يوم بارد: أصبُّ عليك جرَّةَ ماء وأعطيك درهماً!

فلتكأ، فقال آخر: افعل ذلك عليَّ والدرهمُ بيني وبينه!

● وعنه قال: أخبرني بعض الأدباء قال: قال رجلٌ من العراق لرجلٍ من الشام في كلامٍ جرى بينهما: حلق الله لحيتك! فقال: بمكة إن شاء الله!

● قال: وتقدَّم رجلٌ إلى بعض الفقهاء فقال له: الرجلُ إذا

خرجت منه الريح تجوزُ صلاته؟ قال: لا. قال: قد فعلتُ أنا وجاز!

● وعن الحارثي قال: قال رجلٌ لامرأته وقد غضب عليها: يا هذه، أنا الذي إذا رأيتُ المرأة تأتي بقبيحٍ أهينها وأهينُ من يُهينها!

● وحان وقتُ ولادة أم الهذيل، فقيل لأبي الهذيل: امضِ خلف القابلة. فجاءها فقال: اذهبي إلى بيتنا فإن امرأتي تريد أن تلد، واحرصي أن يكون غلاماً ولكِ عليَّ دينار!

● قيل لغندر: إن الناس يعظمون أمرَ السلامة التي فيك، فحدِّثنا منها بشيء صحيح.

قال: صمتُ يوماً، فأكلت ثلاثَ مراتٍ ناسياً!

● وقال: سمعتُ أبي يقول: قال المأمون: اخترْ لي اسماً أسمِّي به جاريتي هذه. قال: سمِّها "مسجد دمشق" فإنه أحسنُ شيء!

● وكان رجل يقول لعمرو بن دينار: أنا أبصرُ بالنجوم. فقال عمرو: أتعرفُ الهقعةَ والقنعةَ والوقعة؟ قال: نعم. قال: الآن لا تعلمُ من النجوم شيئاً.

● وقع بين جارٍ وجارٍ له يكنى أبا عيسى كلام، فقال:

اللهم خذ مني لأبي عيسى! فقالوا: تدعو على نفسك! قال: فخذ لأبي عيسى مني[1]!

● قال ابن الفرج: حدثني أبي قال: رأيتُ إنساناً يدغدغ نفسه، فقلت له: لِمَ تفعل هذا؟

قال: اعتممتُ، فأردتُ أن أضحكَ قليلاً!

● قال ابن خلف: أخبرني بعض أصحابنا قال: أراد أحدهم الخروج إلى بغداد، فوضعَ سلماً، وجعل يصعدُ وينزل! فقيل له: ما تصنع؟ قال: أتعلمُ السفر!

● قال: وأخبرني بعض أهل الأدب فقال: أرادَ رجلٌ أن يختنَ ابنه، فقال للحجّام: ارفقْ به فإنه ما اختتنَ قط!

● وكان لبعضهم وكيل، فقدمَ من ضيعته، فقال له: متى قدمت؟ قال: غداً يا سيدي! قال: فأنت إذن في الطريق!

● وقال أبو الحسن بن عمر: بعتُ داراً لي، فكنتُ كلما أذَّنتُ بباب المسجد أنسى أني بعتُها، فأصلّي وأرجع إليها، وأفتحُ البابَ وأدخل، فتصيح بي النساء: يا رجل اتقِ الله فينا! فأقول: اعذرنني: فإنني ولدتُ في هذه الدار، وأنسى كل يوم.

---

(١) والصحيح أن يقول: خذ لي من أبي عيسى.

إلى أن أتى على ذلك مدَّة!

● قال أبو علي الداراني: وكان أحدهم يحضرُ مجالس الفقه، وكان شدَيد الغفلة، فقال يوماً لابن عقيل: كيف مذهبكم في المرأة؟ هل يجوزُ أن يزوِّجها ابنُها؟ فقال له ابن عقيل: في ذلك تفصيل، إن كانت بكراً جاز، وإن كانت ثيباً لا يجوز. فقال: ما سمعتُ هذا التفصيل قط!

● وسُئل مرة: ما تقول في فأرة ميتة مشتْ على شيء هل ينجس؟ فقال: لا!

● وكان بواسط رجلٌ إلى جانبِ دارِه اصطبل، فقال له أهله: إنا نغسل الثيابَ في السطح، فيطيرُ بعضها إلى الاصطبل فلا يردُّونه علينا؟ فقال: وأنتم إذا طارَ لهم شيء فلا تردُّوه. قالوا: أيُّ شيء يطيرُ من أرضِ الاصطبل إلى سطحنا؟ قال: أي شيء طار، مثل لجام ومقود وفرس وغيره!

● دخل بعضُ المغفَّلين على مريضٍ يعوده، فلما خرج التفتَ إلى أهله وقال: لا تفعلوا بنا كما فعلتم في فلان، مات ولم تُعلمونا! إذا مات هذا فأعلمونا حتى نصلِّي عليه!

● ودخلت عجوزٌ على قوم تعزيهم بميت، فرأت في الدارِ

مريضاً، فرجعت وقالت: أنا والله يصعبُ عليَّ المشي، فأحسنَ الله عزاءكم في هذا المريض أيضاً.

● كان بعض المغفَّلين يأكلُ مع ابنه رأساً، وكان أبوهُ أكثرَ تغفلاً منه، فقال: يا أبتِ إن خرجَ عليك الكعبُ فأعطني إياه لألعبَ به! فقال أبوه: سخنت عينك، وهل هو سمكٌ مشوي حتى يكونَ فيه كعب؟!

● جاءت امرأةٌ القاضيَ وذكرت أن زوجها طلَّقها، فقال القاضي: لكِ بيّنة؟ فقالت: نعم، جارٌ لنا، قال: فأحضرته، فقال القاضي: أسمعتَ طلاقَ هذه المرأة؟ فقال: يا سيدي خرجتُ إلى السوق، فاشتريتُ لحماً وخبزاً ودبساً وزعفراناً، فقال له القاضي: ما سألتك عن هذا، هل سمعتَ طلاقَ هذه المرأة؟ قال: ثم تركتُه في البيت وعدتُ فاشتريتُ حطباً وخَلاً، فقال: دعْ هذا عنك، فقال ما أُحْسِنُ الحديثَ إلا من أوله، ثم قال: جلتُ في الدار جولة، فسمعتُ زعقاتهم، وسمعت الطلاقَ الثلاث، فما أدري أهي طلَّقتهُ أم هو طلَّقها!

● ذهب بَصَرُ عمرو بن هذاب، فدخل عليه بعضهم، فقام بين يديه وقال: يا أبا أسيد، لا تجزعنَّ من ذهابِ عينيك وإن كانتا كريمتين عليك، فإنك لو رأيتَ ثوابهما في ميزانك تمنيتَ أن يكوم الله قد قطع يدكَ ورجليك ودقَّ ظهرك وأدمى

ظلفك!

قال: فصاحَ به القوم، وضحكَ بعضهم!

فقال عمرو: معناهُ صحيح، ونيتهُ حسنة، وإن كان قد أخطأ في اللفظ.

● قال أحمق لغلامه: إذا مررنا بالطبيب فذكِّرني وجعَ ضرسي حتى أسأله عن الدواء. فقال: يا مولاي إن كان ضرسك يوجعكَ فسوف تذكره.

● دخل أحمق على مريض فقال: إذا رأيتم المريضَ على هذه الحال فاغسلوا أيديكم منه!

● قيل لكثير: إن الناس محدِّثون أنك الدجّال؟

فقال: والله لئن قلتم هذا إني لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام!

● حضرَ رجلٌ مع قوم في جنازة رجل، فنظرَ إلى أخ الميت فقال: هذا الميت أم أخوه؟!

● حُكي أن بعض المغفَّلين مسكَ كلباً وعضَّه فقال: هذا عضَّني منذ أيام، وأنا أريد أن أخالف قول القائل:

شـــاتمني عبـــدُ بـــني مَسْـــمَعٍ فصِـنتُ عَنْـه الـنّفسَ والعِرْضَـا
ولم أجبْـــهُ لاحتقـــاري لـــه ومَـنْ يَعَـضُّ الكلـبَ إنْ عضَّـا

● سُئل بعضهم عن مولده فقال: ولدت رأسَ الهلال للنصفِ من رمضان، بعد العيدِ بثلاثة أيام، احسبوا الآن كيف شئتم!

● دعا بعض المغفَّلين فقال: اللهم ارزقني خمسة آلاف درهم حتى أتصدَّق منها بألفي درهم، وإن لم تصدِّقني فادفعْ إليَّ ثلاثة آلاف درهم واحبس الباقي، فإن تصدَّقتُ وإلا فتصدَّقْ بها على من شئت!

● شوهد رجلٌ على حمار يضربه، فقيل له: ارفقْ به، فقال: إذا لم يقدر يمشي فلِمَ صار حماراً؟!

● كان لبعض الأدباء ابنٌ أحمق، وكان مع ذلك كثيرَ الكلام، فقال له أبوهُ ذات يوم: يا بني لو اختصرتَ كلامك إذ كنتَ لستَ تأتي بالصواب؟ قال: نعم، فأتاه يوماً فقال: من أين أقبلتَ يا بني؟

قال: من (سوق) قال: لا تختصرها هنا، زد الألف واللام، قال: من (سوقال) قال: قدِّم الألف واللام، قال: من (ألف لام سوق) قال: وما عليك لو قلتَ: (السوق) فوالله ما أردتَ في اختصارك إلا تطويلاً.

● سأل بعضهم مَن يعرفُ الأدبَ أن يعلمه شيئاً من العربية، فقال: إذا دخلتَ على أحد فقل: أنعم الله صباحك.

فربما كان يدخل على أحدهم آخر النهار فيقول: أنعم الله صباحك. فيضحك!

● قال عبدالله بن محمد: قلت لرجل مرة: كم في هذا الشهر من يوم؟

فنظر إليَّ وقال: لست أنا والله من هذا البلد!

● انكسرت خشبةٌ في سقف بعضهم، فمضى يشتري عوضها، فقيل: كم تريد طولها؟ فقال: سبعة في ثمانية!

● وقال بعضهم: وُلد لي غلام الليلة فسمَّيته باسم خالته!

● أصيبَ بعضهم بمصيبة فقيل له: عظَّم الله أجرك. فقال: سمعَ الله لمن حمده[1].

● شهد رجلٌ عند والٍ فقال: سمعت بأذني (وأشار إلى عينيه) ورأيت بعيني (وأشار إلى أذنيه) بأنه جاء، إلى رجلٍ فتلبَّب بعنقه (وأشار إلى صدره) ومازال يضربُ خاصرته (وأشار إلى فكه).

---

(١) قلت: هو أفضلُ حالاً من معاصرٍ قيل له عندما عطس: يرحمك الله, فقال: معليش!

فقال له الوالي: أحسبك قد قرأت "كتاب خلق الإنسان"، قال: نعم، قرأته على الأصمعي.

● دخل بعض المغفَّلين إلى بعض القضاة، فجلس بين يديه فقال: أعدمني الله القاضي، مات فلان والذي ما خلفوا بعدي سواهم، وهو ذا يظلموني إخوتي، نسيباتي تسعة وهم واحد، وكل يوم يجعلون عمامتي في عنق القاضي يجرونه إليّ.

فقال القاضي: ليس الممتحن غيري!

● سمع بعض الحمقى قوماً يتذاكرون الموت وأهواله فقال: لو لم يكن في الموت إلا أنك لا تقدر أن تتنفس لكفى!

● قال ثمامة لخادمه: اذهب إلى السوق واحمل كذا وكذا، فقال: يا سيدي وهل أنا ناقة؟ وليس في ركبتي دماغ؟ فقال ثمامة: ولا في رأسك!

● دخل رجلٌ على المعتضد فقال: يا أمير المؤمنين، إن فلاناً العامل ظلمني، قال: ومن فلان؟ قال والله لا أدري اسمه، ولكن في خدِّه الأيمن خال، أو ثؤلول، أو أثر لطمة، أو أثر حرق نار، أو أثر مسمار، أو في خدِّه الأيسر، وكان له مرة غلامٌ يقال له جرير أو نجم، إلا أن في اسمه طاء أو لام.

فضحك المعتضد، وقال: كأنه موسوس؟ قال: سلني عما شئت حتى أجيبك، قال: كم أصبع لك؟ قال ثلاثة أرجل.

فأمر بإخراجه، فقال: ما أقول لبنتي إذا دخلت وقد فتحت حجرها لأطرح فيه الجوز يوم العيد؟ فأمر المعتضد أن يحمل معه إلى منزله طعام وجائزة.

● سأل رجلٌ أبا عبيدة عن اسم رجل فقال: ما أعرف. فقال له بعض أصحابه: أنا أعرفُ الناس به، اسمه خراش، أو خداش، أو رياش، أو شيء آخر!

● مرض صديق لحامد بن العباس (وزير عباسي) فأراد أن ينفذ ابنه إليه ليعوده، فأوصاه وقال: يا بني، إذا دخلتَ فاجلس في أرفع المواضع، وقل للمريض: ما تشكو؟ فإذا قال كذا وكذا، فقل له سليمٌ إن شاء الله، وقل: من يجيؤك من الأطباء؟ فإذا قال فلان، فقل ميمون، وقل: ما غذاؤك؟ فإذا قال كذا وكذا، فقل: طعام محمود.

فذهب، فدخل على العليل وكان بين يديه مسرجة، فجلس عليها لارتفاعها فوقعت على صدر العليل فأوجعته، ثم قال للمريض: ما تشكو؟ فقال: أشكو علةَ الموت، فقال: سليمٌ إن شاء الله، فمن يجيؤك من الأطباء؟ قال ملكُ الموت، قال مبارك ميمون، فما غذاؤك؟ قال: سمُّ الموت. قال: طعامٌ طيِّبٌ محمود!

● كان بسجستان شيخٌ يتعاطى النحو، وكان له ابن، فقال لابنه: إذا أردتَ أن تتكلم بشيء فأعرضه على عقلك، وفكر فيه بجهدك، حتى تقوِّمه، ثم أخرج الكلمة مقوَّمة.

فبينما هما جالسان في بعض الأيام في الشتاء والنار تتقد، وقعت شرارةٌ في جبة خزٍّ كانت على الأب وهو غافل والابن يراه، فسكت ساعة يفكر ثم قال: يا أبت أريد أن أقول شيئاً فتأذن لي فيه؟ قال أبوه: إن حقاً فتكلم، قال: أراه حقاً، فقال: قل. قال: إني أرى شيئاً أحمر قال: وما هو؟ قال شرارة وقعت في جبتك. فنظر الأب إلى جبته وقد احترق منها قطعة، فقال للابن: لِمَ لم تُعلمني سريعاً؟ قال: فكرت فيه كما أمرتني، ثم قوَّمت الكلامَ وتكلمت فيه.

فحلف أبوه بالطلاق أن لا يتكلم بالنحو أبداً.

● قال بعضهم: مررتُ بسوقٍ وقد اجتمع فيه قومٌ على رجلٍ يضربونه، فقلت: ما ذنبُ هذا؟ قالوا شتم معاوية بن أبي سفيان، الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم أربعين سنة على طُهر واحد، وكان من المهاجرين والأنصار، وسِمّي خالَ المؤمنين لأنه كان أخا حواء من أمها وأبيها!

● وقال مغفَّل لآخر: أبو بكر أفضل أم عمر؟ قال: لا بل عمر! قال: وكيف علمت؟ قال: لأنه لما مات أبو بكر جاء عمر إلى جنازته، ولما مات عمر لم يجئ أبو بكر لجنازته!

● اجتمعَ رجلان في طريق الحج، فقال أحدهما للآخر: كم قد حججت؟

قال: مع هذه التي نحن فيها واحدة!

● قال بعض الناس لمملوكه: اخرج وانظرْ هل السماء مصحيَّة أو مغيَّمة؟ فخرج، ثم عاد فقال: والله ما تركني المطر أنظر هل هي مغيَّمة أم لا.

● جاء رجلٌ إلى أبي حكيم الفقيه، ومع الرجل ابنته ليزوِّجها من رجل، فقال له الشيخ: أبكرٌ ابنتك أم ثيِّب؟ فقال: والله يا سيدي ما هي لا بكر ولا ثيب، ولكنها وسطة، فقال الشيخ: فأيش هي، عَوان بين ذلك؟ فضحك الجماعة، وذلك الوالد لا يدري!

● عن أبي محمد بن معروف قال: كان يلزمني فتى نصراني حسنَ الخط مليحَ الشعر، إلا أنه كان سوداوياً، فحكم لنفسه أنه يموت في اليوم الفلاني! فجاء ذلك اليوم وهو صحيح، فخاصم امرأتَه، وترقى الشرُّ بينهما إلى أن أخذ عمود الهاون ودقَّ به رأسها فماتت، فجزع جزعاً شديداً فقال: قد علمتُ أنه يوم قُطع عليّ، ولابدَّ أن أموت فيه، والساعةَ يجيء أصحابُ الشرطة فيأخذوني فيقتلوني، فأنا أقتلُ نفسي عزيزاً

أحبُّ إليَّ. فأخذ سكيناً فشق بها بطنه، فأدركته حلاوةُ الحياة، فلم يتمكن من تخريقها، فسقطت السكين، فقال: هذا ليس بشيء، فصعد إلى السطح فرمى نفسه إلى الأرض فلم يمت، واندقَّت عظامه، فجاء صاحبُ الشرطة فأخذوه، فلما كان آخر الليل مات!

● عن أبي الحسن علي بن نظيف المتكلم قال: كان يحضر معنا ببغداد شيخ، فحدَّثنا أنه دخلَ على شيخ، قال: فوجدته وبين يديه سنَّور وهو يمسحها ويحكُّ بين عينيها ورأسها، وعيناها تدمعان كما جرت عادةُ السنانير، وهو يبكي بكاء شديداً، فقلت له: لِمَ تبكي؟ فقال: ويحك ما ترى هذه السنَّور تبكي كلما مسحتها، هذه أمي لا شكّ، وإنما تبكي حسرةً من رؤيتها إليَّ.

قال: فأخذ يخاطبها بخطاب من عنده ظاناً أنها تفهم عنه، وجعلت السنَّورُ تصيح قليلاً قليلاً، فقلت له: فهي تفهمُ عنك ما تخاطبها به؟ قال: نعم، فقلت له: أتفهمُ أنت عنها خطابها؟ قال: لا، قلت: فأنت إذن الممسوخُ وهي الإنسان!

* * *

أخبار وحكايات[1]

للغسَّاني

أتي رجلٌ علياً رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، ما الإيمان؟

قال: الإيمانُ على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد.

- والصبرُ منها على أربع شُعب: على الشوق، والشفَق، والزهادة، والترقُّب.

- فمن اشتاقَ إلى الجنة سلا عن الشهوات.

ومن أشفقَ من النار رجع عن الحرمات.

---

(١) أخبار وحكايات / تأليف أبي الحسن محمد بن الفيض الغساني؛ عني بتحقيقه إبراهيم صالح.— دمشق: دار البشائر, ١٤١٤هـ, ٧٥ص.

وهو كما يفهم من عنوانه.. طائفة من الأخبار والحكايات الهادفة, الدينية منها والتاريخية, ليست مرتبة ولا هي مبوبة, لكنها جميعاً مسندة, وتعود أهميتها إلى قدم مؤلِّفها, حيث صار كتابه هذا مصدراً لمن بعده, من رواة الأخبار وأصحاب الزهديات, بل هو مورد مهم من موارد الحافظ ابن عساكر في كتابه "تاريخ مدينة دمشق", كما ذكر ذلك المحقق.

والمؤلف محدِّث مسند معمَّر, من دمشق. كان صاحب حديث ومعرفة, وهو صدوق إن شاء الله. حدَّث عن صفوان المؤذن وهشام بن عمَّار وابن أبي الحواري وآخرين, وحدَّث عنه جماعة. ت ٣١٥هـ.

ومن زهدَ في الدنيا هانت عليه المصيبات.

ومن ارتقبَ الموت سارعَ إلى الخيرات.

- واليقينُ منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأوُّل الحكمة[1]، وموعظة العبرة، وسُنَّة الأولين.

فمن تبصَّر الفطنةَ تأوَّل الحكمة.

ومن تأوَّل الحكمةَ عرف العبرة.

ومن عرف العبرة كأنما كان في الأولين.

- والعدلُ منها على أربع شعب: على غامضِ الفهم[2]، وزهرة العلم، وروضة الحِلم، وشرائع الحِكَم.

فمن فَهِمَ فسَّر جميلَ العلم.

ومن عَلِمَ عرَف شرائع الحِكَم.

ومن حَلُم لم يفرِّط أمرَهُ، وعاشَ في الناس حميداً.

- والجهادُ منها على أربع شُعب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدقِ في المواطن، وشنآن الفاسقين[3].

فمن أمرَ بالمعروف شدَّ ظهر المؤمن.

---

(١) يعني فسَّرها وعرف معناها.

(٢) أي عرف المسائل الصعبة؟

(٣) أي بغضهم.

ومن نهى عن المنكر قصف ظهرَ الفاسق.

ومن صَدَقَ في المواطن قضى ما عليه.

ومن شَنِئَ الفاسقينَ وغضب لله عزَّ وجلَّ، غضبَ الله له.

فقام الرجل فقبَّل رأسه ثم قال: صدقتَ يا أمير المؤمنين.

● قال عيسى عليه السلام: يا ابنَ آدم، إن كان القليلُ الذي يكفيك لا يغنيك، فكذلك الكثيرُ الذي يغنيك لا يكفيك.

● قال سعيد بن المسيِّب رحمه الله: ليس شيءٌ أحطَّ للذنوب من برِّ الوالدين.

● لمَّا حضرت معاويةَ بن أبي سفيان الوفاة، جمع أهله فقال: ألستم أهلي الذين كان كدِّي ومتعبتي لكم؟.

● قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، بِنَا فَداك الله.

قال: فإن الموتَ قد وقعَ في رجلي. فبكوا، ثم صاحوا. ثم أشار إليهم فسكتوا. ثم أمرهم فأنزلهم عن فراشه، وجعلوا ينزلونه وهو يقول: إنكم لَتَقْلِبون رجلاً قلباً[1] إن خلصت قدماهُ غداً من النار.

---

(١) قلَب الله فلاناً إليه: توفّاه. وقلب الداء فلاناً: أصابه في قلبه.

ثم ألصق خدَّه بالأرض وقال: اللهم إني عبدك، وابنُ عبدك، وابنُ أَمَتِكَ، اللهم إنَّ رحمتَكَ وَسِعَتْ كلَّ شيء فلتسعني، اللهم إن رحمتكَ... لم يزل يردِّدها حتى مات.

● ضيَّع أحدُهم مائةَ دينار، فعرَّفها وقال: من وجدها فله عشرون ديناراً. فأقبل الذي وجدها فقال: هذا مالك، فأعطني الذي جعلتَ لي.

فقال صاحبُ المال: كان مالي عشرون ومائة دينار.

فاختصما إلى الصحابي الجليل فضالة بن عبيد قاضي دمشق، فقال لصاحب المال: أليس كان مالُك عشرين ومائة دينار كما تذكر؟

قال: بلى.

فقال للرجل الذي وجد المال: أليس الذي وجدت مائة؟

قال: بلى.

قال: فاحبس هذا المال ولا تدفعه إليه، فليس بماله، حتى يجيء صاحبه.

● جلس سليمان بن عبد الملك في بيتٍ أخضر، على وطاء أخضر، عليه ثياب خُضر، ثم نظر إلى وجهه في المرآة،

فأعجبه شبابه وجمالُه، فقال: كان محمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وكان أبو بكر رضي الله عنه صدّيقاً، وكان عمر رضي الله عنه فاروقاً، وكان عثمان رضي الله عنه حييّاً، وكان معاوية رضي الله عنه حليماً، وكان يزيد صبوراً، وكان عبد الملك سائساً، وكان الوليد جبّاراً، وأنا الملك الشابّ!

فما دار عليه الشهرُ حتى هَلَك!

● لمّا بنى معاويةُ "الخضراء" بدمشق، وهي دارُ الإمارة، بناها بالطُّوب. فلما فرغ منها، قدم عليه رسولُ ملك الروم، فنظر إليها، فقال له معاوية: كيف ترى هذا البنيان؟

قال: أما أعلاه فللعصافير، وأما أسفله فللفأر!

قال: فنقضها معاوية وبناها بالحجارة.

● بعد موت الحجاج، أراد سليمان بن عبدالملك أن يعيّن كاتبه "يزيد بن أبي مسلم القيسي". لكن عمر بن عبدالعزيز ناشده أن لا يستكتبه. فقال له سليمان: يا أبا حفص، إني قد كَشَفْتُه فلم أجد عليه خيانة.

فقال عمر: أنا أُوجدك من هو أعفُّ عن الدينار والدرهم منه.

فقال له سليمان: ومن هذا؟

قال: إبليس! ما مسَّ ديناراً ولا درهماً بيده، وقد أهلك هذا الخلق! فتركهُ سليمان.

● أقبل رجلٌ إلى العالم الثقة هشام بن يحيى الغساني فقال: اكتب إلى مالك بن دَلْهَم (والي مصر) يستعملني.

فكتب له الكتاب، فلما عنونه كتب: من هشام بن يحيى إلى مالك بن دلهم.

فقال له الرجل: ما آخذُ الكتابَ حتى تبدأ بمالك في العنوان!

فقال: ويحك! هذه سبيلي وسبيلُ من أكتبُ إليه!

فأبى؛ فكتب له الذي أراد. فلما ورد على مالكٍ إلى مصر قال: ما هذا كتابُه، إنه عوَّدني أن يبدأ بنفسه في كتابه.

فقال له الرجل: قد أراد أن يفعل ذلك، فأنا سألته هذا.

قال: لستُ أقبله حتى ترجع فيكتبَ بخطِّه.

فرجع إلى هشام من مصر، فكتبه، وابتدأ بنفسه.

فلما ورد الكتابُ على مالك قال: الآن صحَّ كتابُك، فولّاه ما أراد!

● أنشد أحمد بن صاعد لنفسه:

ألا ليتَ شعري هل يليقُ بقائلٍ يقولُ إذا ما الليلُ أنجمُه تسري
أيا مَن ترى جسمي ولحمي وأعظمي ومَنْ حُبُّهُ مِنّي مَلا القلب والصدرِ
ومَنْ هو ربّاني وغذَّى بلطفهِ وجلَّلني باللُّطف والمَنّ والسِّتْرِ
وأنعشني من بعد ضَعْفٍ وحَيْرةٍ وفهَّمني من بعد أن كنتُ لا أدري
وأنطقني من بعد عِيٍّ ولُكْنَةٍ وزحزحَ بالأعذار عن حجَّتي عُذري
أقلِّبُ طرفي في البلادِ فلا أرى سوى مُلْكِ مولاي لدى السَّهْل والوعْرِ
أُراعي سوادَ الليل أُنساً بسيِّدي وشوقاً إليه غيرَ مُستَكرَهِ الصبرِ
ولكنْ سروراً دائماً وتعرُّضاً وقَرْعاً لبابِ الربِّ ذي العزِّ والقَدْرِ
رضيتُ بعلمِ الله فيما أُسِرُّه من الحبِّ للجبّار في القلب والصدرِ

● قال يحيى بن يحيى الغساني: لمّا ولّاني عمرُ بن عبدالعزيز الموصل، قدمتُها، فوجدتها من أكثر البلاد سرقاً ونقباً. فكتبتُ إلى عمر أُعلمهُ حالَ البلاد وأسأله: آخذ الناس بالظِّنَّة وأضربهم بالتهمة، أم آخذهم بالبيِّنة وما جرت عليه السُّنَّة؟

فكتب إليّ أن آخذَ الناس بالبيِّنة وما جرت عليه السُّنَّة، فإن لم يُصلحهم الحقُّ فلا أصلحهم الله!

قال يحيى: ففعلتُ ذلك، فما خرجتُ من الموصل حتى كانت من أصلحِ البلاد وأقلِّها سرقاً ونقباً!

● قال الأصمعي: طلبتُ تفسير هذه الآية: ↓ ↖☠←♈➔🖬🡅⌘⇧⑨↖③◆❐

ما هو؟ فخرجنا إلى بادية [1] ↑ ←●❍ ⌧ ⌦ ⌫ ⌧ ⌦ ⌫ ⌧ ⌦ ⌫

أدب الندماء ولطائف الظرفاء[1]

لكُشاجِم

أخبرني جماعةٌ من الموثوق بهم في اللغة، أن العرب إنما سمَّت النديم نديماً لأنه يُنْدَمُ على فراقه!

---

(١) أدب الندماء ولطائف الظرفاء / تأليف أبي الفتح محمود بن كشاجم.— الإسكندرية: مطبعة جرجي غرزوزي, ١٣٢٩هـ, ١١٢ص.
يُعنى الكتاب بآداب الصحبة, مركزاً فيها على ما ينبغي أن يتمتع به من يجالس أهل الملك والشرف والسؤدد في مواقف مختلفة.. يقول المؤلف في مقدمته: "عنَّ لي أن أجمع هذا الكتاب وأهذبه وأرتب مواضيعه وأبوابه, وأوفي كل معنى فيه حقه, وأضم إلى كل شكل شكله, وأجمع إلى ما تستطيبه القريحة أحسن ما وجدته في هذا المعنى, متفرقاً في أمثال الحكماء ومنظوم الشعراء ومنثور البلغاء وأخبار الظرفاء, وأودعه من أدب النديم ما لا يستغني عنه شريف ولا يجوز أن يخلَّ به ظريف, ليكون منهجاً واضحاً لمن نظر فيه..".
قلت: وفيه أمور نابية ليست من أدب الإسلام في شيء, ولا هي من حقوق الصحبة ولا أدب الأصحاب, فليحذر من يقرأ كتب الأدب والمجاميع, ففيها الغث والسمين.
والمؤلف هو محمود بن الحسين الرملي, كنيته أبو الفتح, شاعر متفنن, أديب, من كتَّاب الإنشاء, من أهل الرملة بفلسطين, فارسي الأصل, كان أسلافه الأقربون في العراق. تنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد, وزار مصر أكثر من مرة, واستقرَّ بحلب, وكان من شعراء سيف الدولة ووالده أبي الهيجاء. وله غير هذا الكتاب: ديوان شعر, و"المصايد والمطارد", و"الرسائل" و"خصائص الطرب" و"الطبيخ". ومن أجل كتابه الأخير قيل إنه كان في أوليته طباخاً لسيف الدولة.
ولفظ "كشاجم" منحوت, فيما يقال, من علوم كان يتقنها: الكاف للكتابة, والشين للشعر, والألف للإنشاء, والجيم للجدل, والميم للمنطق. وقيل: لأنه كان كاتباً شاعراً أديباً جميلاً مغنياً؛ وتعلم الطب فزيد في لقبه طاء, فقيل "طكشاجم" ولم يشتهر به. توفي سنة ٣٦٠هـ.

● قال محمد بن عبد الملك الزيات: كان أحمد بن أبي دواد طيّبَ الأكل، طحونَ الضرس، هضومَ المعدة؛ وكنتُ على خلاف ذلك. فحضرتُه يؤاكل الواثقَ وليس معهما ثالث، ودعاني الواثق إلى الطعام، فأقبلتُ أنفرُ على حسب عادتي وخمود شهوتي، وهما يتباريان في تكبير اللقم وجودة الأكل!

فلما رأى أحمدُ ذلك مني قال: يا أمير المؤمنين، ما جلوسُ هذا المحتمي معنا يُحصي علينا اللقم؟ إما أكل كما نأكل فوافانا حقَّ المؤاكلة ولم يحشمنا، أو نهض فتفرَّد بمؤاكلة أمير المؤمنين من يحسنُ حضورها ويقابلها بما يشبهها!

فقال الواثق: قد صدق أحمد، فكُل أو دَع!

فما تمالكتُ أن نهضتُ!

● قيل للعتابي: ما المروءة؟

قال: ترك اللذَّة.

قيل له: فما اللذَّة!

قال: تركُ المروءة!

● رُوي أن رجلاً دعا أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: آتيك على أن لا تدَّخر عنا ما عندك، ولا تتكلَّف لنا ما ليس في وسعك!

● كان يقال: ثلاثةٌ تُضني: سراجٌ لا يضيءُ، ورسولٌ بطيء، ومائدةٌ يُنتظر بها من يجيء!

وقال آخر: المودَّةُ شجرةٌ، ثمرتُها الزيارة.

● دعا رجلٌ رجلاً فقال له: هل لك أن تصيرَ معي إلى المنزل فتأكلَ خبزاً وملحاً؟

فظنَّ الرجل ذلك القول منه على المجاز. فمضى معه، فلم يزدهُ على الخبز والملح شيئاً!

فبينما هما يأكلان، إذ وقفَ سائلٌ بالباب، فردَّه صاحب المنزل مراراً فلم يبرح، وألحَّ، فقال له: إن انصرفت، وإلا خرجتُ إليك فهتمتُ فاك!

قال: فقال له المدعو: يا هذا انصرف، فإنك لو عرفت مِن صدقِ وعيدهِ ما قد عرفت من صدقِ وعدهِ ما تعرَّضتَ له!

● قال علي بن العباس الرومي:

وسئمتُ كلَّ مآربي فكأنَّ أطيبها خبيثُ
إلا الحديثَ فإنه مثلُ اسمهِ أبداً حديثُ

● قال بعضهم: تعلمْ حسنَ الاستماع كما تتعلمُ حسنَ الكلام، وحسنُ الاستماع: إمهالُ المحدِّث حتى ينقضي حديثه، وقلةُ التقلبِ إلى الجواب، والإقبالُ عليه بالوجه والنظر، والوعيُ

لما يقول، وأن تصغي إلى حديثه، ولا تشغل طَرْفك عنه بنظر، ولا أطرافك بعمل، ولا قلبك بفكر، ولا تسابقهُ إلى حديث يبدأ به لمعرفتك بذلك الحديث، بل تريه من الارتياح له والتعجب منه ما توهمهُ أنه لم يخطر ببالك، ولا وقرَ في سمعك.

● وقال آخر:

وصـــاحبٍ أصـــبح مـــن بـــردهِ كالمـــاء في كـــانون أو في شـــباطِ
ندمانُـــه مـــن ضـــيق أخلاقـــهِ كأنـــه في مثـــل ســـمِّ الخيـــاطِ
نادمتُـــــه يومـــــاً فألفيتُـــــه متصـــلَ الصـــمتِ قليـــلَ النشـــاطِ
حـــتى لقـــد أوهمـــني أنـــه بعـــضُ التماثيـــل الـــتي في البســـاطِ

● قال أحدهم:

كيف احتيالي لبسطِ الضيف من خجلٍ عنـد الطعـام فقـد ضـاقت بـه حيلـي
أخـــافُ تـــردادَ قـــول لي فأحشـــمه والصـــمتُ ينزلـــه مـــني علـــى البخـــلِ

● استضاف أحدهم رجلاً، فحمد المضيفُ اللهَ عزَّ وجلَّ في وسط الطعام لشيء خطرَ بباله من نعمهِ التي لا تحصى، فنهضَ الضيف وقال: أعاوذُ الله أن لا أعودَ إلى طعام لك، وما معنى التحميد في هذا الموضع؟ كأنك أردتَ أن تعلمنا أنا قد شبعنا! ثم مالَ إلى الدواة والقرطاس وكتب ارتجالاً:

وحمــدُ الله يحســنُ كــلِّ وقــتٍ ولكــن لــيس في أولى الطعــامِ
لأنــك تحشــمُ الأضــياف فيــه وتأمــرهم بإســراع القيــامِ
وتُـؤذنهم – ومـا شـبعوا – بشـبعٍ وذلـك لـيس مـن خُلـق الكـرامِ

● قال متمِّم بن نويرة:

لقـد كفـنَ المنهـالُ تحـت ردائـه فـتى غـير مبطـانِ العشـياتِ أروعـا

يريد أنه كان يؤثر الأضياف بالزاد على نفسه وهو لا يستوفي منه شبعه. وقال المبرد: لأنه كان يؤخِّر العشاء إلى الليل انتظاراً للطارق.

● حُكي أن الحجّاج أصبحَ جائعاً، فقال لجلسائه: ما خيرُ الغذاء؟ فقال ابن القرية: بواكره أيها الأمير. قال: ولِمَ ذلك؟ وهل هو كذلك في كل أوان؟ قال: نعم، إن كان الزمانُ شتاء فلطول الليل وهضمِ المعدة للطعام، وإن كان قيظاً فلبرد الماء وقلة الذباب.

● غسل رجل مع المأمون يده، وأبطأ الطعام، فسبقتهُ يدهُ إلى رأسه، فقال له المأمون: أعد غسلَ يدك، لا يلي غسلَ اليدِ إلا الخبز!

● قال بعضهم في الشطرنج:

أرضٌ مربَّعـــةٌ حمـــراءُ مـــن أَدمِ ما بـين خلَّـيْن موصـوفين بالكـرمِ
تـذاكرا الحـرب فاحتـالا لهـا شـبهاً من غـير أن يأتيـا فيـه بسـفكِ دمِ
هـذا يُغـير علـى هـذا وذاك علـى هـذا يُغـيرُ وعـينُ الحـرب لم تَـنمِ
فـانظرْ إلى خيـلٍ جاشـت بمعرفـةٍ في عسـكرين بـلا طبـلٍ ولا عَلَـمِ

* * *

أسرار الحكماء [1]

لياقوت المستعصمي

مدح قومٌ أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: اللهم أنت أعلمُ بنفسي مني، وأنا أعلمُ بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يَحْسَبون، واغفرْ لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون.

---

(١) أسرار الحكماء / تأليف جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمي البغدادي؛ عني بتحقيقه سميح صالح؛ أشرف على تحقيقه إبراهيم صالح.— دمشق: دار البشائر, ١٤١٤هـ, ٢١٠ص.

وهو مختارات من أروع ما قبل من الحِكَم والأقوال والوصايا النادرة لأبرز العلماء والحكماء والخلفاء والأدباء, ولهذا يستحق أن يقتبس منه معظم ما ورد فيه, لولا ما عُرض سابقاً في سلسلة الكتب النادرة هذه, ولولا أنه يصعب على النفس ما هو كثير جادّ, ولذلك اكتفينا بانتقاء جملة طيبة منها.

والمؤلف أصله رومي, وسكن بغداد, ونسبته إلى الخليفة المستعصم بالله, آخر خلفاء بني العباس, الذي كان قد اشتراه صغيراً, وربّاه بدار الخلافة, وهو صاحب الخط البديع الذي شاع ذكره في البلاد, وإليه انتهت رئاسة الخط المنسوب. وتورد المصادر أنه ترك ألف مصحف شريف بخطه, وكانت تُرسل هدية للملوك والسلاطين. وقد أحبَّ الأدب, ونظم شعراً رقيقاً. وكانت وفاته سنة ٦٩٨هـ.

ومن مؤلفاته الأخرى: أخبار وأشعار ونوادر ومُلح وحكم ووصايا مختلفة, رسالة في الخط, فِقَر التُقطت وجُمعت عن أفلاطون في تقويم السياسة الملوكية والأخلاق الاختيارية, قصيدة في مدح الوزير الجويني.

● بلغ عثمانَ بن عفان رضي الله عنه أن قوماً على فاحشة، فأتاهم وقد تفرّقوا، فحمدَ الله تعالى على سترهم، وأعتقَ رقبة!

● قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يكنْ أفضلَ ما نلتَ من دنياك في نفسكَ بلوغُ لذَّة أو شفاءُ غيظٍ، ولكنْ إطفاءُ باطلٍ وإحياءُ حق.

● قال أنس رضي الله عنه: كنتُ عند الحسين بن علي رضي الله عنهما، فدخلت عليه جاريةٌ بيدها طاقةُ ريحان، فحيَّتْهُ بها، فقال لها: أنت حرَّة لوجه الله تعالى. فقلت: تحيِّيك بطاقةِ ريحان فتُعتقها ؟! قال: كذا أدبنا الله، فقال تبارك وتعالى:

(١) سورة النساء, الآية ٨٦.

لرددتُ عليه مثله.

● قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: كان الرجلُ إذا أراد أن يَعيبَ جارَه طلبَ الحاجةَ إلى غيره!

● قال عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما: كمالُ المرء في خلالٍ ثلاث: معاشرةِ أهل الرأي والفطنة، ومداراةِ الناسِ بالمعاشرةِ الجميلة، والاقتصادِ من بُخلٍ أو إسراف.

● وقف الأحنفُ بن قيس، ومحمد بن الأشعث[1] بباب معاوية، فأذن للأحنف، ثم لمحمد بن الأشعث، فأسرع محمد في مشيه حتى دخل قبل الأحنف. فلما رآه معاوية قال له: إني والله ما أذنتُ له قبلكَ وأنا أريدُ أن تدخلَ قبله، وإنَّا كما نلي أموركم كذلك نلي أدبكم، وما تزيَّدَ متزيِّد إلا لنقصٍ يجدهُ في نفسه.

● قال عبدالملك بن مروان لمعلِّم أولاده: علّمهم الصدق كما تعلِّمهم القرآن، وإذا احتجتَ أن تتناولهم بأدب، فليكن ذلك في سترٍ لا يعلمُ به أحد من الحاشية، فيهونوا عليهم.

● نهض هشامُ بن عبدالملك عن مجلسه، فسقط رداؤه عن منكبه، فتناوله بعض جلسائه ليردَّه إلى موضعه، فجذبهُ هشام من يده وقال: مهلاً، إنَّا لا نتَّخذ جلساءنا خَوَلاً (أي مثلَ

(١) كان مع جيش مصعب بن الزبير لغزو المختار, وقد قتل سنة ٦٧هـ.

العبيد والحاشية).

● قال صاحبُ حرس عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: خرج علينا عمرُ في يوم عيد، فقمنا إليه وسلَّمنا عليه، فقال: مه، أنا واحدٌ وأنتم جماعة، أنا أسلِّم وأنتم تردُّون. ثم سلَّم ورددنا عليه.

● دعا الرشيد أبا معاوية الضرير[1]، فلما قضى الأكلَ صبَّ الرشيدُ على يديه في الطُّست، فلما فرغ قال: يا أبا معاوية، أتدري من صبَّ على يديك؟ قال: لا. قال: صبَّ على يديك أمير المؤمنين. فقال: يا أمير المؤمنين، إنما أكرمتَ العلمَ وأجللته، فأجَلَّك الله، وأكرمك كما أكرمتَ العلمَ وأهلَه.

● تناظر المأمونُ ومحمد بن القاسم النوبنجاني في شيء، ومحمد يُفضي له ويصدِّقه، فقال له المأمون: أراك تنقادُ إلى ما تظن أنه يسرُّني قبل وجوب الحجةِ عليك، ولو شئتُ أن أقتسر الأمور بفصل بيانٍ وطول لسان وأُبَّهةِ الخلافة وسطوةِ الرئاسة لصُدِّقتُ وإن كنتُ كاذباً، وصُوِّبتُ وإن كنتُ مخطئاً، وعُدِّلتُ وإن كنتُ جائراً، ولكني لا أرضى إلا بإزالة الشبهة وغَلَبة الحجة، وإن أضعفَ الملوك رأياً وأوهنهم عقلاً من رضي بقول: "صَدَق الأميرُ"!

---

(١) هو محمد بن خازم الكوفي, الإمام الحافظ الحجة, أحد الأعلام. ت ٩٤هـ.

● يحكى أن المُوْبذ[1] كان في مجلس أنور شروان، فسمع ضحك الخَدَم، فقال: ما يمنعُ جلالةُ المُلْكِ وهيبتُه هؤلاء الغِلمان عن الضحك؟

فسمعهُ أنو شروان فقال: إنما يهابُنا أعداؤنا.

● وُصف للإسكندر المقدوني حُسْنُ بنات دارا فقال: يَقْبَح بنا أن نغلب رجالَ قومٍ، وتغلبنا نساؤهم!

● قال بزرجمهر: إياك وقرناءَ السوء، فإنك إن عملتَ قالوا: راءى، وإن قصَّرتَ قالوا: أَثِمَ، وإن ضحكتَ قالوا: جَهِل، وإن بكيتَ قالوا: جَزِع، وإن نطقتَ قالوا: تكلَّف، وإن سكتَّ قالوا: عَيِيَ، وإن أنفقتَ قالوا: أسرف، وإن اقتصدتَ قالوا: بَخِلَ!

● قال الفضل بن الربيع: من كلَّم الملوكَ في حاجةٍ في غير وقتها، جهلَ مقامه، وأضاعَ كلامَهُ.

● رأى الفتحُ بن خاقان في لحية المتوكل شيئاً، فلم يُشعره به، بل قال: يا غلام، هاتِ مرآةَ أمير المؤمنين. فجيء بها، فنظر المتوكل، وأخذهُ بيده.

---

(١) هو فقيه الفرس وحاكم المجوس.

● قال الحسن البصري: حدِّثوا الناسَ ما أقبلوا عليكم بوجوههم.

● قال الفضيل بن عياض: رأسُ الأدب معرفةُ الرجل قَدْرَهُ.

● قال الشعبي: لأن أُدْعى في المجالس من بُعْدٍ إلى قُرْب، أحب إليَّ من أن أُقْصَى من قُرْبٍ إلى بُعد.

● قال عمرو بن عبيد لمعلِّم ولده: ليكنْ أولُ إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيوبهم معقودةٌ بعيبك، فالحسنُ عندهم ما صنعتَ، والقبحُ عندهم ما تركتَ.

● قال جعفر الصادق: إذا دخلتَ إلى منزل أخيكَ فاقبلِ الكرامة كلها، ما خلا الجلوس في الصدر.

● وقال: إني لأسارعُ إلى حاجةِ عدوّي، خوفاً أن أردَّهُ فيستغني عني.

● وقال: من أكرمك فأكرمه، ومن استخفَّ بك فأكرمْ نفسك عنه.

● وقال: المؤمنُ من إذا غضب لم يُخرجه غضبُه من حقّ، وإذا رضي لم يُدخله رضاهُ في باطل، والذي إذا قَدِرَ لم يأخذ أكثرَ ممّا لهُ.

● وقف عبدالله بن العباس بن الحسين على باب المأمون، فنظر إليه الحاجب طويلاً، فقال عبدالله لقوم معه: لو أُذِنَ لنا لدخلنا، ولو صُرِفنا لانصرفنا، ولو اعتُذِرَ إلينا لقبلنا؛ فأما الفترةُ بعد النظر، والتوقفُ بعد التعرُّف، فلا أفهمه. فبلغ المأمون ذلك، فصرفَ الحاجب، وأمر لعبدالله بصلة جزيلة.

● أوصى العباسُ بن محمد الهاشمي معلِّمَ ولده فقال: إني كفيتُهم فاكفني آدابهم، اغذُهم بالحكمة فإنها ربيعُ القلوب، وعلِّمهم النَّسبَ والخَبَر فإنه أفضلُ علم الملوك، وابدأهم بكتاب الله تعالى فإنهم قد خصَّهم ذِكْرُه وعمَّهم رُشْدُه؛ ومرِّنهم على الإعراب فإنه مَدْرَجةُ البيان، وفقِّههم في الحلال والحرام فإنه حارسٌ من أن يَظلِموا، ومانعٌ من أن يُظْلَموا. والسلام.

● دخل سالم به عبدالله بن عمر بن الخطاب على هاشم ابن عبدالملك في الكعبة، فقال له هشام: سلْ حاجتك. فقال: أكرهُ أن أسأل في بيتِ الله غيرَ الله.

● قال الإمام الشافعي: الانقباضُ من الناس مكسبةٌ للعداوة، والانبساطُ إليهم مجلبةٌ لقرناء السوء، فكن بين المنقَبِض والمنبسط.

● قال بعض السلف: الحَسَنُ الخُلق ذو قرابةٍ عند

الأجانب، والسيّءُ الخُلق أجنبيٌّ عند أهله.

● قال حاتم الأصم: إذا رأيت من أخيك عيباً فإن كتمته عنه فقد خُنْتَه، وإن قلتهُ لغيرِهِ فقد اغتبته، وإن واجهتَهُ به فقد أوحشتَه. فقال له أحدهم: فما الذي أصنع؟ قال: تكنّي عنه، وتُعرّض به، وتجعلهُ في جملةِ الحديث.

● دخل بشرُ بن ذكوان على المنصور – وكان قد وُصِفَ له – فقال له: أعالمٌ أنت؟ فقال: أكرهُ أن أقولَ نعم وفيَّ ما فيَّ، أو أقولَ لا فأكونَ جاهلاً!

فاستحسنَ المنصورُ جوابه، وأمرَ بملازمته.

● قال بعضهم: كنتُ أماشي الخليل الفراهيدي، فانقطعَ شِسْعُ نعلي، فخلع نعلَهُ، فقلت: ما تصنع؟ فقال: أساويك في الحَفاء!

● قال بعض الأدباء: من أدبِ الحاجة أن لا تُذْكَرَ إلا لمن يَقْدِرُ على إزالتها.

● جرى ذِكْرُ رَجلٍ في مجلس سَلْم بن قتيبة، فقال فيه بعضهم ما لا يليقُ، فقال له ابن قتيبة: يا هذا، أوحَشْتَنا من نفسك، وآيستَنا من مودَّتك، ودلَلتنا على عورتك.

● قال منصور بن عمّار الخراساني: لا أبيعُ الحكمةَ إلا

بحسن الاستماع، ولا آخذُ عليها ثمناً إلا فهمَ القلوب.

● قال رجل للمبرِّد: أسمَعَني فلانٌ في نفسي فاحتملتُه، وأسمعني فيك فاحتملتُه.

● فقال: احتمالُك في نفسك حِلْمٌ، وفي صديقك غَدْرٌ.

● قال بعض الحكماء: من شَغَلَ نفسَهُ بغيرِ المهمِّ، أضرَّ بالمهمِّ.

● قال بعضهم: سمعني شريحٌ القاضي وأنا أشكو نقصَ حالي إلى صديق لي، فأخذ بيدي وقال: يا ابن أخي، إياك والشكوى إلى غير الله عزَّ وجلَّ، فإنه لا يخلو مَن تشكو إليه من أن يكون صديقاً أو عدواً؛ فأما الصديقُ فتُحزنه، وأما العدوُّ فتُشمِتُه. انظر إلى عيني هذه – وأشار إلى إحدي عينيه – وقال: والله ما أبصرتُ بها شخصاً ولا طريقاً منذ عشرين سنة، وما أخبرتُ بها أحداً إلى هذه الغايةِ سواك!

● قال العتبيُّ لأحمد بن أبي خالد: هل أنكرتَ عليَّ شيئاً يومَ دخولي على المأمون؟

قال: نعم. قال: ما هو؟ قال: ضحكَ من شيءٍ فضحكتَ أكثرَ منه!

● قيل لعمر بن ذرٍّ – الإمام الزاهد –: كيف بِرُّ ابنك

بك؟

قال: ما مشيتُ نهاراً قطُّ إلا مشى خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رقى في عِلْيةٌ وأنا تحته.

● قال الرشيد يوماً ليزيد من مَزْيَد في لعبِ الصوالجة: كنْ مع عيسى بن جعفر. فأبى.

فغضب الرشيدُ وقال: تأنفُ أن تكون معه؟ فقال: قد حلفتُ أن لا أكون على أمير المؤمنين في جِدٍّ ولا هزل!

● قال العباس بن الحسن: اعلمْ أن رأيك لا يتَّسع لكلِّ شيء، ففرِّغْهُ للمهمِّ من أمورك، وأن مالَك لا يُغني الناسَ كلَّهم، فاخصصْ به أهلَ الحقِّ، وأن ليلَك ونهارَك لا يستوعبان حوائجك، فأحسنْ قِسْمَتك بين عَمَلك ودَعَتك.

● كان الأحنف بن قيس يقول: جنِّبوا مجالسكم ذِكْرَ الطعام والنساء، فإنه يقبُح بالرجلِ الشريف أن يُكثِرَ من ذِكْرِ الطعام وهو يعلمُ مصيرَه، ويكثرَ من ذكرِ الجماعِ وهو يعلمُ حالَهُ فيه!

● حُكي أن معاوية قال لعَرَابة الأوسي[1]: بأي شيء استحققتَ أن يقول فيك الشمّاخ:

---

(١) من سادات المدينة الأجواد المشهورين، شهد يوم أحد فاستُصغر فرُدَّ.

رأيــتُ عرابــة الأوســيَّ يســمو الى الخــيراتِ منقطــع القــرينِ
إذا مــا رايــةٌ رُفعــت لمجــدٍ تلقَّاهــا عَرابــةُ باليمــينِ

فقال عَرابه: سماعُ هذا من غيري أولى.

فقال: عزمتُ عليك لَتُخبرنِّي.

قال: بإكرام جليسي، ومحاماتي عن صديقي.

فقال له معاوية: لقد استحققت.

● قال أفلاطون: يُعرف جهلُ المرء بكثرة كلامه فيما لا ينفعه، وإخباره عمّا لا يُسألُ عنه.

● قال عبدالله بن المقفَّع: إن كنتَ لابدَّ أن تكافئ بالعداوة، فإياك أن تكافئ عداوةَ السرِّ بعداوة العلانية، وعداوةَ الخاصَّةِ بعداوة العامَّةِ.

● قال رجلٌ لأفلاطون: لِمَ تختَّمتَ في يمينك دون شمالك؟

قال: لأعرفَ المتكلِّفين ومَنْ يسألُ عمَّا لا يعنيه!

● قال بعض الحكماء: رجلان ظالمان يأخذان غيرَ حقِّهما: رجلٌ وُسِّعَ له في مجلس ضيِّقٍ فتربَّع وتكبَّر، ورجلٌ أُهديتْ إليه نصيحةٌ فجعلها ذَنباً!

● وقال بعضهم: لا تُحِبْ مَن لا يسألك، ولا تسألْ من

لا يجيبك.

● وقال آخر: لا يكنْ سمعك لأول مُخْبِر، ولا ثقتُك لأول مَجلِس.

● مات لكسرى ولد، فاشتدَّ جَزَعُه عليه، فدخل عليه بزرجمهر فقال: لم أحضر مجلسَ الملك لأعزِّيه، ولكن لأتأدَّب بحُسنِ صبره.

فقال كسرى: اضطرني واللهِ إلى الصبر.

● قال المنصور لابنه المهدي: ليس العاقلُ الذي يحتالُ للأمر إذا وقعَ فيه يخرجُ منه؛ ولكن العاقلَ الذي يحتالُ للأمرِ قبل أن يَغْشاهُ حتى لا يقعَ فيه.

● قال بعضُ الحكماء: ستةٌ لا تُخطئهم الكآبة: فقيرٌ حديثُ عهدٍ بغنى، ومكثرٌ يخافُ على مالِه التَّلف، والحقودُ، والحسودُ، وطالبُ مرتبةٍ فوق قدره، وحليفُ أهلِ أدبٍ غيرُ أديبٍ.

● مرَّ عمرو بن العاص في مكة بقوم جُلوس، فلما رأوهُ رَمَوْه بأبصارهم، فعدلَ إليهم فقال: أحسبكم كنتم في شيء من ذكري؟

قالوا: أجل، كنّأ نُمَيِّزُ بينك وبين أخيك هشام، أيُّكما

أفضل؟

فقال عمرو: إن لهشامٍ عليَّ أربعاً: أمُّه ابنةُ هشام بن المغيرة وأمي مَنْ قد عرفتم[1]، وكان أحبَّ إلى أبيه مني وقد عرفتهم معرفةَ الوالِد بالولد، وأسلمَ قبلي، وقد استُشهد وبقيتُ.

● قيل لبعض العلماء: من أين لك هذا العلم؟

قال: كنتُ لا أبخلُ بما عندي، ولا استحيي أن أسألَ عما ليس عندي.

● تركَ رجلٌ النبيذَ، فقيل له في ذلك فقال: بئس الرسول، تُرسله إلى أسفلك فيذهب إلى أعلاك!

● رأى أعرابي رجلاً يكثرُ شربَ النبيذ، فقال له في ذلك، فقال: لأنه يَهْضِم طعامي، فقال الأعرابي: فهو لدينك أهضم.

● قال سفيانُ بن عيينة: جلستُ إلى الزُّهري وقد امتدحه شاعر، فأعطاهُ قميصه؛ فقيل له: أتُعطي على كلامِ الشيطان؟

فقال: مِن ابتغاءِ الخيرِ اتِّقاءُ الشرِّ.

● قالت عائشة رضي الله عنها وقد عَتَبت على خادم لها: لله دَرُّ التقوى، ما تركت لذي غيظٍ شفاءً!

● قيل لميمون بن مهران: إن فلانة امرأة هشام بن

---

(١) كان هشام بن المغيرة سيداً في الجاهلية. وأم عمرو سبيَّةٌ من عنزة اسمها النابغة.

عبدالملك أعتقت كل مملوك لها عند الموت!

فقال ميمون: يعصون الله مرتين: يبخلونَ به وهو في أيديهم، حتى إذا صارَ لغيرهم أسرفوا فيه!

- ذُكرت الدنيا عند سلمة بن دينار فقال: وما الدنيا؟ أمَّا ما مضى فحُلم، وأما ما بقي فأمانيّ.
- وقال: نحن نحبُّ ألا نموتَ حتى نتوب، ونحن لا نتوبُ حتى نموت!
- قال بعض الحكماء: ما في الأرض تبذيرٌ إلا وإلى جانبه حقٌّ مُضاعٌ.
- قيل لجعفر بن محمد: لِمَ حرَّم الله الرِّبا؟

قال: لئلا يتمانعَ الناسُ المعروف.

- كان يقال: أسرعُ الذنوبِ عقوبةً كفرُ النِّعم.

* * *

بلاغات النساء(١)

(١) بلاغات النساء / لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور.— بيروت: دار الحداثة, ١٤٠٧هـ, ٣٣٧ص.
جمع فيه المؤلف أبلغ ما قالته النساء, مما حفظه التاريخ, في العصر الجاهلي, وعصر صدر الإسلام, شعراً ونثراً. يقول في مقدمته للكتاب: "هذا كتاب بلاغات النساء وجواباتهن, وطرائف كلامهن, وملح نوادرهن, وأخبار ذوات الرأي منهن, على حسب ما بلغته الطاقة, واقتضته الرواية, واقتصرت عليه

لابن طيفور

● رأت عائشة – رضي الله عنها – رجلاً متماوتاً، فقالت: ما هذا؟ فقالوا: زاهد. قالت: قد كان عمر زاهداً، وكان إذا قال أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب في ذات الله أوجع.

● قال أحدهم لولاّدة العبدية – وكانت من أعقل النساء –: إني أريد الحجَّ فأوصيني.

قالت: أأوجزُ فأُبلغ أم أطيلُ فأحكم؟

فقلت: بما شئتِ.

النهاية, مع ما جمعنا من أشعارهن في كل فن, مما وجدناه يجاوز كثيراً من بلاغات الرجال المحسِّنين, والشعراء المختارين".

وقد بدأ بذكر كلام الشهيرات منهن, ثم أفرد مقاطع لتقسيمات موضوعية, مثل: بلاغات النساء في منازعات الأزواج, حديث النساء اللاتي ذممن أزواجهن, مدح النساء للأزواج, بلاغات النساء وأشعارهن, من أخبار ذوات الرأي منهن, أخبار مواجن النساء ونوادرهن, من جواب ظراف النساء وأشعارهن.

والمؤلف مؤرخ, من الكتّاب البلغاء الرواة, أصله من مرو الروذ, ومولده ووفاته ببغداد. كان مؤدب أطفال. له نحو خمسين كتاباً, منها: "تاريخ بغداد", "المنثور والمنظوم", "كتاب المؤلفين", "سرقات الشعراء", "فضل العرب على العجم", "أخبار بشار بن برد". توفي عام ٢٨٠هـ.

فقال لها ابن أخ لها: الحُلَّة لباسٌ فاخلعي عليه.

فقالت: جُدْ تَسُد، واصبرْ تفز.

قلت: أيضاً.

قالت: لا يتعدَّ غضبُك حلمَك، ولا هواك علمَك، وقِ دينك بدنياك، ووفِّر عِرْضك بعَرَضِك، وتفضَّل تُخْدم، واحلم تُقَدَّم.

قلت: فمن أستعين؟

قالت: الله.

قلت: من الناس؟

قالت: الجَلد النشيط، والناصحَ الأمين.

قلت: فمن أستشير؟

قالت: المجرِّبَ الكيِّس...

قلت: فمن أستصحب؟

قالت: الصديقَ الملمّ، أو المداجي المتكرم.

ثم قالت: يا ابناه، إنك تفدُ إلى ملكِ الملوك، فانظر كيف يكون مقامك بين يديه!

● قال محمد بن زياد الأعرابي: وقفت امرأةٌ من الأعراب

من هوازن على عبد الرحمن بن أبي بكرة فقالت: أصلحك الله، أقبلتُ من أرض شاسعة، ترفعني رافعةٌ وتخفضني خافضة، بملحَّاتٍ من البلاد وملمَّاتٍ من الدهور، برَينَ عظمي وأذهبنَ لحمي، وتركتني والهاً، وأنزلنني إلى الحضيض، وقد ضاقَ بي البلد العريض، لا عشيرةَ تحميني ولا حميمَ يكنفني، فسألتُ في أحياء العرب: مَن المأمون غيبه، المكفيُّ سائلَه، الكريمةُ شمائلهُ، المأمولُ نائله؟ فأُرشِدتُ إليك، وأنا امرأةٌ من هوازن، مات الوافد، وغاب الرافد، ومثلك من سدَّ الخلَّة، وفكَّ الغلَّة، فاصنع إحدى ثلاث: إما أن تقيمَ من أَودي، أو تُحسنَ صفدي، أو تردَّني إلى بلدي!

قال: بل أجمعهنَّ لك وحبّاً.

● قال أبو محمد القشيري: كان أبو الأسود الدؤلي من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان، وأقربهم مجلساً، وكان لا ينطقُ إلا بعقل، ولا يتكلمُ إلا بعد فهم. فبينما هو ذات يوم جالساً وعنده وجوهُ قريش وأشرافُ العرب، إذ أقبلت امرأة أبي الأسود الدؤلي حتى حاذت معاوية وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، إن الله جعلك خليفةَ في البلاد، ورقيباً على العباد، يُستسقَى بك المطر، ويُستثبتُ بك الشجر،

وتؤلَّفُ بك الأهواء، ويأمنُ بك الخائف، ويردعُ بك الجانف، فأنت الخليفةُ المصطفى، والإمامُ المرتضى، فأسألُ الله لك النعمة في غير تغيير، والعافيةَ من غير تعذير. لقد ألجأني إليك يا أمير المؤمنين أمرٌ ضاقَ عليَّ فيه المنهج، وتفاقمَ عليَّ فيه المخرج، لأمرٍ كرهتُ عاره، لما خشيتُ إظهاره، فلينصفني أميرُ المؤمنين من الخصم، فإني أعوذُ بعقوقهِ من العار الوبيل، والأمر الجليل، الذي يشتدُّ على الحرائر، ذوات البعولِ الأجائر.

فقال لها معاوية: ومن بعلك هذا الذي تصفينَ من أمره المنكر، ومن فعله المشهر؟

فقالت: هو أبو الأسود الدؤلي.

قال: فالتفت إليه فقال: يا أبا الأسود، ما تقول هذه المرأة؟

فقال أبو الأسود: هي تقول من الحقِّ بعضاً، ولن يستطيع أحدٌ عليها نقضاً. أما ما ذكرتْ من طلاقها فهو حقّ، وأنا مخبرٌ أميرَ المؤمنين عنه بالصدق. والله يا أميرَ المؤمنين ما طلقتها عن ريبةٍ ظهرت، ولا لأيِّ هفوةٍ حضرت، ولكني كرهتُ شمائلها، فقطعت عني حبائلها.

فقال معاوية: وأي شمائلها يا أبا الأسود كرهت؟

قال: يا أمير المؤمنين، إنك مهيِّجُها عليَّ بجواب عتيدٍ

ولسان شديد!

فقال له معاوية: لابدَّ لك من محاورتها، فاردُدْ عليها قولها عند مراجعتها.

فقال أبو الأسود: يا أمير المؤمنين، إنها كثيرةُ الصخب، دائمةُ الذَّرَب، مهينةٌ للأهل، مؤذيةٌ للبعل، مسيئةٌ إلى الجار، مظهرةٌ للعار، إن رأت خيراً كتمته، وإن رأت شرّاً أذاعته.

فقالت: والله لولا مكان أمير المؤمنين وحضورُ من حضره من المسلمين لرددتُ عليك بوادر كلامك، بنوافذَ أقرعُ كلَّ سهامك، وإن كان لا يجمل بالمرأة الحرة أن تشتم بعلاً، ولا أن تُظهر لأحد جهلاً.

فقال معاوية: عزمتُ عليك لما أجبته.

فقالت: يا أمير المؤمنين ما علمته إلا سؤولاً جهولاً، ملحاً بخيلاً، إن قال فشرُّ قائل، وإن سكت فذو دغائل، ليثٌ حين يأمن، وثعلبٌ حين يخاف، وشحيحٌ حين يُضاف، إن ذُكر الجودُ انقمع، لما يعرف من قِصَر شأنه ولؤم آبائه، ضيفهُ جائع، وجارهُ ضائع، لا يحفظ جاراً، ولا يحمي ذماراً، ولا يدرك ثأراً، أكرمُ الناس عليه من أهانه، وأهونهم عليه من أكرمه.

فقال معاوية: سبحان الله لما تأتي به هذه المرأةُ من السجع!

فقال أبو الأسود: أصلح الله أمير المؤمنين، إنها مطلَّقة،

ومن أكثرُ كلاماً من مطلَّقة؟

فقال لها معاوية: إذا كان رَواحاً فتعالي أفصلُ بينك وبينه بالقضاء.

فلما كان الرواح جاءت ومعها ابنها قد احتضنته، فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينتزعَ ابنه منها، فقال له معاوية: يا أبا الأسود لا تعجل المرأة أن تنطق بحجتها.

قال: يا أمير المؤمنين أنا أحقُّ بحمل ابني منها.

فقال له معاوية: يا أبا الأسود دعها تقل.

فقال: يا أمير المؤمنين حملتهُ قبل أن تحمله، ووضعتهُ قبل أن تضعه.

فقالت: صدق والله يا أمير المؤمنين، حملهُ خفّاً وحملتهُ ثقلاً، ووضعهُ بشهوة ووضعتهُ كُرهاً، إن بطني لوعاؤه، وإن ثديي لسقاؤه، وإن حجري لفناؤه.

فقال معاوية: سبحانه الله لما تأتين به.

فقال أبو الأسود: إنها تقول الأبيات من الشعر فتجيدها.

فقال معاوية: إنها قد غلبتك في الكلام، فتكلَّف لها أبياتاً لعلك تغلبها.

فأنشأ أبو الأسود يقول:

مرحبـــاً بالـــتي تجـــورُ علينـــا ثم ســـــهلاً بالحامـــل المحمـــولِ
أغلقـــتْ بابهـــا علـــيَّ وقالـــت إن خـــيرَ النســـاء ذاتُ البعـــولِ
شـــغلت نفســـها علـــيَّ فراغـــاً هـــل سمعـــتم بالفـــارغ المشـــغولِ

قال فأجابته وهي تقول:

ليس من قال بالصواب وبالحمقِ كمـــن جـــارَ عـــن منـــار الســـبيلِ
كـان ثـديي سقاءه حين يضحي ثم حجـــري فنـــاؤه بالأصـــيلِ
لستُ أبغي بواحدي يابنَ حربٍ بـــــدلاً مـــــا علمتـــــه والخليـــــلِ

قال: فأجابها معاوية:

لـيس مـــن غـــذاهُ حينًـــا صـــغيراً وســـقاهُ مـــــن ثديـــــه بخـــــذولِ
هـــي أولى بـــــه وأقـــربُ رحمـــــاً مـــــن أبيـــــه بالـــــوحي والتنزيـــــلِ
أم مـــا حنَّـــت عليـــه وقامـــت هـــي أولى بحمـــل هـــذا الضـــئيل

قال: فقضى لها معاوية عليه، واحتملت ابنها وانصرفت.

● قال أبان بن تغلب: أضللتُ إبلاً لي، فخرجتُ في بغائها، فإذا أنا بجاريةٍ أعشى إشراقُ وجهها بصري، فقالت: ما لك يا عبدالله، وما بغيتك؟

قلت: أضللت إبلاً لي فأنا في طلبها.

فقالت: إدلُّك على مَن علمُها عنده؟

قلتُ: إذاً تستوجبي الأجر، وتكتسبي الحمدَ والشكر.

فقالت: سَلِ الذي أعطاكهنَّ فهو الذي أخذهنَّ منك، من طريق اليقينِ لا من طريق الاختبار، فإنه إن شاء فعل.

قال: فأعجبني ما رأيت من عقلها وسمعتُ من فصاحتها، فقلت لها: ألك بعل؟

فقالت: كان ونعمَ البعل كان، فدعي إلى ما له بُدٌّ فأجاب.

فقلت لها: فهل لك في بعلٍ لا تُذَمُّ خلائقُه، ولا تُخافُ بوائقه؟

قال: فأطرقت طويلاً ثم قالت:

كنا كغصنين في ساقٍ غذاؤهما ماءُ الجداول في روضاتِ جناتِ
فاجتثَّ خيرُهما من أصلِ صاحبِه دهرٌ يكرُّ بفرحاتٍ وترحاتِ
وكان عاهدني إن خانني زمنٌ أن لا يضاجعَ أنثى بعد مثواتي
وكنت عاهدتهُ أيضاً فعاجلهُ ريبُ المنون قريباً مذ سنيّاتِ
فاصرفْ عتابك عمن ليس يردعها عن الوفاء خلاب بالتحياتِ

● تزوج بعضهم امرأة بخراسان، فأبغضته، فنافرته إلى قتيبة بن مسلم، فقال له: هل بينك وبينها قرابة؟ قال: لا. قال: ففيمَ تحتمل هذا لها وقد جعل الله لك إلى الراحة منها سبيلاً؟ قال: إني أحبها، ولقد كنتُ أهزأ بالرجل تبغضهُ المرأة وهو يحبها فابتُليت! فقال قتيبة: فلا تحبنَّ من لا يحبك، فهي والله تنظرُ إليك بعين فارك. ثم قال لها: ما لكِ ويحكِ ولزوجك؟ قالت: أبغضتهُ لخصال أذكرها: هو والله قليلُ الغَيْرَة، سريعُ الطيرة، كثيرُ

العتاب، شديدُ الحساب، قد أقبل بَخره، وأدبرَ ذَفره، وطمحت عيناه، واضطربت رجلاه، يفيقُ سريعاً، وينطقُ رجيعاً، وهو أيضاً يأكلُ هرساً، ويمشي خلساً، ويصبحُ رجساً، لا يغتسلُ من جنابة، ولا يأمنُ من شرّهِ أصحابه، إن جاعَ جزِع، وإن شبعَ خشع.

- قال سحبان بن العجلان في بنته وهو يرقصها:

وهبتهـا مـن قلـق نطاقهـا مشـمَّر عرقوبهـا عـن سـاقها
يكثرُ في جيرانها احتراقها

قال فأخذتها منه امرأته وقالت:

وهبتهـا مـن شيخِ سـوءٍ أنكـدِ لا حسـنِ الوجـهِ ولا مُسـوَّدِ
يأتي الأمـير بالـدواهي الأبـدِ ولا يبـالي جـارهُ أن يبعـدِ

فأخذها وقال:

وهبتهـا مـن ذات خلـقٍ سـلفعِ تواجـه القـومَ بوجـه أجـدعِ
مـن بعـد بيضـاءَ سـواي أربـعِ يا لهفـي مـن بـدلٍ لي موجـعِ

فقالت:

لأنكحـنَّ خرقـاً مـن الفتيـانِ مثـل أبي عـزة الأحيـانِ
وأجتنـبُ مثـل أبي العجـلانِ كأنـه عَـيْرٌ وقربتـانِ

فقال: يا عدوة الله، ذكرتِ زوجكِ الأول. قالت: وأنت

ذكرت امرأتك الأولى!

- قال بعضهم لامرأته:

عجــوزٌ ترجــى أن تكــون فتيــةً وقد لحبَ الجنبانِ واحدودبَ الظهرُ
تــدسُّ إلى العطــار مــيرةَ أهلهــا ولن يُصلح العطارُ ما أفسدَ الدهرُ
أقــول وقــد شــدُّوا علــيَّ جمالهــا ألا حبــذا الأرواحُ والبلــدُ القفــرُ

- قالت حميدة لرَوح بن زنباع: إن فيك لأربع خصال ما يسودُ عليهنَّ أحد.

قال: وما هي لا أبا لك، فوالله إن الخصلة الواحدة لتفسدُ الرجلَ السيِّد.

قالت: أما الواحدةُ فإنك من جذام، وأما الثانية فإنك جبان، وأما الثالثةُ فإنك غيور، وأما الرابعةُ فإنك بخيل.

قال رَوح: أما قولك إني من جذام فحسب المرء أن يكون من صالح من هو منه (أي من صالح قومه)، وأما قولكِ إني جبانٌ فإن ما لي غيرُ نفسٍ واحدة، ولو كان لي نفسان جدتُ بإحداهما، وأما قولكِ إني غيور، فوالله إني لجدير بالغَيْرَة على الورهاء اللئيمة مثلك، وأما قولك إني بخيل، فوالله ما في مالي فضلٌ عن قومي، ولكن اذهبي فأنت طالق.

● قال الأصمعي: كتبت امرأةٌ إلى أبيها، وكان قد زوَّجها بغير إذنها:

أيا أبتـــا عنيتـــني وابتليتـــني وصيّرتَ نفسي في يَدَيْ من يُهينُها
أيا أبتـا لـولا التحـرُّج قـد دعـا عليـك مجـاباً دعـوة تسـتدينُها

● وقال: كان شيخ من بني سعد باليمامة ذا مال، فجمع بين أربع نسوة، وكان كبيراً، لا يقدر على زواجهنّ، فرصدهنَّ ذات ليلة وهنَّ يتحدثنَ ويذكرنه، فقالت إحداهن:

قلـن جميعـاً في فنـون عيبـهِ وغيبـهِ لا مـأثمَ في غيبـهِ

وقالت الثانية:

أقمـرَ عيـني ببيـاض شـيبهِ وشـفَّ جسـمي طـولُ شـمِّ جيبـهِ

وقالت الثالثة:

اللـؤمُ والخيبـة حشـوُ ثوبـه فبي فحلَّ الموتُ صبحاً أو بهِ

وقالت الرابعة:

يا ليـت مـا ينـالني مـن سـيبهِ تطليقـةٌ تخـرجُ مـن قليبـهِ

فأصبح، فطلقهن جميعاً!

● قال أبو الجراح الأعرابي: وقع بين امرأة يقال لها ميثاء وزجها من بني مجاشع نزاع، فقالت تدعو عليه:

يا ربِّ ربَّ البيـــتِ والحجّـــاجِ رُزقـــتُ ميثـــاءَ مـــن الأزواجِ
هجاجـــةٌ مـــن أحمـــق الهجـــاجِ عفنججـــاً يضـــلُّ في العجـــاجِ
لا يعـرف الـديكَ مـن الـدجاجِ أجـــرأ مـــن ليـــثٍ بليـــلٍ داجِ

عند المناجاة وعند الحاجِ

● كان لذي الإصبع أربعُ بنات، وكنَّ يُخطَبن فلا يزوجهن، وكانت أمهنَّ تأمره بتزويجهنَّ وتقول: إنهنَّ يردن الأزواج، فيسألهنّ، فيستحيين، فيقلن: لا نريد. حتى خرج ليلة إلى متحدِّث لهنّ، فاستمع عليهنَّ وهنَّ لا يعلمن، فقلن: تعالين فلنتمنّ، ولتصدقْ كلُّ واحدة منا، فقالت الكبرى:

ألا ليت زوجي من أناسٍ ذوي غنى حديث الشباب طيب الريح والعطرِ
طبيـــب بأدواء النســـاء كأنـــه خليفـة جـان لا ينـام علـى هجـرِ

فقلن لها: أنت تحبين رجلاً من قومك. فقالت الثانية:

ألا هـــل أراهـــا مـــرةً وضـــجيعها أشـمّ كنصـل السـيف غـير مهنَّـدِ
لصـــوق بأكبـــاد النســـاء وأصـــله إذا ما انتمى من أهل سري ومحتدي

فقلن لها: أنت تحبين رجلاً من قومك. فقالت الثالثة:

ألا ليتـــه يمـــلأ الجفـــان نديـــه لنـا خفنـة تشـقى بهـا النـاب والحـزرُ
به حكمـاتُ الشيب من غير كبرةٍ تشـين فـلا الفـاني ولا الضـرعُ الغمـرُ

فقلن لها: أنت تحبين رجلاً شريفاً.

وقيل للرابعة وهي الصغرى: تمني. قالت: ما أريد شيئاً. قلن: والله لا يبرحن حتى نعرف ما في نفسك.

قالت: زوجٌ من عود، خيرٌ من القعود.

فلما سمع أبوهنَّ مقالتهنَّ زوجهنَّ أربعهنّ.

فمكثن برهة، ثم اجتمعن عنده، فقال للكبرى: يا بنية ما مالكم؟ قالت: الإبل. قال: وكيف تجدونها؟ قالت: خيرَ مال، نأكلُ لحومها مزعاً، ونشربُ ألبانها جرعاً، وتحملنا وضعفتنا معاً. قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خيرَ زوج، يكرمُ الحليلة، ويعطي الوسيلة، قال: مالٌ عميم، وزوجٌ كريم.

وقال للثانية: ما مالكم؟ قالت: البقر. قال: وكيف تجدونها؟ قالت: خيرَ مال، تألتُ الفناء، وتملأ الإناء، وتودكُ السقاء، ونساءٌ مع نساء. قال: كيف تجدين زوجك؟ قالت: زوجٌ يكرم أهله، وينسى فضله. قال: حظيتِ ورضيت.

ثم قال للثالثة: ما مالكم؟ قالت: المعزى. قال: وكيف تجدونها؟ قالت: لا بأس بها، نولدها فطماً، ونسلخها أدماً. قال: كيف تجدين زوجك؟ قالت: لا بأس، ليس بالبخيل الحتر، ولا بالسمح البذر. قال: جدوى مغنية.

ثم قال للرابعة: ما مالكم؟ قالت: الضأن. قال: وكيف

تجدونها؟ قالت: شرَّ مال. حوفٌ (أي جلود) لا يشبعن، وغنمٌ لا ينفعن، وصمٌّ لا يسمعن. قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: زوجٌ يكرم نفسه، ويحترمُ عرسه.

● تزوج رجل من همدان ابنةَ عمٍّ له، وكان لها محباً، فلم يلبث أن نودي للجهاد إلى أذربيجان، فأصابَ بها خيراً، واستفادَ جارية وفرساً، فسمَّى الفرسَ الورد، والجاريةَ حبابة، ثم رجع العسكرُ ولم يرجع هو. فأتاه ابنُ عمٍّ له فقال: ما يمنعك من القفول؟ قال: أخشى ابنةَ عمي أن تحولَ بيني وبين هذه الجارية وقد هويتها، فأنشأ يقول، وكتب به إليها:

ألا لا أبالي اليومَ ما صنعتْ هندُ إذا بقيت عندي حبابةُ والوردُ
شديدُ نياطِ المكبين إذا جرى وبيضاءُ مثلُ الرّيم زيَّنها العقدُ
فهذا لأيامِ الهياج وهذه لموضع حاجاتي إذا انصرفَ الجندُ

فكتبت إليه امرأته:

لعمري لئن شطَّت بعثمانَ دارُه وأضحى غنياً بالحبابة والوردِ
ألا فأقرئه مني السلام وقل له غنياً بفتيان غطارفةٍ مردِ
إذا شاء منهم ناشئ مدَّ كفَّه الى كفل ريَّان أو كعثب نهدِ
بحمد أميرِ المؤمنين أقرَّهم شباباً وأغزاكم خوالف في الجندِ
فما كنتم تقضون حاجةَ أهلكم قريباً فيقضوها على النأي والبعدِ
فأرسل إلينا بالسَّراحِ فإنه مُنانا، ولا ندعو لك الله بالرشدِ
إذا رجع الجند الذي أنت منهم فزادك ربُّ الناس بعداً على بعدِ

فلما وصلت أبياتها إليه باع الجارية، وأقبل مسرعاً، فوجدها معتكفةً على مسجدها وصلاتها فقال: يا هند فعلت ما قلتِ. قالت: الله أجلُّ في عيني وأعظمُ من أن أركبَ له مأثماً، ولكن كيف وجدت طعم الغَيرة، فإنك غظتني فغظتُك.

● كان تميم الداري يبيع العطرَ في الجاهلية، وكان من لخم، فخطبَ أسماء بنت أبي بكر في جاهليته، فماكسهم في المهر، فلم يزوّجوه. فلما جاء الإسلامُ جاء بعطر يبيعه، فساومته أسماء، فماكسها، قالت له: طالما ضرَّك مكاسك! فلما عرفها استحيا، وسامحها في بيعه.

● أوتي هشامُ بن عبد الملك بجارية تُعرض عليه، فأعجب بها، فساومَ صاحبها بها، فأبعد عليه في السوم. فقال له: لأعطينك بها أعطية لم أبلغها بجارية قط، لك بها عشرةُ آلاف

درهم. فأبى، وخرج بها.

قال: وتبعتها نفس هشام، وجعل لا يطيب بالزاد نفساً. فأتى الأبرش الكلبي مولاها، فلم يزل حتى أخذها منه بثلاثين ألفاً، وأهداها إليه... (١).

● خطب أحدهم امرأةً يقال له ثمامة، وبعثَ إليها رسولاً، فسألت عن حرفته، فرجع إليه، فقال شعراً وبعثَ به إليها:

وسائلةٍ ما حرفتي قلتُ حرفتي ... مقارعةُ الأبطال في كلِّ مأزقِ
وضربي طلى الأبطال بالسيفِ معلماً ... إذا زحف الصفانِ تحت الخوافقِ
إذا القومُ نادوني نزالاً رأيتني ... أمام رعيلِ الخيل أحمي حقائقي
أصبِّرُ نفسي حين لا حُرَّ صابرٌ ... على ألم البيضِ الرِّقاق البوارقِ

فلما قرأت الشعر قالت للرسول: قل له: فديتك، أنت أسدٌ فاطلب لنفسك لبؤة، فإني ظبية أحتاجُ إلى غزال!

● قال ابن الأعرابي: احترقَ بيتٌ لامرأة من العرب، فألقت خمارها على وجهها وغطته به. فقيل لها: ما لك؟ قالت: أكرهُ أن أنظرَ إلى يومٍ سوء!

---

(١) وقد أوردت هذا الخبر للعبرة, ولفضيلة للخليفة, حيث كان بإمكانه أخذها من صاحبها عنوة, أو الإضرار به ليتنازل عن حقه.. وهو خليفة.

● وقال الأصمعي: دعت امرأةٌ من بني عامر على رجلٍ ظلمها فقالت: اللهم اشفني به في الدنيا، فإني عنه في الآخرة في شغلٍ بنفسي!

● قُتل فطن بن سريح – وهو من بني عذرة – فأقبلت أمهُ وهو مقتولٌ فقالت:

ألا تلـــك المســـرَّة لا تـــدومُ ولا يبقـى علـى الـدهر النعـيمُ
ولا يبقـى علـى الحـدثان عقـرٌ لشـــــــاهقةٍ لـــــــه أمٌّ رؤومُ

وقالت:

يا جامعاً جامع الأحشاء والكبد يا ليـت أمـك لم تولـدْ ولم تلـدِ

ثم كبت عليه، فشهقت شهقةً وماتت.

- قال عبد الله بن محمد المدني: ما رؤيت ابنة عبدالله بن جعفر الطيار ضاحكةً منذ تزوجها الحجّاج. فقيل لها: لو تسليتِ، فإنه أمرٌ قد وقع. قالت: كيف وبِمَ؟ فوالله لقد ألبستُ قومي عاراً لا يُغسَل دَرَنُه بغُسل...

* * *

تحسين القبيح وتقبيح الحسن[1]

للثعالبي

تحسين المقابح بالكنابات:

- النصيحةُ عند العمال كنايةٌ عن السعاية.
- والاقتصادُ عند البخلاء كنايةٌ عن السؤال.
- والسليمُ عند العرب كنايةٌ عند اللديغ.

---

(١) تحسين القبيح وتقبيح الحسن / لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)؛ تحقيق علاء عبد الوهاب محمد .- القاهرة: دار الفضيلة, ١٤١٤هـ, ١١٨ص.

يقول المؤلف في كتابه هذا: "هذا الكتاب ألفته وصنَّفتُه برسمه, وشنَّفتُه وشرَّفتُه باسمه, وأودعته لُمَعاً من غُرر البُلغاء, ونُكَت الشعراء, في تحسين القبيح وتقبيح الحسن, إذ هما غايتا البراعة, والقدرة على جزل الكلام في سرِّ البلاغة وسحر الصناعة, وما أراني سُبقت إلى مثله في طرائف المؤلفات, وبدائع المصنَّفات...".

قلت: حقاً إنه غريب, وبديع في بابه, ولكنه ليس من الأدب الإسلامي في شيء, بل فيه أشياء كثيرة مخالفة لمنهج الإسلام في السلوك والمعاملات, مثلما ورد في تحسين البخل, والجبن, والفرار, وتقبيح المشورة, والصبر, والحلم, والحياء, والجود.. ولم يبدُ لي أن المؤلف أوردها اقتناعاً بها, بل هو من قبيل ما ورد في الباب تجميعاً, ولكن كان عليه أن يبين ذلك, ويورد الصحيح في بابه, حتى لا يقع القارئ العادي في شَرَك بلاغة الأديب البليغ.. وإنما أوردتُ هنا ما لا بأس به إن شاء الله, وما يعرفه القارئ ويدرك جوانبه, ويعجب لإيراده.

وهذا الكتاب, وغيره من أمثاله في هذه السلسلة, إنما أختار منها وأنتقي, ولا أنصح بقراءتها, إلا من باب العلم بالأمر أو نقده.

- وأبو البيضاء عندهم كنايةٌ عن الزنجي.

● تحسين الفقر:

- قال بعض الحكماء: الفقيرُ مخفٌّ آمنٌ ولا عدوَّ له، والغنيُّ مثقلٌ خائفٌ ولا تحصى أعداؤه.

- وقال أبو العتاهية:

ألم ترَ أن الفقرَ يُرجَى له الغنى وأن الغنى يُخشى عليه من الفقرِ؟

- وقال شاعر الوعظ والرقائق محمود الوراق:

يا عائبَ الفقرِ أمَا تنزجر عيبُ الغنَى أكبرُ لو تعتبرْ
من شرف الفقر، ومن فضله على الغنَى لو صحَّ منك النظرْ
أنك تعصي الله تبغي الغنَى ولستَ تعصي الله كي تفتقرْ!

● تحسين الحبس:

- قال الشاعر علي بن الجهم:

قالوا حُبِسْتَ، فقلتُ ليس بضائري حبسي، وأي مهنَّدٍ لا يُغمَدُ؟
أوَ ما رأيتَ الليثَ يألَفُ غَيْلَهُ كبراً، وأوباشُ السِّباع تردَّدُ[1]
والبدرُ يُدركه السِّرارُ فتنجلي أيامُه، وكأنه متجدِّدُ[2]
والحبسُ ما لم تَغْشَهُ لدنيَّةٍ شنعاءَ، نِعْمَ المنزلُ المتورَّدُ
بيتٌ يجدِّدُ للكريمِ مَحِلَّهُ ويُزارُ فيه، ولا يَزُورُ فيُحمَدُ!

(١) الغيلة: موضع الأسد.
(٢) السِّرار: آخر ليلة من الشهر.

- وقال بعضُ الأعراب:

وما السجن إلا ظلُّ بيتٍ سكنتُه وما السَّوطُ إلا جلدةٌ وافقت جلدا!

- تحسين أمر الثقيل:

- أنشد أبو سعد بن دوست لنفسه:

أتانا ثقيلٌ، فقلتُ اصبروا يخفُّ الثقيلُ على مَن صَبَرْ

فطيبُ الجلوس بثقل الثقيلِ كطيبِ الهريسِ بلحمِ البَقَرْ

- تحسين العمَى:

- قيل: لما عميَ ابنُ عباس رضي الله عنهما قال:

إن يأخذِ الله من عينيَّ نورَهما ففي لساني وقلبي منهما نورُ

قلبي ذكيٌّ وعقلي غيرُ ذي دَخَلِ وفي فمي مقولٌ كالسيف مأثورُ(١)

- وقيل لقتادة: ما بالُ العميان أذكى وأكيسُ من البصراء؟

فقال: لأن أبصارهم تحولت إلى قلوبهم.

- تحسينُ الوحدة:

أنشد أبو محمد عبدالله الزوزني لنفسه في باب الهزل والإحماض:

---

(١) الدخل: العيب والريبة.

يلومـــونني في وحـــدتي وألـــومُهم ولو أنصفوني صوَّبَ الرأي مَنْ لحا
وحسبُك مـن فضـلِ التوحُّـد أنَّـه إذا ضـاق بطـنُ المرءِ بالـريح سرَّحا!

- تحسينُ الجبن والفرار!

- رُئي شيخ كبير من الجند في بعض الحروب وقد تأخَّر عن الصفِّ واستعدَّ للهروب، فقيل له: أتأخذُ رزقَ السلطان بهذا الجبن؟ فقال: لو لم أكن جباناً لما بلغتُ هذه السن العالية!

- ورأى بعضُ الأمراء رجلاً قد تأخر عن الصفِّ فقال: ويلك، لِمَ لا تحارب؟ فقال: أيها الأمير لستُ اليوم بطيبِ النفس، فاحسب كم جرايتي[1] لهذا اليوم، فاستردَّها مني في غيره!!

- تحسين سواد اللون:

أحسنُ ما قيل في ذلك، قول القاضي أبي يوسف – رحمه الله – وقد جرى ذكرهُ عند الرشيد: يا أمير المؤمنين، من فضل السواد أنه لم يُكتَبْ كتابُ الله سبحانه إلا به. والنورُ في السواد. يعني سواد النظر.

- تحسينُ الشيب:

(١) الجراية: الراتب, أو المكافأة.

قال بعضُ البلغاء: الشيبُ حلية العقل، وسمةُ الوقار، وعنوانُ التجربة، وشاهدُ الحنكة.

- تحسينُ المرض:

برأ الفضل بن سهل – وزيرُ المأمون – من علَّةٍ كان قد وجد بها، فجلس للناس، فهنَّؤوه بالعافية، فلما فرغوا من كلامهم قال لهم: إن في العلل نِعماً لا ينبغي للعقلاء أن يجهلوها، فمنها تمحيصُ الذنوب، والتعرُّضُ لثواب الصبر، وإيقاظٌ من الغفلة، وإذكارٌ بالنعمة في حال الصحة، واستدعاءٌ للمثوبة، وحضٌّ على الصدقة، ورضى بقضاء الله وقدره...

- تحسين الموت:

لقد أحسنَ من قا ل: إن الصالح إذا مات استراح، والطالح إذا مات استُريح منه.

- تقبيح العقل!

قال ابن المعتز:

وحـــلاوةُ الـــدنيا لجاهلهـــا ومـــرارةُ الـــدنيا لمـــن عقـــلا

- تقبيح عمل السلطان وخدمته:

- من أمثال هذا الباب قولهم: مَن تحسَّى مَرَقَةَ السلطان

احترقت شفتاهُ ولو بعد حين!

- وقول العامة: مَن أكلَ من مال السلطان زبيبة، أدَّاها تمرةً!

- ومن فصول ابن المعتز: أشقي الناس بالسلطان صاحبه، كما أن أقربَ الأشياء إلى النار أسرعُها احتراقاً!

- تقبيح الغنى والمال:

- كان يُقال: الغنى يورثُ البطر، ويقرعُ بابَ جهنم.

- ويقال: .. قد يكون مالُ المرء سببَ حتفه، كما يُذبحُ الطاووس لحسن ريشه، ويُصادُ الثعلبُ من أجل وبره.

- تقبيح الولد:

- قال أكثم بن صيفي: من سرَّه بنوهُ ساءتهُ نفسه.

- وقال المؤلف: إذا ترعرع الولد، تزعزع الوالد.

- وكان يقال: من أرادَ أن يذوق الحلاوة والمرارة في شيء واحد فليتخذْ ولداً.

- وكان الشيخ أبو الطيب سهل بن أبي سهل الصعلوكي[1] يقول: ما كنتُ أعرف سببَ رقص الصوفية حتى سمعتُ قول أبي الفتح البُستي الكاتب:

---

(١) مفتي نيسابور وابن مفتيها (ت ٣٨٧هـ).

يقولـون ذكـرُ المـرء يحيـا بنسـله ومـا أن لـه ذكرٌ إذا لم يكـنْ نسـلُ
فقلت لهم: نسلي بـدائعُ حكمتي فـإن فاتنـا نسـلٌ فـإنا بـه نسـلو

فكدتُ أرقصُ طرباً لحسنه، وعلمتُ أن الكلامَ الحسنَ يُرقص!

- تقبيح الورد:

- كان ابن الرومي يذمُّ الورد ويهجِّنه ويقبِّحه، لأنه كان يَزكُم من رائحته...

- وكان الأمير خلف بن أحمد (أمير سجستان) يُعجَب جداً بقول أبي الفتح البُستي، وينشدهُ ويردده:

لا يغرَّنـك أنـني لـينُ اللمـس فغـربي إذا انتضـيت حُسـامُ
أنا كـالورد فيـه راحـةُ قـومٍ ثم فيـــه لآخـــرينَ زُكـــامُ

- تقبيح القمر:

قال بعض ظرفاء الأدباء، ممن سكن دُورَ الكِراء، وقد قيل له: انظر إلى القمر ما أحسنه!

فقال: والله لا أنظرُ إليه لبغضي له! قيل: لِمَ؟ قال: لأن فيه عيوباً.. قيل: وما هي؟ قال: ما يَصْدُقُه العيان، وتشهدُ به الآثار، أنه يهدمُ العمر، ويقرِّبُ الأجل، ويحلُّ الدَّين، ويجبُ

كِراء المنزل، ويقرضُ الكتان، ويشحبُ الألوان، ويسخنُ الماء، ويفسدُ اللحم، ويُعين السارق، ويفضحُ العاشق والطارق!

- تقبيح الشراب:

قيل لبعض الحكماء: اشربْ معنا النبيذ.

فقال: لا أشربُ ما يشربُ عقلي.

- تقبيح الغناء والسماع:

قال الحطيئة لقوم نزلوا به: جنِّبوني يا بني فلان الغناء، فإنه رُقية الزنا.

- تقبيح الهدية:

أُهدي إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله هدية، فردَّها، فقيل له: إن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية؟

فقال: قد كانت الهديةُ له هدية، وهي لنا رشوة، وقد لعنَ الله الراشي والمرتشي.

* * *

حدائق الآداب[1]

لابن شاه مردان

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المرء مخبوءٌ تحت لسانه.

وقال أيضاً: قيمةُ كلِّ امرئ ما يُحسن.

---

(١) حدائق الآداب / لأبي محمد عبيدالله بن محمد بن شاهمردان الأبهري (توفي نحو ٦٠٠هـ)؛ تحقيق محمد بن سليمان السديس.— ط ٢، منقحة تحوي مادة الكتاب كلها.— الرياض: المحقق، ١٤١٦هـ، ٨٠٠ص.
يتألف هذا الكتاب من ثلاثين كتاباً، في موضوعات متنوعة، لغوية ونحوية وصرفية وفقهية وعروضية، وقد قام المؤلف بتضمين كل كتاب ما رآه أنفع من غيره في موضوعه، وأولى بالاطلاع عليه واستيعابه، منتقياً من كتب عديدة ما كان جديراً في رأيه بمعرفته وتعلمه، وعلى نحو مقتضب في الغالب، ليكون أيسر في التعلم. وقد بيَّن في خطبة كتابه أن خطته قائمة على انتقاء اللباب من كتب العلم، ولاسيما كتب اللغة، وما يحتاج إليه الكتَّاب وأهل الأدب. وقد عبَّر عن عمله هذا بأنه نخل للعديد من الكتب، وذكر أن الوزير ابن شعيب أشار عليه بهذا العمل لأنه "أقرب على المتعلم، وأسهل على المتأدب، وأعود على الناظر، وأنشط للطالب الراغب، مع ما في ذلك من خفة المؤونة على العالم الماهر". وقال: "هو كتاب يجمع الكتب، وبستان بُني على البساتين، ويحتوي على حدائق الرياحين، لأن كل كتاب منه حديقة منفردة بأنواع من الشجر، وفنون من الزَّهر، ترتاح له نفوس الأدباء، وقلوب الألبَّاء، كما ترتاح للرياض المونقة، والأنوار المبهجة".==

روي عن مَعْبَد البَجَليّ أنه قال: لما فرغ عبدالملك بن مروان من مصعب بن الزُّبَير اعترض القبائل، فجاءت عَدْوَان، وفيها رجلٌ أبيضُ بَضٌّ جسيمٌ وسيمٌ سَرِيٌّ بَهِيٌّ، فتقدَّم أمامها، فلما مَثَل بين يدي عبدِالملكِ اجتهرته عَيْنَاه، أي استَحسَنَتْهُ واستعظَمتْهُ، فأَقبَلَ عَليهِ مِن بينِ الجمَاعَة، فقال: مَنِ الذِي يقول:

عَــذِيرَ الحَــيِّ مــن عَــدْوا نَ كـــانوا حيَّـــة الأرْضِ؟

= والكتب الثلاثون التي احتواها هذا الكتاب هي: أسنان الحيوان، خلق الإنسان، الخيل، الإبل، الشاعر، الوحوش، السباع، الحشرات، الطير، الصفات والأسماء (أسماء الأرَضين والصحارى والجبال والمناهل وأماكن تجمع المياه وأسماء الرمال وأسماء منازل الأعراب)، أسماء ما في السماء والهواء، الأزمنة، النبات، الحرث والزرع، السلاح، الميْسر، الأمثال، الألفاظ المستعملة بين الناس، الألفاظ المتفقة المختلفة المعاني، الألفاظ المختلفة المتفقة المعاني، المثلث، إصلاح المنطق، الإعراب، الهجاء، الممدود والمقصور، التأنيث والتذكير، الجمع والتثنية، الألفاظ الدائرة في السنن والأحكام، ألفاظ الديوان، العروض.

وقد سبق انتقاء فقرات عديدة من الكتب التي ضمَّنها المؤلف كتابه هذا، في سلسلة الكتب النادرة هذه، وهي أجملها وأبدعها.. وحاولت جمع ما لم أورده سابقاً هنا. ولا توجد ترجمة للمؤلف.

فقال: لا أدري. وكان مَعْبَدُ دَمِيماً، فقال عبدُالمِلِكِ للجَمِيل: إيه. قال معبد: فأنشدتُهُ من خلفه:

بغـــى بعضـــهمُ بعضـــاً فلـــم يَرْعَـــوْا علـــى بعـــضِ
ومِـــنهُم كانـــت السَّـــادَات والموفـــــونَ بالقَـــــرْضِ
ومـــنهم حكَـــمٌ يقضـــي فـــلا يُـــنقَضُ مـــا يَقضـــي
ومـــنهم مـــن يجـــير الحَـــجَّ بالســـــنَّة والفَـــــرْضِ
وهـــم إن وَلَـــدُوا أشْـــبَوْا بِسِـــرِّ الحَسَـــبِ المـــَحْضِ

قال: فتَعَدَّاني وأقبَلَ على الجَميل فقال: مَن يقول هذا مِنْكُمْ؟

قال: لا أدري. فقلت من خلفه: ذو الإصبع. فقال له: ولم سُمِّيَ ذا الإصبع؟ فقال: لا أدري. فقلت من خلفه: نهشته أفعى فقطعت إصبعه. فقال له: ممن كان؟ فقال: لا أدري. فقلت: من بني ناجٍ. فقال عبد الملك:

أبعْـدَ بـني ناجٍ وسـعدٍ ومالـكٍ فلا تُتبِعَنْ عينيكَ من كان هالكا

فقال له: كم عطاؤك؟ فقال: سبعمائة درهم. ثم قال لي: كم عطاؤك؟ فقلت: ثلاثمائة درهم. فقال: حُطّا من عطاء هذا أربعمائة درهم وزيداها في عطاء هذا.

فخرجنا وعطائي سبعمائة، وعطاءُ الجميل ثلاثمائة.

● الغنمُ اسمُ الضأن والعنز. والذكَرُ من الضأن يقال له الكبش، والأنثى نعجة. والذكرُ من المعز هو التَّيس، والأنثى عنز. ويقال لولد النعجة أول ما تضع حَمَل. وولد المعز الذكر جَدي، والأنثى عَناق.

● صفة الشَّعر: جَعْدٌ وقَطَطٌ ولَيِّنٌ وأحْجَنٌ ومقَصَّبٌ وسَبْطٌ وحَالِكٌ وفَاحِمٌ وغَرْبيبٌ وحُلْكُوكٌ وسُخَامٌ ودَجَوْجِيٌّ وجَثْلٌ وَوَحْفٌ وكَثٌّ وأَثِيثٌ ورَسْلٌ وأَصْهَبُ وأَصْبَحُ وأَزْعَرُ وأَمْرَطُ وأَمْعَطُ وأَحَصُّ وأفْرَعُ وأَقْرَعُ وأَصْلَعُ وأَجْلَحُ وأَجْلَهُ وأَجْلَى وأَنْزَعُ وأَشْيَبُ وَأَشْمَطُ وَمُخْلِسٌ.

والضَّفَائرُ والغَدَائِرُ والعَقِيصَةُ والقُرونُ والعَقِيقَةُ والجُمَّة واللِّمَّة والوَفْرَةُ.

التفسير:

الجَعْدُ والقَطَطُ: مثل شَعْر الزِّنْج والنُّوبَة. والأَحْجَنُ: الذي فيه تَثَنٍّ. وشعرٌ رَجِلٌ أي سَهْل، والسَّبِط مثله، والمُقَصَّب: الذي يُلْوَى على القَصَب ثم يُنْزعُ القَصَب ويبقى على حاله. والحالِك والحُلْكُوك والدَّجْوَجيُّ والفَاحِم والغِرْبِيبُ: كُلُّهُ الأسود، والسُّخام: اللَّيِّن، والجَثْلُ والوَحْفُ والكَثُّ: الكثير. فأما الأثِيث: فالكثيرُ الأصولِ الطويلُ. والأمعطُ والأمرطُ والأمرد: الذي لا

لحيةَ له. والأصهب: الذي فيه حُمرة، والأَصْبَحُ أشدُّ حمرةً منه. والأزعَرُ والأحَصُّ والزَّمِرُ: القليلُ الشعر، والأفْرَعُ: الوافرُ شعر الرأس. وكان أبو بكر رضي الله عنه أفْرَعَ، وكان عمر رضي الله عنه أصلع. والأقرع: الذي برأسه لُمَعٌ قد ذهبَ شعرها، والأصْلَع: الذاهبُ شعرِ الرأس، والأجْلحُ والأجلى والأَجْلَهُ: الذي ذهبَ الشعرُ عن مُقدَّم رأسه، وأما الأزعُ فالذي ذهب الشعرُ عن أعالي صُدْغَيهِ وتبقى ناصيتُه، والأشمط: الذي بياضهُ أكثرُ من سواده، والأشيب: الذي قد استوى بياضهُ وسواده، والمُخْلِس: الذي سوادهُ أَكْثَرُ من بياضه.

والظفيرتان هما للرِّجال دون النِّساء. وأما الغَدَائرُ والقُرُون فللنساء، فإذا عُقِصت فهي عَقِيصةٌ، والعَقْصُ أن تُجمَعُ القُرُونُ، فإذا أُرسلت مَظْفُورَةً فهي الغَدَائِرُ، والوَفْرة: ما تَجَعَّد من الشَّعْر وكَثُرَ وطال. واللِّمَّة: فوقها، سمِّيت بذلك لأنها تُلِمُّ بالمَنْكِب، والجُمَّة: دونها.

- **الحاجِب**: أبلجُ وأزجُّ وأقْرَنُ وأزَبُّ وأمْرطُ.

التفسير: الأبْلَجُ الذي ليس بين حاجبيهِ شعر. والأزجُّ: الدقيقي المقوَّس. والأقرنُ هو الذي يسمِّيه الكُتَّاب مَقرُونَ الحَاجِبَيْن. والأزبُّ: الكثيرُ الشّعر. والأمْرَطُ: القليلُ الشَّعْر.

- من صفات الأُذْن: الحَذْواء: وهي الطويلةُ المقبلةُ على

الوجه، والشَّرْفاء، المنتصبة في طول، والغَضْفَاء: المنثنية، والحَشْرة: اللطيفةُ الدقيقة، والمؤلَّلَة: الحديدةُ الطرَف، والصمعاء: الصغيرة، والسَّكَّاء: أصغرُ من الصمعاء، والزبَّاءُ والوطفاء: الكثيرةُ الشعر، والأذنُ الخطلاء: المسترخية. والأذنُ السميعة. ويقال للأصمِّ الذي لا يسمعُ شيئاً: أصمُّ أصلَخ.

● ومن نعوتِ الشفاه: الشَّنف: وهو انقلابُ الشفةِ العليا، ويقال لها شنفاءُ وقلباء. والعَلْماء: الشفةُ العليا إذا انشقَّت فانفتحت، والدَّلعُ من الإنسان: المسترخي الشفتين، ومن البعير: الهدَل. والأشدق: الواسعُ الشِّدقين، واللّعَس: سوادٌ يظهرُ من حمرة الشفتين، والحُوَّة مثلها، يقال: شفةٌ حَوَّاءُ ولَمْياءُ ولعساءُ وحَمَّاء، كلُّ ذلك في سواد الشفتين. والأفوهُ من الرجال: الذي لا تجتمعُ شفتاه، والأيَلُّ: القصيرُ الشفتين.

● من ألوان الخيل: الكُميت: الذي يسوَدُّ ذَنبُه وعرفُه، فإن كانا أحمرين فهو أشقر. والوَرْد بينهما. والأشهب: الأبيضُ الذي تشوبُه شعراتٌ سوداء، والأدهمُ الشديدُ السواد، والأبرش: الذي فيه ألوانٌ كأنه منقَّط. والأبقع: الذي في جسدهِ بقعٌ متفرقة مخالفةٌ لمعظم لونه. والأشيم: الذي فيه شامةٌ بيضاء أو سوداءُ وسائرُ لونه مخالف. والأدرع: الذي رأسه أسودُ وسائره أبيض، أو رأسهُ أبيض وسائره لونٌ آخر. والأرحل: الذي بظهرِهِ بياض. والأصقع: الذي في أعلى رأسهِ بياض. والأخصفُ

الأبيض الجنبين ولونُ سائره ما كان. والأقنف: الذي قفاهُ أبيض. والأغشى والأرخم: الذي يبيضُّ رأسه كله. والأسعف: الذي يخالطُ ناصيته بياض، فإذا ابيضَّت كلها فهو أصبغ. والأذرأ: الذي بأذنه نقطُ بياض. والأعصم: الأبيضُ اليد. والأرْجِل: الأبيض الرِّجل. والأشعَل: الذي في عَرض ذنَبه بياض. والبَهيم: الذي له لونٌ واحد في جميع جسدهِ لا يخالطه لونٌ غيره. والأصدأ: حمرةٌ في سواد. والصِّنَابي: الذي له شعرةٌ بيضاء وشعرةٌ حمراء. والقرطاسي: الشديدُ البياض الذي ليس فيه شعرة سوداء...

● أوصافُ القرون: الأنصبُ والأجنأ من صفات المعز، والأنصب: المستقيم قرناهُ فوق هامته إلى السماء، والأجنأ: الذي قد ارتفع قرناهُ على عنقه. والأدفَ: الذي ينثني قرناهُ على ظهره. والأشعب: الذي يتباعدُ ما بين قرنيه. والأعقص: الذي أقبل طرفُ قرنه على وجه أذنه. والأعضب: المنكسر أحدُ قرنيه وبقي منه شيء يسير. واللافت: المنفتلُ القَرن. والجمَّاء: التي لم ينبت لها قرنٌ قط. والقصماء: التي انكسرَ قرنها من طرفه. والمُشاشُ والمُريح: القرن الأبيضُ الذي في جوفِ القرن الأعلى.

● أسماء الجبال وصفاتها: الخَيْف: ما ارتفع عن المسيل، وهو دون الجبل. والنَّعْف: المرتفعُ عن الوادي، وعُرْعُرة الجبل: معظمهُ وأغلظه. والحضيضُ والقرار: موضعُ التراب. والمَحُرم:

منقطعُ أنف الجبل. والرَّعَن: ما تقدَّم من الجبل فسال في الأرض. والشِّمْراخ: رأسُ الجبل. والشِّعاف: رؤوسُ الجبال. والرَّيْد: ناحية مشرفةٌ من الجبل. والشِّعب: طريقٌ بين جبلين. والفِنْد: الجبلُ العظيم. والحَيْد: حرف شاخصٌ من الجبل. والثَّنِيَّة: الطريقُ بين جبلين يصعدُ إليها وينحدرُ منها. والرِّضام: صخورٌ عظام، والرِّجام: حجارةٌ تطوى بها البئر. والمَرْو: حجارةٌ فيها نار. والأخشب: الجبلُ العظيم.

● يروى أن عمر رضي الله عنه سأل رجلاً من أهل الطائف، وهم أصحاب كَرْم، فقال له: الحَبَلة (وهي الكرمة) أفضل أم النخلة؟ فقال: بل الحَبَلة، أتشبَّبها، وأتزبَّبها، وآدَمُ بها بُرمتي[1]، وأقيلُ في ظلِّها.

فقال عمر رضي الله عنه: لو كان ها هناك بعض الأنصارِ لردَّ عليك. والأنصارُ أصحابُ نخل.

فمرَّ رجلٌ من الأنصار، فدعاه عمر فقال له: إن هذا زعم أن الحَبَلة أفضلُ من النخلة؟

فقال الأنصاري: ليس كما قال؛ الزبيبُ إنْ آكُلْهُ أَضْرَسْ، وإن أَتْرُكْهُ أَغْرَثْ، ليس كالنخل الراسخات في الوحل، المُطْعِمات في المَحل، صُمْتَةُ الصغير، وتُحْفَة الكبير، وخُرْسةُ

(١) يعني يضع فيها من الخل ما يصلحها.

مريم ابنة عمران، وتُصْطَادُ به الضِّبابُ بالصَّلْفاء[1].

فقال عمر للطائفي: قد قلتُ لك!

● من معاني الحِمار: واحد الحُمُر، والخشبُ الذي يوضع عليه السَّرْج، والصخرةُ العظيمة.

● سأل الحجّاج رجلاً من أهل اليمامة: هل كان وراءك من غيث؟

قال: نعم، سمعت رائداً يقول: هلمَّ أظعنكم إلى محلةٍ تُطفأ فيها النيران، وتَشَكَّى منها النساء، وتَنَافَسُ فيها المِعْزى.

فلم يدرِ الحجاج ما يقول، فقال: ويحك، إنما تحدِّث أهل الشام فأفهمهم!

فقال: نعم، أصلح الله الأمير، أخصبَ الناسُ، فكان السَّمْنُ والزُّبْدُ واللبن، فلا توقد نارٌ يُختبزُ بها، وتَشَكَّى النساءُ مما يَمْخَضْنَ من اللبن، فتبيتُ المرأة ولها أنينٌ من عضديها، وتَنَافَسُ المِعزى لكثرة ما ترى من أنواع الثمر، فتشبع بطونُها ولا تشبع عينها.

● الفرقُ بين الفقير والمسكين، أن الفقيرَ الذي له بعضُ

(١) الصلفاء: الأرض الصُّلبة لا تنبت شيئاً.

ما يقيمه، والمسكين الذي ليس له شيء.

قال يونس: قلتُ لأعرابي: أفقيرٌ أنت؟ قال: لا والله بل مسكين.

● الوليمة: طعامُ العُرس. والوكيرة: طعامُ البناء عند الفراغ منه. والإعذار: طعام الخِتان.

والنَّقيعة: طعامُ الإملاك، وقيل: طعامُ القادم من سفر. والخُرْس: طعامُ الولادة. والوضيمة: الطعامُ الذي يصنعُ لأهل الميت.

● الفرقُ بين العجمي والأعجمي: العجمي منسوبٌ إلى العجم وهم الفرس، والأعجمي منسوب إلى الذي لا يُفصح: عجمياً كان أو تركياً أو سندياً...

● يقال: تَعِسَ وانْتَكَس: أي سقطَ على الوجه وعلى الرأس. والتَّعْسُ أن يَخِرَّ على وجهه.

● أَلِفاتُ الأسماء كلها قَطْعٌ إلا في خمسة أسماء، وهي: اسمٌ، واثنانِ، وامرؤٌ، وابنٌ، واسْتٌ.

● تؤرِّخ العربُ بالليالي دون الأيام، لأن أول الشهر عندهم ظهور الهلال. والعجمُ تؤرِّخ بالأيام، لأن أول الشهر عندهم طلوعُ الشمس، تقول العرب مثلاً: لثلاث خلون،

ولعشرٍ خلون، ولثلاثٍ بقين، ولإحدى عشرةَ خلت، لأنها تُرَدُّ على ليلةٍ واحدة. ويقال في أول ليلة يُهِلُّ فيها الهلال: غُرَّة الشهر، فإذا كان لليوم الأول (جميعاً) قيل: مستهلُّ الشَّهر.

● أسماء البلدان أكثرها مؤنث، لأن المراد منها "البلدة" و"البقعة". وما يُذكَّر منها فإنه يُراد به "المكان".

● أسماء القبائل يجوز فيها التذكير والتأنيث، فأما التذكير فأن تجعل الاسمَ اسمَ الحيِّ، فتقول: رأيتُ تميماً قد أقبل، أي حيَّ تميم، ورأيتُ تميمَ قد أقبلت، إذا جعلت تميمَ اسماً للقبيلة.

● معنى "الآية" – في القرآن الكريم – أنها جماعةُ حروف. ومنه يقال: خرج القومُ بآيتهم، أي: بجماعتهم: والآية: العلامة أيضاً، ومنه سمِّيت آيُ القرآن، لأن أواخرها تتشابه، فكأنها علامات. وآياتُ الله: هي العلاماتُ التي تدلُّ على توحيدهِ وصفاته.

● و"السُّؤْرة" تُهمز ولا تُهمز، فمن همزها جعلها من "أَسْأَرْتُ في الإناء"، أي أفضلتُ فيه فضلاً، فكأن السورةَ قطعةٌ من القرآن. والسُّؤر: البقيةُ من الشراب يُبقيها الشاربُ في الإناء. ومن لم يَهمز "السُّوْرة" جعلها من سور البناء، فكأنها

منزلة بعد منزلة.

● و"القَلم" سمِّي قلماً من قولهم: قلَمْتُ الشجرةَ، وقلمتُ الكرْم؛ إذا قطعت رؤوس أغصانها لتعودَ القوةُ في باقيها. وكذلك "القلم" مقلَّم من القصبة، أي مقطوعٌ منها. وقلمتُ الظُّفرَ: قصصتُ أطرافَه.

* * *

رائق التحلية في فائق التورية[1]

لابن زرقالة

قال الشاعر الأديب ابن خاتمة الأنصاري:

فمـن المحقَّـقِ أن مـذهب مـالكي لا تسـتقيم لديـه حُجَّـةُ شـافعي

---

(١) رائق التحلية في فائق التورية / صنفه الوزير الأديب أبو جعفر أحمد بن علي ابن زرقالة الأندلسي؛ حققه وشرحه وقدم له محمد رضوان الداية.— دمشق: دار الحكمة، – ١٣٩هـ، ٧٩ص. — (دراسات أندلسية؛ ٩).

وهو مجموعة مختارة من مقطوعات شعرية، وقطع من قصائد مطولة، من شعر ابن خاتمة الأنصاري، والرابط الذي يجمع بينها رابط فني، وهو "التورية" من فنون البديع، الذي تفشَّى في الشعر وسيطر على اهتمامات نفر من الشعراء، أو على جوانب من اهتماماتهم، في القرن الثامن الهجري، وكان ابن خاتمة من جملة الذين أولعوا بالتورية من شعراء الأندلس لهذا العصر، ولكن في إطار محدود، ربما لإظهار القدرة على المجاراة، أو أنه من جملة الطُّرَف والمُلَح ورياضة الذهن، وإثارة المجالس بالمذاكرة والمداعبة والتسلية بالتورية في بعض المقطعات.

والتورية، أو الإبهام، والتخييل، هو أن يذكر ألفاظاً لها معان قريبة وبعيدة، فإذا سمعها الإنسان سبق إلى فهمه القريب، ومرادُ المتكلمِ البعيدُ. وهي على أربعة أنواع: مجردة، ومرشحة، ومبنيَّة، ومهيَّأة. ==

(التورية بأسماء بعض أصحاب المذاهب وألقابهم. والمالك: المحبوب. والشافع: الرسولُ إليه).

- وقال:

ومعطَّـرُ الأنفـاسِ يَبسـمُ دائمـاً عـن دُرٍّ ثَغْـرٍ زانـهُ ترتيـبُ
مـن لم يشـاهد منـه عِقْـدَ جـواهرٍ لم يـدرِ مـا "التنقيح" و"التهـذيبُ"

(التورية بأسماء الكتب: التنقيح للقرافي، والتهذيب في اختصار المدوَّنة للبرادعي، وهما اسمان يكثرُ استعمالهما في اختصار الكتب الكبيرة وتيسيرها. والمقصودُ معنى الكلمتين لغة).

= والشاعر هو أبو جعفر أحمد بن علي، عُرف بابن خاتمة الأنصاري، الأندلسي. ولد في المَرِيّة، وتوفي بها سنة ٧٧٠هـ. وكان شاعراً، كاتباً، متطبباً، صوفياً متزهداً، اشتهر بالتدريس والإقراء في المسجد الجامع بالمرية. وتعدَّت شهرته إلى العاصمة غرناطة، فكانت له صلات بذوي الشأن فيها. والمؤلف – ابن زرقالة – وزير أديب، من رجال القرن الثامن، من أهل المرية. قلت: وقد أوردت بعض الأبيات التي فيها تورية، وأتبعتها بشرح وبيان المحقق بين قوسين، لتقريب هذا الفن الغريب، وتنبيه الأذهان إليه، وقد اندرس أو كاد!

- وقوله:

عجبـتُ لـدمعي لايـزالُ مـروّياً فيُقْبِـلُ في آثاره وهـو مطـروحُ

(التورية بألقاب مصطلح الحديث: الرواية – المقبول – المطروح. والمقصود: المعنى اللغويُّ للكلمات).

- وقوله:

كيفَ يرجو المشوقُ جَبْرَ فؤادٍ بين كسرِ اللسانِ والأجفانِ

(التورية بألقاب علم الحساب والرياضة: الجبر والكسر).

- وقوله:

أَرومُ تشكّي تيهكُم فتصدُّني دموعٌ لها من دون رؤيتكم سِتْرُ
وكيف بصبرِ الصبِّ عمَّن يُحِبُّه وقد حالَ تيهٌ دونه وطما بحرُ

(التورية بقوله: حالَ تيهٌ. والتيه: المفازة لا علامةَ فيها تُهتدَى بها. والمورَّى عنه تيهُ المحبوب "صدُّه وتكبُّره". وبقوله: وطما بحر، موهماً البحر المعروف. والمقصود: طما بحرُ الدموع، مبالغة ومجازاً).

- وقوله:

يَشوقُ فؤاديَ زهرُ الرياضِ إذا لاحَ في صفرةٍ وابيضاضِ
أراعي به أنجماً طالعاتٍ إذا ما سمتْ أذِنَتْ بانقضاضِ
ولا غَرْوَ يُعْنى مَشوقُ الفؤاد برعيِ النجوم وشُغلِ الرياضِ

(التورية بالنجوم والرياضة "علم الفلك والرياضيات". والمورَّى عنه: النجوم، جمع نجم، وهو ما لا ساقَ له من النبات.

والرياض: جمع روضة).

- وقوله:

أردِّدُ طــرفي بــين ظــاهرِ روضــةٍ ومعنى غصونٍ جِيْدُها واضحُ النصِّ

(التورية بكلمة "النص"، وهو صيغةُ الكلام وبناؤه. والمورَّى عنه من قولهم: نصتِ الظبية جيدَها: إذا رفعتهُ وأظهرته).

- وقوله:

تقول سُليمى إذ رأت شَيْبَ لِمَّتي لقد حالَ من ذاك الشبابِ سوادُه
وما تُنكِر الحسناءُ من خطِّ كاتبٍ قد ابيضَّ من طولِ الكتاب مدادُه

(التورية بأدوات الكتابة، وخصوصاً أبيض من المداد، والمقصود: ظهور الشيب وتفشِّيه).

- وقال:

له جيشُ نصرٍ قد نضا السَّعْدُ دونَهُ صــوارمَ رَوْعٍ لا تفيهــا الفــوارسُ
إذا مــا قــوافي الخيــل فيــه تــداركتْ فأبْشِــرْ بنصــرٍ بحــرُه متكــاوسُ

(التورية ببعض ألقاب القافية. والمتدارك من القوافي ما اجتمع فيها متحركان بعدها ساكن، والمتكاوسُ منها ما اجتمعت فيها أربعة حروف متحركة بعدها ساكن. والمورَّى عنه المعنى اللغوي من تكاوس الشيء: إذا تراكم وتراكب. وتداركت الأشياء: تتابعت).

- وقوله من قصيدة:

خضـوعٌ طويـلٌ ودمـعٌ سـريعٌ وخـدٌّ بسـيطٌ وشـجوٌ مديـدْ

(التورية بأسماء بحور الشعر: الطويل، والسريع، والبسيط، والمديد. والمورَّى عنه ما فيها من معنى لغوي: الطول، والسرعة، والانبساط "الخدّ الأسيل"، والامتداد).

- وله في أخرى:

عندي من الوجد ما لو أن بادرةً منـه تُفَـضُّ لعمَّـتْ كـلَّ موجـودِ
وحُقَّ لي فضـميرُ الحـبِّ في كبـدي ضـميرُ شـأنٍ سما عـن كـلِّ معهـودِ

(التوريةُ بضمير الشأن في علم النحو).

- وأنشد من أخرى:

نَضـحَ الغمـامُ غـدائرَ الأشـجارِ فبكـلِّ عـينٍ منـه دمـعٌ جـارِ
يبكـي وتبتسـمُ البِطـاحُ طلاقَـةً فاعجبْ لضِحْكٍ شِيْبَ باستعبارِ
شـجرٌ قـد اشتبكتْ بنـان غصـونه فـالطيرُ فيـه مُسَلْسَـلُ الأخبـارِ

- وله:

والمـاءُ في صُـحفِ الحـدائق مُرسَـلٌ روَّى عواليهـا بغـير شـروطِ
بسطَ النباتُ بها خطوطَ محاسنٍ فاعجـبْ لهـا ولخطِّهـا المبسـوطِ

(التورية – في البيت الأول – في: مرسل، وروى، وعوالي، من ألقاب الحديث. والتورية – في البيت الثاني – في: خطها

المبسوط، يوهم الخط المعروف).

- وأنشد من قصيدة:

أكلما صفتِ لحناً في الخفيف ضحًى حرَّكتِ ساكنَ أشواقي بتشديدِ
ما مُدَّ سَجْعُكِ إلا ظَلَّ يَقْصُرني فاعجبْ لتقييدِ مقصورٍ بممدودِ

(التورية في الأول بالسكون والتشديدُ مما يطرأ على الحروف، وفي الثاني بألقاب الصرف: المقصورُ والممدود).

- وقوله:

تمضي الفروعُ على حكم الأصولِ ولا استذكارُ قلبٍ ولا تمهيدُ منقلبِ
خطَّ المشيبُ على فَوْدَيْكَ تذكرةً بأن تُنيب، وحتى الآنَ لم تُنِبِ

(التورية بأسماء الكتب: الفروع، الأصول، الاستذكار، التمهيد، التذكرة).

* * *

الشرح الجَلي

على بيتَي المَوْصلي[1]

للبربير

الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم الموصلي من أكابر شعراء عصره، مولده وفاته في دمشق (١٠٣١ - ١١١٨هـ)،

---

(١) الشرح الجلي على بيتي الموصلي / أحمد البربير.- ط٢. – بيروت: نسيب البربير، د. ت، ٥٤٨ص.

وقد سبق صدور الكتاب في طبعته الأولى عن المطبعة الأدبية ببيروت عام ١٣٠٢هـ.

وهو – كما في بداية عرض الكتاب – شرح لبيتين – فقط – من أبيات عبد الرحمن الموصلي، بصفحاته الكثيرة هذه! وهو ما لم أجده لشروح أشعر الشعراء، مما حملني على جعله بين الكتب النادرة. وتبيَّن من ترجمة صاحب البيتين أنه صوفي، والبيتان فيهما إشارة إلى الخمر، وهو ما نجده منتشراً في نظم كثير للصوفيين، على مدى قرون متطاولة، ويفسرونه بوجوهه المعنوية دون المادية.

ثم اطلعت على مضمونه فرأيته توسع في الشرح حتى خرج عن المألوف، وتطرق إلى موضوعات تتعلق بصناعة الشعر، وقدرة الشاعر، وثقافته، ومطالب في علوم شتى، وأدبيات عديدة، ثم رأيت بينها أخباراً نادرة وحكايات غريبة، وفوائد مبثوثة بين ثنايا تلك المطالب، مما حفزني إلى انتقاء بعضها للفائدة المرجوة. ومن بين ما تطرق إليه حديث عن علوم الشريعة، والعلوم العربية، وعن الروح، والحياء، والذكاء، والظرف، والبلاغة والفصاحة. والكرم، والبخيل، واللئيم، والجبن، والقوس، والعصا، وطول القامة، والحسن والجمال، وأرباب الصنائع والحرف، والصفات المحمودة والمذمومة في النساء، وعلم العروض، والمنطق، والطب، وتدبير المنزل. ==

عرَّفه المحبّي في تاريخه وقال: ".. الصوفي الأريب، الذي بهر واشتهر، وفاق على أهل عصره في الأدب كروضٍ أطلَّ على نَهَر".

وله ديوان شعر، قال فيه المؤلف: وجدتُ في ديوانه هذا بيتين، أخالهما الفرقدين، بل النيّرين، لا يمكنُ أن بليغاً يعزّزهما بثالث، ومن حلف أن لهما نظيراً فهو حانث. هذا ولم يجد فكري طاقةً بالدخول إلى معناهما من باب، وقد سألتُ كثيراً عن قصده فيهما، فأُجبت بما أظنُّ أنه غير الصواب، وهما قوله من قصيدة:

إنْ مـــرَّ والمـــرآةُ يومـــاً في يـــدي مِنْ خلفهِ ذو اللُّطْفِ أسمى مَن سَما
دارتْ تماثيـــلُ الزُّجـــاج ولم تَـــزَلْ تقفـوهُ عَـدْواً حيـث سـارَ ويمَّمـا

= والمؤلف هو أحمد بن عبد اللطيف البربير الشافعي، ولد في دمياط، ونشأ هناك، ثم عاد إلى موطن أسرته في بيروت، وتولى فيها القضاء، ثم استعفي منه ورعاً وتقوى، وتوجه إلى دمشق، وبقي هناك إلى أن توفي سنة ١٢٢٦هـ. ومن مؤلفاته الأخرى: اقتباس آي القرآن، سليمان، مقامات البربير، مقامة في المفاخرة بين الماء والهواء، زهر الغيضة في ذكر الفيضة، ديوان شعر.

فهل يمكنك حلُّ رمزهما، وفتح كنزهما؟ ورفع لثامهما، ودفع إيهامهما وإيهامهما؟ ليتمتع رائيهما بجمالهما الموفور، وحسنهما المستور.. [1]

● لما رأى الكسائي من المأمون مع صغر سنه ما بهرهُ من الأدب، حتى قضى منه بالعجب، قال له المأمون: لا تعجب أيها الشيخ، فإنَّا أناس يولدُ أدبنا معنا!

● من الجوابات المسكتة أن بعض رؤساء المجوس قال لبعض الأمراء من العرب العرباء: لِمَ أبحتم أيها العرب دفنَ البنات؟ فقال: لتحليلكم نكاحهنَّ للآباء!

قلت: وهذا جهلٌ فوق جهل الجاهلين.

● قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما أضمر إنسانٌ ضميراً إلا وظهر في صفاتِ وجهه وفلتات لسانه!

● قال ابن زُهر وقد نظر في المرآة بعد أن وخطهُ الشيب:

---

(١) ثم شرح البيتين من خلال الكتاب كله, مع اسطرادات..

إني نظـرتُ إلى المـرآة مُـذْ جُليـتْ فـأنكرتْ مقلتـايَ كـلَّ مـا رأتا
رأيـتُ فيهـا شـويخاً كنـتُ أعرفـه وكنـتُ أعهـدهُ مـن قبـلِ ذاك فـتى
فقلت أين الذي بالأمس كان هنا مـتى ترحَّـل عـن هـذا المكـان مـتى
فاستضحكتْ ثم قالت وهي معجبةٌ إن الـذي أنكرتْـهُ مقلتـاك أتـى
كانت سُليمى تنادي يا أخي، ولقد أمست سُليمى تقول اليوم: يا أبتا

● قال ابن خالويه. إنما سمِّي الشيبُ شيباً لاختلاط بياض الشعر بسواده، يقال: شبتُ الشيءَ أشوبه: إذا خلطته.

● قيل لأبي تمام: لِمَ لا تقول ما يُفهم؟ فقال: لِمَ لا تفهم ما يُقال؟

وقيل لآخر: لِمَ تأتي في شعرك باللغات الغريبة؟ فقال: إنما آتي بالمتعارف، وإنما أنتم الغرباء!

● قال الزبيدي في "مختصر العين": إن عدة الكلام المستعمل والمهمل ستةُ آلاف ألف وستمائة وخمسون ألفاً وأربعمائة، المستعملُ منها خمسة آلاف وستمائة وعشرون ألفاً...

● ونقل المؤلف عن شيخه أن ما في "القاموس" من ذلك ستون ألف مادة، وهو يؤيد عما في "الصحاح" بعشرين ألف مادة.

● من اللفظ المشترك "العجوز"، ومن معانيه: الأرنب، الأسد، البقرة، الثور، الذئب، الذئبة، الرخَم، الرمكة، الضبع، عانة الوحش، العقرب، القوس، الكلب، الشمس، المرأة.

ومن العجائب أن الخمرَ كما تسمَّى العجوز، فكذلك تسمَّى البكر، فهي البكر العجوز!

● "المرأة" فيها لغة ثانية، وهي "مَرْأة"، ولغة ثالثة، وهي "مَرَة"، وربما قيل: امْرَؤٌ بغير هاء، اعتماداً على قرينة تدلُّ على أنها أنثى. قال الكسائي: سمعت امرأةً في فصحاء العرب تقول: أنا امْرَءٌ أريدُ الخير!

● في فتاوى الحافظ العراقي أنه سُئل عن تسمية ملك الموت عزرائيل، هل له أصل؟

فأجاب: إن تسميته لم تردْ في حديث مرفوع، وإن اشتهر بين الناس وذكرهُ بعض المفسرين، وإنما ورد في الإسرائيليات.

● من أسماء الظريف: الوَعْوَعيُّ، والحُوَّل القُلَّب، والبديع، والندم، والمذْمذي، والمطبِّق، والمخضرب، والمِصقَع، واللَّسِن، والخِنْذيذ.

● من المشترك في المعاني الكثيرة لفظُ "الخال" فقد ورد له في "أمالي ثعلب" نحو ثلاثين معنى.

ومن تلك المعاني: الخال أخو الأم، والنكتةُ السوداء في الجسد، والخيلاء، والسحابة السوداء، وضربٌ من البرود، والرجل الحسنُ القيام على العيال، واللواء الذي يعقدُ للأمير على الجيش، وضربٌ من النبت، والظلع، والغمزُ في الدابة وهو قريب من العرج، واسمُ جبل، واسمُ مكان، إلى آخر ما ذكره. وزاد عليه صاحب "الرّوض الأنف في الشعر الصلف". فقال: الخال: العجلُ الأسود، ورأسُ الخير والكرم، وصاحبُ الشيء، تقول العرب: من خالُ هذه الدابة؟ أي: من صاحبها؟. والخال: البرق، وناحيةُ الجنوب.

● ومن المشترك في المعاني الكثيرة: لفظ (الهلال). وقد ورد من معانيه نحو ثلاثين معنى، منها الثوبُ المهلهل، وما طاف حول الأصبع من الذباب. ومنها: الثعبان، وقطعُ الرحى. وذكر ثعلب في كتابه "شجر الدرّ" أن الهلال ذؤابة النعل، وقطعة من الغبار، وما طاف من اللحم بظفر الأصبع، وسلخ الحية، ومقاولة الأجير على المشهور، والمبادأة في رقة النسج، والمفرحة وهو: ما يفرح به، يقال: جاء فلانٌ فما جاء بهلة ولا بلة، أي: ما جاء بشيء فرح، ولا جاء بشيء يبلُّ اللهاة، وبقية الماء في الحوض، والجملُ الذي أكثر العذاب حتى تفرس، فهذه ثلاثةَ عشر معنًى.

وزاد أبو هلال العسكري في كتابه "بقايا الأشياء": إن الهلال حديدةٌ يعرقب بها الحمار الوحشي عند الصيد، وهي شكلُ الهلال.

● ولايزال الصبي حذوراً، وصنبوراً، وحدثاً، وعوهياً، وشارخاً، ودبداباً، ودحداحاً، وطفلاً، حتى يشبَّ ويخدم، فإذا بلغ ذلك قيل له: يافع، فإذا قارب اليافعُ البلوغَ قيل له: مراهق، من راهق الغلام إذا قاربَ الاحتلام. ويقال للجارية إذا قاربت البلوغ: عاتق، وقال غيره: العاتقُ هي: البالغة حتى تعنس، وهو: طول مكثها في بيت أهلها بعد البلوغ بلا زواج. وقد سُئل بعض التابعين عن رجل تزوج بكراً فإذا هي لا عذرة لها؛ فقال: إن العذرةَ يذهبها التعنيس والحيضة.

فإذا احتلم المراهق قيل له: بالغ، ومحتلم، ورجل، وشاب. فإذا طرَّ شاربه قيل له: الطارُّ، والطَّرير. فإن حان وقت زواجه ولم يتزوج فهو العانس. وهو ما بين خمسَ عشرةَ إلى خمسٍ وعشرين: قمَدٌّ. ثم منها إلى الثلاثين: عنطنط. ويوصفُ بالشباب والفتوة إلى بلوغ الثلاثين، فإذا بلغها فهو: صمَلٌّ. ولايزال صملاً حتى يبلغَ الأربعين، فإذا بلغها فهو: كهل. ولايزال كهلاً حتى يبلغ الخمسين، فإذا بلغها، وقال بعضهم: إن

زادت سنةً، فهو: شيخ. ولايزال شيخاً حتى يبلغ الثمانين، فإذا بلغها فهو: الهِمُّ، والهرم. فإن قصرت خطاهُ في المشي فهو الدالف، وإن صار يخبطُ في حديثه فهو الخرف.

● ليس هناك حرفٌ من أحرف الهجاء إلا وهو مشترك، إما في معنى، أو في أكثر!

فالألف: الرجل العَزَب، والواحدُ من كلِّ شيء، والرجلُ الحقير.

والباء: النكاح، والرجلُ الكثيرُ الجماع.

والتاء: المرأة السليطة، وناقة تُحلب.

والثاء: ما تُحلب فيه الناقة، وعينُ الشيء.

والجيم: سرادق البيت، وجمل قوي على السير.

والحاء: الحشى.

والخاء: الشعر على العانة.

والدال: هو الواقف على من يُدلي الدلو، والمرأة السمين، والذي يسوق سوقاً رفيقاً.

والذال من الديك: عُرْفُه.

والراء: شجر واحدته "راءة"، وهو شجر العُبَب، وهو الذي يسمَّى "عنب الثعلب"، حرَّفته العامة. والراء أيضاً: زبد البحر. قال الشاعر:

كـــأن بنحرهـــا وبمشـــفريها وتجلـــح أنفهـــا راءٌ ومظّـــا

فالراء: زبد البحر، والمظُّ: الآس.

والشاعر يصف ناقةً ترغو، وأنه يخرج من رغائها شيء يشبه زبدَ البحر في بياضه، وورق الآس في خضرته، لأن فيه آثار ما ترعاهُ من النبت. وليس من الشجر فيه حرفُ الظاء إلا "المظُّ" و"الظبَّان"، والأخير هو الياسمين البري.

والراء أيضاً: صغار الذباب، ورئةُ الإنسان والحيوان.

والزاي: الجلدة اليابسة، والكثيرُ الأكل.

والسين: جبل، ومن له سمنٌ مفرط.

والشين: التفاح، والرجلُ الكثير الجماع.

والصاد: قدور من صفر، والنحاس، والصَّيَد، وهو داء يكون في العنق لا يستطاعُ معه الالتفات. والعرب شبهت الملوك بمن أصابه ذلك الداء على سبيل المدح: فقالوا: ملك أصيد، وملوك صيد، أي لا يلتفتون لعظم سكينتهم ووقارهم،

لأنهم عدُّوا كثرة الالتفات من علامات الحماقة وضعف العقل. والصاد أيضاً: الديكُ يَمرغ في التراب، والرجلُ العطشان.

والضاد: صوت النحل، وفرج المرأة.

والطاء: الأيكة السهلة، والطاء: الشيخُ الكثير الجماع.

و**الظآء**: التيس الحسن، وثدي الفتاة.

والعين: عضو الإبصار، وينبوعُ الماء، وأهل البلد، وأهل الدار، والجاسوس، ورئيس الجيش، وطليعةُ الجيش، وكبير القوم وشريفهم، وذات الشيء ونفسه، وما ضُرب نقداً من الدنانير، والحاضر من كلِّ شيء، والنفيس من كلِّ شيء، وواحد الأعيان للإخوة الأشقَّاء، وسنام الجمل[1].

والغين: الإبل تردُ الماء، وما يغطي القلب، والعطش. والغيم، والشجرُ الملتف.

والفاء: زبد البحر، والفآء: لحم الفخذ.

والقاف: الشعر المعَذَّل من القفا، والمستغني عن غيره.

والكاف: الوكيل، والرجل الضعيف.

---

(١) المعاني السابقة للعين أوردتها من "المعجم الوسيط" ما عدا المعنى الأخير؛ حيث لم يوردها المؤلف في مكانه, وذكر أنه "تقدم بعض ما لها من المعاني".

واللام: جمع لامة، وهي الدرع، والشجر الأخضر.

والميم: ورقة الشجر أول ما يبدو، والبرسام – وهو داء كالجنون – ومن أسماء الخمرة.

والنون: الحوت، والدواة.

والهاء: اللهاء، والهآء: لطمةٌ في خَدِّ الصبي.

الواو: الموت.

اللام ألف: شسعُ النعل.

الياء: حكاية الصوت، والجانب!

● قالت العرب: "الشجاع مُوقى، والجبان ملقى". وقال آخر: كم من منية علَّتها طلب الحياة، وحياةٍ سببها التعرض للوفاة. وفي المعنى قول الشاعر:

تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياةً مثل أن تتقدَّما

ومن بليغ وصايا الصديق – رضي الله عنه – أنه كان إذا وجَّه قوماً للجهاد يقول لهم: "أحبُّوا الموت يكرهْهُ غيركم". وقال – رضي الله عنهُ – لخالد بن الوليد حين بعثه لقتال المرتدين: "احرصْ على الموت توهبْ لك الحياة".

● ذكر ابن قاضي شهبه في كتابه "الكواكب الدرِّية في

السيرة النوريَّة": أن الملك نور الدين الشهيد كان يباشرُ الحرب بنفسه، فرآه يوماً قطب الدين النيسابوري الشافعي، فقال له: يا مولانا السلطان! لا تخاطر بنفسك وبالمسلمين؛ فإنك عمادهم، فإن أُصبتَ في معركة لا يبقى من يقومُ مقامك، ولا يبقى من المسلمين أحد إلا أخذهُ السيف. فقال له: اسكت يا قطب الدين! فإن قولك هذا إساءةُ أدبٍ على الله، ومن محمود حتى يقال له هذا؟! فقبلي مَن حفظ العباد والبلاد، ذلك الله الذي لا إله إلا هو.

● ومثل ذلك في الغرابة أنه لما وصلت إليه المَوْصِل أمر عاملها أن لا يعمل شيئاً إلا بالشرع. فشكا ذلك للشيخ عمر الملا، وكان من المقرَّبين عندهُ، وترجَّوا منه أن يراجعه في ذلك؛ لأنه مما يزيد جراءة المفسدين، وأن الحاكم يحتاج إلى نوع من السياسة؛ لأنه إذا أُخِذَ مالٌ في برِّية، أو قُتل إنسان فيها أو في غيرها ولم يرَ الناس القاتل؛ فمن أين يتأتى إحضارُ شهوده؟ فكتب إليه الشيخ عمر في ذلك، فلما قرأ كتابهُ قلبه، وكتب في ظهره: إن الله خلق الخلق وهو أعلمُ بمصلحتهم، وإن مصلحتهم تحصُل فيما شرعَ لهم بالكمال، فمن يزعم أن الشريعة تحتاجُ إلى سياسة؛ فقد زعم أن الشريعة ناقصةٌ فهو يكملها بزيادته، وهذا من الجراءةِ على الله!

● ضربت العرب الأمثال بالعصا؛ فقالوا: "العُصيَّة من العصا" فيمن يشبهُ أباه. وقالوا: "فلان أنفعُ من تفاريق العصا، وأبقى، وأكثر". يضرب فيمن ينتفعُ به من وجوه كثيرة، كما ينتفع بتفاريق العصا. ويقال: "قشَّرت لفلان العصا" إذا أَطْلَعْتَهُ على ما في سرِّك من محبة أو عداوة. وقالوا: "إن العصا قُرعت لذي الحلم". يضرب لمن تنبِّههُ.

ويقال للفضولي: هو يدخل بين العصا ولحائها، أي: قشرها.

ويقال للغريب إذا رجعَ إلى وطنه: ألقى العصا.

● حُكي أن كسرى رأى أحد غلمانه قطعَ من حلية جواده جوهراً فريداً، فتفقَّد السائسُ ذلك الجوهر فلم يره، فدُهش! وأقبل على كسرى وأخبره بفقد الجوهر، فقال كسرى: من أخذ الجوهر فلا يردَّه، ومن رآه فلا ينمَّ عليه. فقال له السائس: يأمر الملك بالتفتيش عليه من كلِّ من في المجلس؟ فقال له: إذا فتشنا عليه فأين مكارمُ الأخلاق؟

وفي هذا يقول الشاعر:

يغطِّي على الأشياء ستراً بحلمه ... الى أن يقول الناس: ليس بعالِمِ
وما ذاك من جهلٍ به غير أنه ... يجرُّ على الزلاّت ثوبَ المكارِمِ

● قال الأحنف بن قيس: السيِّدُ من حمقَ في ماله، وكاسَ في دينه، واطَّرح حقده، وعني بأمر عشيرته.

وقيل لحصين بن المنذر الرقاشي: بِمَ سدتَ قومك؟ قال: بحسبٍ لا يُطعَنُ فيه، ورأيٍ لا يُستغنى عنه.

● وقال بعض البلغاء: ساداتُ الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء.

قال المؤلف: فمن جمع بينهما فهو سيِّدٌ في الدنيا والآخرة.

● حُكي أن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص كانت أجمل نساء زمانها، وأن أمها وضعت يوماً عليها عقداً، وكلُّ حبَّة من مقدار البندقة، ثم قالت: والذي نفسي بيده ما وضعتُ عليها الدرَّ إلا لتفضحهُ بحسنها، لا لأجل أن أزيِّنها به.

● قال الإمام الشافعي: لو علمتُ أن شرب الماء يثلم مروءتي لتركته!

● من أسماء الطويل: الأشقُّ، والأمقُّ، والشعشع، والشعشاع، والشعشعان، والشعلَّع، والشعلنع، والسَّوهق، والسهوق، والصيهد والفَنْدَل، والسَّلهب، والصقعب، والشوقب، والسُّرحوب، والقِسَيب، والأسقف، والشَّوذب.

● استعرض المأمون عسكره يوماً، فرأى رجلاً قبيح

المنظر، فاسترعاه واستنطقه، فوجده غبياً غير فصيح. فقال لأصحابه: أسقطوا هذا من ديوان الجند! قالوا: ولِمَ ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن الروح لها نورٌ وجمال، فإذا أشرق نورها على ظاهر الشخص كان جمالاً، وإذا أشرق على باطنه كان ذكاءً وفصاحة، وهذا الرجل لم يُشرق فيه نورُ الروح، لا في الظاهر ولا في الباطن، فهو لا خيرَ فيه!

- العَيْر: هو جفن الإنسان، ومن الحيوان: ذَكَرَ الحمير.

الضَّبْع من الإنسان: عضده، ومن الحيوان: أنثى الضباع، في لغة من خفَّف.

الشِّبدعة من الإنسان: لسانه، ومن الحيوان: العقرب.

الصدى من الإنسان: رأسهُ وجسمه، ومن الحيوان: ذَكَر البوم.

الفرخ: رأس الإنسان. ومن الطائر: ولدهُ الصغير.

الصردان: عرقان يستبطنان لسانَ الإنسان، والصرد: الصقر.

الذباب من الإنسان: إنسانُ عينه، ومن الحيوان معروف.

الغرابُ من الآدمي: عظمٌ في حنكه، ومن الحيوان طائرٌ معروف.

الأرنبة: طرفُ أنف الإنسان، وهي الحيوانُ المعروف.

الفراشة: عظم رأسِ الإنسان الذي يطير عند ضرب الرأس، ومن الحيوان معروف.

● الأطلس: من لا شعر في وجهه، وكان هناك أربعة من الطلس المشهورين: اثنان منهم تابعيان، وهما: الأحنف بن قيس، والقاضي شريح، واثنان صحابيان، وهما: عبدالله بن الزبير، وقيس بن سعد بن عبادة، رضي الله عنهم أجمعين.

وبنو تميم قوم الأحنف، وكانوا يقولون: وددنا لو اشترينا له لحية بعشرين ألفاً. فكانوا يذكرون كراهيةَ عدم لحيته.

وكان القاضي شريح يقول: وددتُ لو أن لي لحية بعشرة آلاف!

فاللحية زينة للرجل، وكان من حلف عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: والذي زيَّن الرجالَ باللحى!

● من أسماء اللحية: العُثْنون، فإن ضخمت وعظمت سميت بالكَنْفَلِيلَة، والهِلَّوف، وهي المفرطةُ في الطول والعرض.

قال المؤلف: وقد رأيت نظير هذه اللحية في إفراط الطول في الساحل لرجلٍ نصراني، كان يطويها ويدخلها في عبِّه، ولا يُريها لأحد إلا إذا أعطاه مصرية من الفضَّة، فيأخذها، ويُخرج

تلك اللحية من عبِّه، ويمدُّها فتفوت قدميه!

● شعر الرأس إذا طال حتى بلغ الأذنين يسمى: وَفْرة، لأنه وفرَ على الأذنين، أي تمَّ عليها واجتمع. فإذا زادَ حتى قارب المنكبين يسمى لِمَّة، لأنه ألمَّ بالمنكبين، فإن زادَ حتى بلغ المنكبين سمي: جُمَّة، وكانت لنبيّنا صلى الله عليه وسلم جُمَّة. فإن زاد على الجُمَّة فهو: الذؤابة، والغديرة، والمسيحة.

● وتسمَّى الخُصلة من الشعر: القرن، والفليلة، والسبيبة، والغُسنَة، والعَنْصَوة، والنُّواسة، ومنه سمِّي بعضُ ملوك حمير بذي نواس، وسمِّي الحسن بن هانئ بأبي نواس لنواستين كانتا تنوسان على ظهره، وسمِّيت نواسة لأنها تنوس، أي تتحرك، ومنه سمِّي الناس: ناساً، والجسد: ناسوتاً، وتسمَّى أيضاً خصلة الشعر بالطاقة، والسعفة، فإذا ضفرت الخصلة قيل لها: ضفيرة، وعقيصة.

● قال أبو العلاء المعري:

ولمَّا رأيتُ الجهلَ في الناس فاشياً تجاهلتُ حتى ظُنَّ أنيَ جاهلُ
فيا عجباً كم يدَّعي العلمَ ناقصٌ ويا أسفاً كم يُظهِرُ الجهلَ كاملُ!

● الرجل الفحفاح: المخلص في المودَّة، والفاره: الحاذق،

والشائح: الغيور، والفاكه: الناعم العيش، والقاضف: ناعم العيش والبال، والهييء: الحسنُ الهيئة، والمجدود: المحظوظ، والمَديخ: العظيم، والمجرَّذ والمنجذ: المجرِّبُ للأمور، والمثبور: المحسود، والباثر: الغني.

● والرجل المكفهرّ: العابس، والشجي: الحزين، والواجم: الحزينُ الساكت، والحَصِر: من لا يقدر على الجواب، والمفحم: من أفحمه الجواب، والموعوك: المريض، والمدنف: من اشتدَّ مرضه، والمُحتَضَر: من كان في حالة النزع، والأسيف: الضعيف، والشاحب: المتغيرُ اللون من هزال ومقاساة جهد، والسادم: المتغير اللون من الحزن.

والسُّبْروت، والمُدقِع، والمُلْفَج: الفقير.

والباظي والخاظي والكاظي: كثيرُ اللحم.

والخندوق: المتبخترُ في مشيته كبْراً وعُجباً.

والهوجل: الثقيل.

والضُّفبوس: الذليل المهين.

والمُلاهس: المزاحم على الطعام.

● الثدي: خاص بالمرأة، وأما ما هي للرجل بمنزلة الثدي

للمرأة فيُقال لها:ثُنْدُؤة، وقال ابن السكيت: يقال للرجل أيضاً. ويقال لمجرى اللبن من ذات الحافر والسباع: الطُّبْيُ، ولذات الخفّ: الخلف، ولذات الظلف: الضرع.

● الفكاهة – بالضم والفتح – والدُّعابة – بالضم فقط – هما: المزاح. ويقال لمن فيه الفكاهة: فَكِه – كفَرِح – ولمن فيه الدعابة: دَعِب، وداعِب، ودعبب. قال في "المصباح": وسمي المُزاح فكاهةً لانبساط النفس به، أي: أن النفسَ تنبسطُ به، كما تنبسطُ بتعاطي الفاهكة. وفي ذلك إشارةٌ إلى أنه ينبغي أن يكون تعاطي المزاح كتعاطي الفاكهة، آونةً آونةً لا دائماً وأبداً، مثل تعاطي الغذاء. ولذلك سمَّت العربَ المزاح بالأحماض. وأصل الأحماض: أن الماشية ترعى من نباتٍ حلو يقال له: الخُلَّة؛ ويقال إذا رعته: أخلَّت. فإذا سئمت منه انعطفت على نبات مالح يقال له: الحمض؛ لأجل أن تنشطَ إلى العَوْد لمرعاها الأول. فإذا رعت الحمض يقال: أحمضت. فالحمضُ لها كالفاكهة لنا.

وقد روي أن ابن عباس كان إذا خاض مع أصحابه في التفسير والحديث يقول لهم: أحمضوا بنا، أي: خذوا فيما هو كالحمض من أشعار العرب ومُلَح الناس؛ لأن النفوسَ تسأمُ من ملازمة شيء واحد، لحبِّها التنقُّل ولو من الأعلى إلى

الأدنى. ولذا نوَّع الله لها العبادات فجعلها أنواعاً كثيرة.

● رُبَّ مُزاح يفضي إلى صياح، وحملِ سلاح، وسلبِ الأموال والأرواح. وربَّ مداعبة تُفضي إلى محاربة، ومفاكهةٍ تجرُّ إلى مسافهة، وإظهارِ العداوة مشافهة. فإذا مزجتَ فاجتنبِ الأذى، وامسح عيونَ كلماتك من القذى، وكن كعودِ الطِّيب يُحْرَقُ بالنار فلا يضوعُ منه إلا الشذى. ولا تكن ممن هَذَرَ وهَذَى؛ فالنفوسُ مجبولةٌ على تفضيل من فضَّلها، ومطبوعةٌ على ترزيل من رزلها، والمزاح موضوعٌ لبسط النفوس وترويحها، لا لتخديشها وتجريحها؛ والشيءُ إذا خرج عن حدِّه انعكس إلى ضدِّه. وليس العاقل من يجعلُ الخليل عدوّاً، بل الذي يجعل العدوَّ من الخلّان. وإصلاحُ الفاسد أشقُّ من إفساد الصالح، وتأمَّل ذلك في الهدم والبنيان:

وليس كثيراً ألفُ خلٍّ وصاحبٍ وإنَّ عدوّاً واحداً لكثيرُ

● وينبغي للعاقل أن لا يمزح إلا بين أمثاله وأشكاله، وأن يلبس بين الجَهَلة ثوبَ وقاره وكماله، فقد قال أفلاطون: انبساطك عورةٌ من عوراتك، فلا تُبدهِ إلا للمأمون عليه. وقالت الحكماء: الأُنس في المجلس الخاصِّ لا في المحفل الغاصّ. ولمثل من مزح بين السفهاء والجهال حذَّر الشاعرُ حيث قال:

فإياك إياك المزاحَ فإنهُ يُجَرِّي عليك الطفلَ والرجلَ النّذْلا

● العرب تُسمِّي الناقةَ حرفًا تشبيهاً لها بالحرف في النحول ورقَّة الجسم، لأنها إذا كانت كذلك كانت أقدرَ على الإسراع في السير. وما ألطف قولَ الحافظ ابن حجر في ناقة صالح عليه السلام:

يا أيهـــا القـــارئ مـــا آيـــةٌ حروفهـــا أربعـــةٌ ظـــاهرهْ
وقيـــل حـــرفٌ واحـــدٌ كلُّهـــا فاعجـبْ لهـا مـن آيـة باهـرهْ!

● حُكي أن الخوارزمي مرض، فكتب إلى الوزير الصاحب بن عباد قوله:

انظـــر إليَّ بعـــينِ مـــولًى لم يـــزل يـولي النَّـدا وتـلافَ قبـل تـلافي
أنا كالـذي، أحتـاجُ مـا يحتاجـه فـاغنم ثنـائي والـدعاءَ الـوافي

فلما قرأها الصاحب، توجه إلى زيارته، ثم وضع بين يديه صُرَّةً فيها خمسمائة دينار وقال له: هذه الصلة، وأنا العائد!

وذلك لأن الخوارزمي قال في شعره "أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه" و"الذي" اسم موصول يحتاج دائماً إلى صلة وعائد، فتلطف الصاحبُ في قوله: هذه الصلةُ وأنا العائد.

● إذا أرادت العرب تنقيص "الضيف" زادته نوناً فقالت: ضيفن! وهو من يأتي الطعامَ أو الشراب بغير دعوة، وهو المعروف عند الناس بالطفيلي، وتقول له العرب أيضاً: الوارش، والجُرْدُبان، والراشن، والقسقاس، والأرشم، والشولَقي، والحصر.

والطفيليُّ نسبة إلى رجل يقال له طُفيل، كان يدخل على

الولائم بغير دعوة. وقيل: مأخوذ من الطَّفَل، وهو هجومُ الليل على النهار، لأن الطفيلي يهجمُ على ولائم الناس هجومَ الطفل. أو أنه منسوب إلى مصغَّر الطِّفل؛ لأنه يفعل أفعال الأطفال من الوقاحة، وعدم الحياء، وقلة المبالاة بالناس، والهجوم على الطعام، وغير ذلك.

● قال بعض البلغاء:

ما أربعُ كلمات وهي أحرفها أيضاً وقد جَمَعَتْها كلَّها كلمه

يسأل عن أربع كلمات كلُّها أحرف نحوية جاءت لمعنى، قد جمعت تلك الكلمات الأربع كلمة. وجوابُ هذا اللغز فيه، وهو قوله: "كلمة"، لأن الكاف للتشبيه، واللام للجرّ، والميم للاستفهام، دخلت عليها اللام الجارَّة فحذفت ألفها، والهاء للسكت.

● كان واصل بن عطاء المعتزلي من رؤساء الكتاب، وكان بليغاً حسن الخط، ومع بلاغته كان يلثغُ في الراء، ويستثقل النطق بها، فترك استعمالها في كلامه لسعةِ اطلاعه وتبحرِه في اللغة العربية.

ومن العجائب أن خصومه أرادوا أن يُخجلوه عند الكبير الذي كان يكتب له، فكتبوا له كتاباً فيه راءات كثيرة، وأعطوهُ إياه يقرؤه على ذلك الكبير. فلما تأمَّله وجد مكتوباً فيه: "أمرَ أميرُ الأمراء الكرام، أن تُحفرَ بئرٌ في البرية ليشربَ منها الواردُ

والصادر". فغيَّر الألفاظ، وأتى بما يرادفها، فقال: "حكم الحكَّام أن يقلبَ قليبٌ في الفلاة يحتسي منه البادي والغادي". فتعجبَ منه كل من حضر، حتى قال فيه الشاعر:

ولم يقــل مطــراً والقــول يعجلــه فعـاذ بالغيـث إشـفافاً مـن المطـرِ

● لما قويت شوكةُ الشاه إسماعيل الرافضي، أرَّخ عام ظهوره، فجاء تاريخه: "مذهبنا حق". فافتخر الشاهُ بهذا التاريخ. فاطلع عليه بعض أهل السنَّة، فلم يزد فيه ولم ينقص، وإنما فصل الباء من "مذهب" عن النون، فصار: "مذهب ناحق"، يعني: ليس بحق، في لغة العجم!

● أنشد المؤلف:

قــال لي أهــل اللطافــةْ لِمَ لا تهــوى الكنافــةْ
قلــت لا أصــبو لشــيء فيــه للأكــلِ آفــةْ

● من النوادر أن منجِّماً صُلب، فمرَّ عليه بعض أصحابه فقال له: أما كان يظهرُ لك أنك تُصلب؟

فقال: كان يظهرُ لي أنني أرتفع، ولكن ما علمتُ أن ارتفاعي يكون على خشبة!

● داءُ الأقارب العداوة، وداءُ الجيران الحسد، وداءُ الضرائر الغَيْرة، وداءُ الأغنياء الطغيان، وداءُ الفقراء الأحزان، والحرصُ والطمع وحبُّ الرئاسة داءُ كلُّ إنسان!

● طلب أبو مسلم الخراساني من طباخه هريسة، فأجاد طبخها، وقدَّمها إليه، فأعرض عنها ولم يأكل منها، فأعاد طبخها له ثانياً وثالثاً، وهو يُعرض عنها! فقال له الطباخ: أيها الأمير، قد طلبتَ مني الهريسة، وقد أحكمتها لك ثلاث مرات، ورأيتك أعرضت عنها؟! فقال: نعم، وجدتُ نفسي شرهت إلى تناولها، فأعرضتُ عنها خوفَ أن تغلبني نفسي على شهوتها!

● وتحدَّث المؤلف في آخر الكتاب عن الكحالة، فقال: وإنما جعلتُها خاتمة هذا الكتاب، رجاء أن يجلو الله تعالى عين بصيرتي بنور الهداية، ويكحلها بكحل العناية، لتدركَ في مجاز دنياها حقائق الأشياء، وتذهبَ عنها غشاوة الأهواء، وتنمحي من إنسانها نقطةُ غينه، ليشاهد عينَ حقيقته بعينه.. اللهم يا من يرجو كلُّ عاص مراحمه، امننْ على عبدك الضعيف بحسنِ الخاتمة، واغمسهُ في بحر العفوِ والجودِ والكرم، واغفر له ما جرى به القلم.

* * *

الشهاب الثاقب

في ذمِّ الخليل والصاحب[1]

للسيوطي

قيل لإياس: لِمَ تعتزلُ الناس؟ أما تموتُ جوعاً؟

فقال: لأن أموتَ مؤمناً مهزولاً، خيرٌ من أن أموتَ منافقاً سميناً!

- قال بعضهم:

---

(١) الشهاب الثاقب في ذمِّ الخليل والصاحب / للسيوطي؛ هذَّب أصله وزاد عليه أحمد الكويتي (أحمد بن محمد بن حسين).– الرياض: مكتبة الرشد, ١٤١٣هـ (صدر ضمن كتابه: الصداقة والصديق ص ٨٧ – ١٢٠) كما صدر مستقلاً عن مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة.

وأصل الكتاب لابن ظافر, وكان بعنوان "شفاء الغليل في ذم الصاحب والخليل", فقام السيوطي باختصاره, مع زيادات مهمة عليه, وأبقاه على ترتيبه ليكون في ثمانية أبواب, وهي: فضل العزلة, أن الصديق غير موجود, وجوب الاحتراس من الناس, ذم الأصحاب والأخلاء, وصف أهل الزمان, أن الكلاب خير من كثير ممن يلبسون الثياب, آداب العشرة إن كان لا بد منها, صفات الذين يصادقون.

ولا شك أن بعض هذه الأخبار والتقريرات وردت في ظروف معينة, ونتيجة خيانة أو عدم وفاء بعض الأصحاب الذين اؤتمن عليهم فلم يكونوا أمناء, وتنعكس الآثار على المتضرر, فربما تشاءم من الأصدقاء وعمَّم, لكن الاعتدال مطلوب, وكذلك الاحتراس.. وخاصة في زماننا هذا.

وحـــدةُ الإنســـان خـــيرٌ مـــن جلـوس السـوء عنـدَهْ
وجلـــيسُ الصـــدق خـــيرٌ مـــن جلـوس المـرء وحـدَهْ

● عوتب بعضهم لما اعتزلَ الناس، فقال:

صحبتُ الناس أربعين سنة، فما رأيتهم غفروا لي ذنباً، ولا ستروا لي عيباً، ولا حفظوا لي غيباً، ولا أقالوا لي عثرة، ولا جَبَروا مني كسرة، ولا بذلوا لي نصرة. ورأيتُ الشغلَ بهم تضييعاً للحياة، وتباعداً من الله تعالى، وتجرُّعاً للغيظ مع الساعات، وتسليطاً للهوى في الهناتِ بعد الهنات!

● وقيل لعروة بن الزبير لما اتخذ دارهُ في العقيق: لِمَ تركت الناس؟

فقال: لأن ألسنتهم لاغية، وأسماعهم صاغية، وقلوبهم لاهية، وأديانهم واهية، والفاحشةُ بينهم فاشية، فخفت عليهم من الداهية، فتنحيتُ عنهم ناحية، وصرتُ منهم في عافية.

● وقال بعضهم:

مـــن حَمِـــدَ النـــاسَ ولم يَـــبْلُهم ثمَّ بلاهـــم، ذمَّ مـــن يَحْمَـــدُ
وصـــار في الوحـــدة مستأنســـاً يوحِشـــهُ الأقـــربُ والأبعـــدُ

● قيل لبعض الحكماء: ما أعمُّ الأشياء نفعاً؟

قال: فَقْدُ الصديق الشرير.

● قال حاتم الطائي: ما ظلمَ قلبي شيءٌ كأذيَّةِ الصديق، أأتمنهُ فيخونني!

● ولبعضهم:

الناسُ أتباعُ من دامت له النِّعمُ والويلُ للمرء إن زلَّت به القدمُ
المالُ زينٌ ومن قلَّت دراهمه حيٌّ كمن مات إلا أنه صنمُ
مالي رأيتُ أخلائي وخالصتي اثنان: مستكبرٌ عني ومحتشمُ[1]
لما رأيتُ الذي يُبدون قلتُ لهم أذنبتُ ذنباً؟ فقالوا: ذنبُك العدمُ!

● وقال منصور الفقيه:

الناسُ بحرٌ عميق والبعدُ منهم سفينهْ
وقد نصحتُك فانظر لنفسك المسكينهْ

● ونظم بعضهم فقال:

ولمَّا بلوتُ الناسَ أنظرُ فيهم أخا ثقةٍ أرجوهُ عند الشدائدِ
فلم أرَ فيما ساءني غيرَ شامتٍ ولم أرَ فيما سرَّني غيرَ حاسدِ

● وقال عبد المحسن الصوري:

(١) هكذا ورد البيت في الأصل.

بُليت بقوم ما لهم في النَّدى يدُ ولا قَدَمٌ تسعى لهم في المنافعِ
إذا نظرتْ عيني إليهم تنجَّست برؤيتهم طهَّرتُها بالمدامعِ

- ولابن المعتز:

بلوتُ أخلاّءَ هذا الزمانِ فأكثرتُ بالهجرِ منهم نصيبي
وكلهم إن تأملتُه صديقُ العيانِ عدوُّ المغيبِ

- على المعاشر أشياء، منها: لينُ الكلمة، وصحة الوفاء، وأن لا يلقى صاحبه إلا بما يحبّ، ولا يؤذي جليسه، ويبدؤه بالسلام، ويوسِّع له في المجلس، ويدعوهُ بأحبِّ أسمائه إليه، ويصبرُ على جفائه، ويقصدُ في عشرته.

- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لا تصحبْ أخا الجهلِ وإيَّاك وإيَّاهُ
فكم من جاهلٍ أردى حليماً حين واخاهُ
يُقاس المرءُ بالمرءِ إذا ما هو ماشاهُ
قياسَ النعلِ بالنعلِ إذا ما هو حاذاهُ
وللشيء على الشيء مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلب على القلبِ دليلٌ حين يلقاهُ

- وقال لقمان لابنه: يا بني، إذا أردتَ أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه، وإلا فتجنَّبه.

● وجاء رجلٌ إلى مطيع بن إياس، فقال له: قد جئتك خاطباً لمودَّتك.

قال: أنكحتُك على شرط أن تجعل صَداقها أن لا تقبلَ فيَّ مقالة قائل، ولا تُشمت بي عاذلاً، وأن لا تكون لي كما أكون لك!

● قال أحدهم: للصديق على الصديق ثلاثة أشياء: كتمان السرِّ في حديث الخَلْق، والمواساةُ عند الشدَّة، وإقالةُ العثرة.

* * *

صناعة الكُتّاب[1]

لأبي جعفر النحّاس

غاب الأصمعي عن هارون الرشيد غيبةً طويلة، فلما وافَى دخل إليه، فقال له: يا عبدالملك، أطلتَ الغيبة؟

فقال: يا أمير المؤمنين، ما ألاقتني أرضٌ حتى وافيتك.

فلم يدرِ الرشيد ما معنى "ألاقتني". فأمسكَ مغتاظاً. فلما

---

(١) صناعة الكُتَّاب / لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس؛ تحقيق بدر أحمد ضيف.— بيروت: دار العلوم العربية, ١٤١٠هـ, ٣٩٢ص.

ذكر فيه المؤلف عيون ما يُنتفع به, من الخطّ والهجاء والعربية واللغة والمكاتبات على الترتيب, للرجال والنساء, وعيوناً من الرسائل, وغير ذلك, وجعله عشرة مراتب, ذكر في كل مرتبة من "صناعة الكتاب" ما يشبه بعضه بعضاً, وهي: بسم الله الرحمن الرحيم, اشتقاق أسماء الشهور, اشتقاق الكتابة، والخط والهجاء, اصطلاحات الكتابة, النحو, البلاغة, الفهامة, الخطابة, فضل الكتابة, أشياء يخلط فيها الكتَّاب, وزاد عليها باباً بعنوان: أشياء يحتاج إليها الكاتب. وفيها أمثلة وتطبيقات وأقوال وعبر نادرة رائعة, موزعة بين المرتبات المذكورة.

والمؤلف مفسر وأديب مشهور, مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه, وصنف: تفسير القرآن, وإعراب القرآن, وتفسير أبيات سيبويه, وناسخ القرآن ومنسوخه, ومعاني القرآن, وشرح المعلقات السبع.. وغيرها. ت ٣٣٨هـ.

انفضَّ الناس قال: ما معنى ألاقتني؟

قال: أقرَّتْنِي وأثْبَتَتْنِي.

فقال له: احذر أن تكلمني بين العامة بما لا أفهمه!

● قال الأصمعي: ناظرتُ أبا يوسف عند الرشيد، فلم يفرق بين "عَقَلْتُه" و"عَقَلْتُ عنه"، حتى فهَّمتُه أن "عقلته": أعطيتُ ديته، و"عقلتُ عنه": لَزِمَتْه ديةٌ فدفعتُها عنه!

● لا نعلم بين النحويين اختلافاً في أن حروف المعجم تذكَّر وتؤنَّث، بمعنى الحرف والكلمة، وأن الأحسن فيها التأنيث، نقول: "هذه أَلِفٌ حسنة"، وإن شئت: "هذا أَلِفٌ حسنٌ".

● إنما سميت "كتابة" لأنه يُجمَعُ بها بعضُ الحروف إلى بعض، كما يُجمع الشيءُ إلى الشيء. وهو مأخوذٌ من "الكتيبة"، وهي الخيلُ المجموعة. وتَكَتَّبَ القومُ: تجمَّعوا. وكتبتُ القِرْبة: جمعتُ خرزاً إلى خرز. وقيل للكاتب كاتب: لأنه يضمُّ بعض الحروف إلى بعضٍ ويؤلِّفها.

● ذُكر في قول أن الشُّرَط مشتقٌّ من الشَّرْطة، وهي العلامة، لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يُعرفون بها. ومنه: أشراط الساعة.

● المحتسب: يكون مشتقاً من قولك: حسبك. أي:

اكفف، فيكون معناهُ الذي يكفُّ الناس عن الظلم. أو من: أَحْسَبَه، أي كفاه، أي الذي يكفي الناس مؤونةَ من يبخسهم.

● سُئل الفَرّاء: لِمَ سُمِّي المدادُ حبراً؟

قال: يقال للعالم حَبْر وحِبْر، فإنما أرادوا مِداد حِبر، فحذفوا "مداد"، وجعلوا مكانه حِبْراً، مثل : ↓ ❐◆♒⇔★♦✍✂☜♋◑❷⇗③◆□♦ ↑[1].

ثم سُئل الأصمعي عن ذلك فقال: ليس هذا بشيء، إنما هو لتأثيره، يقال: على أسنانه حِبْر، إذا كثرت فيه الصُّفرة حتى تضرب إلى السواد.

وقال محمد بن يزيد: وأنا أحسبُ أنه سمِّي حَبراً، لأنه تُحَبَّرُ به الكتب، أي تُحَسَّن.

● معنى الديوان: الأصلُ الذي يُرجع إليه ويُعمل بما فيه، كما قيل: "الشعر ديوانُ العرب" أي أصله. ويقال: دوِّنْ هذا: أي أثبتهُ واجعلهُ أصلاً.

وزعم بعض أهل اللغة أن أصلهُ عجمي...

● والدفتر اسمٌ عربي لا يُعرف له اشتقاق. وكان أبو إسحاق يذهب إلى أن كلَّ اسم عربي فهو مشتقّ، إلا أنه ربما

(١) سورة يوسف, الآية ٨٢. أي واسأل أهل القرية.

غابَ عن العالم شيءٌ وعرفه غيره.

● والكُرَّاسة معناها الكتبُ المضمومة بعضها إلى بعض، والورق الذي أُلصِقَ بعضه إلى بعض، مشتقٌّ من قولهم: رسم مُكرَّس: إذا ألصقتِ الريحُ التراب.

وقال الخليل: الكراسةُ من الكتب مأخوذٌ من أكراس الغنم، وهو أن تبول في الموضع شيئاً بعد شيء فتتلبَّد.

● والعنوان: الأثر. فالعنوان يبيِّن أثرَ الكتاب ممن هو، وإلى من هو؟

وزعم بعضهم أن العنوان مأخوذٌ من قول العرب: عَنَتِ الأرضُ: إذا أخرجت النبات.

وقيل: هو مشتقٌّ من عَنَّ يَعِنُّ: إذا عَرَض وبدا.

● يقال لمن حَسَّن الكتابة: زيَّنها، وحسَّنها، وحبَّرها، ونمَّقها، ونمنمها، وذهَّبها، ورقَّشها. فإن لم يبيِّن كتابته قيل: دَخْمَسها، ولَواها، وعقَّمها، وعلَّقها، ومَجْمَجها، وجمجمها.

فإنْ جمعَ الحروفَ وقاربَ السطورَ بعضها من بعض قيل: قَرْمطها. والقرمطةُ في الكتاب مأخوذٌ من القرمطة في المشي، يقال: قرمط الشيخُ في مشيه: إذا قاربَ بين خُطاه.

فإذا أجادَ القراءة قيل: أعرب، وأفصح، وأبان، وبيَّن.

فإن تردَّد في قراءته قيل: لَجْلَج لَجْلَجة.

فإذا أخفى قراءتهُ قيل: دَنْدَن.

فإذا زاد في الإخفاء قيل: هَيْنَم، وهَتْمَل.

وإذا أسرع في قراءته قيل: خَطرَف، مشتقٌّ من خَطْرَفةِ البعير: وهو إسراعهُ في السير.

فإن بالغ في القراءة وجوَّدها قيل: أسهب. مشتقٌّ من السَّهْب، وهو المكانُ الواسع.

فإن حذف بعضَ الحروف قيل: زَلَف. من الزُّلفة.

فإن تردَّد في القراءة قيل: دَرَس، من قولهم: طريقٌ مدروس، أي كثر وطءُ الناس فيه.

● قال الإمام الحسن البصري: كانت عائشة رضي الله عنها إذا كتبت، كتبت: "بسم الله الرحمن الرحيم. من المبرَّأةِ عائشةَ ابنةِ أبي بكر، حبيبةِ حبيبِ الله".

● حكى أبو إسحاق قال: ما رأيتُ في أصحاب السلطان مثل إسماعيل بن إسحاق والحسن بن رجاء. قال: كنتُ إذا رأيتُ الحسن بن رجاء رأيت رجلاً كأنما خُلِق لذروة منبر، أو لصدر مجلس، يتكلمُ كأنما يتنفس، يُسهب، ويُطنب،

ويُعرب، ويُغرب، ولا يَعْجَب ويُعْجِب!

● قالوا في النسب إلى "عبد القيس": عَبْقَسِيّ، والقياس: عبدي. والى "عبد شمس": عَبْشَمِيّ، والى "عبد الدار": عَبْدَري.

قال المؤلف: وجدنا للنحويين في مثل هذا ثلاثةَ أقوال، وأجودها أن يُنسب إلى الأول إذا كان اسماً علماً، وأن يُنسب إلى الثاني إذا كان الأول متعرفاً به.

فتقول في النسب إلى "أبي محمد": أَبَوي، والى "عبد الدار": عَبْدي، هذا القياس.

وفي الآخر: إلى "ابن الزبير": زُبيري، لأن الأول يُعرف بالثاني، فهذا قولٌ لا ينكسرُ ويُقاس عليه.

والقول الثاني أن يقال: أَبَويّ مُحَمَّدي، فتأتي بالاسمين جميعاً. وكذا: عبديّ داريّ، وكذا: ابنيّ زبيريّ.

والثالث: الاشتقاقُ من الاسمين الذي لا يُقاس عليه. وقد حكى بعض النحويين في النسب إلى "بيت المال": بَتَمْلِيّ، والقياس: ماليّ، والقولُ الثاني: "بَيْتيّ مالِيّ".

● سأل محمد بن مروان بن الحكم عونَ بن عبد الله بن

عتبة بن مسعود أن يكون مع ابنه يقوّمه، ويُخرِّجه. فقال له بعد مدة: كيف رأيتَ ابنَ أخيك؟

قال: ألزمتني رجلاً إن بعدتُ عنه عَتَب، وإن جئتُه حُجِب، وإن عاتبتُه غَضِب!

● وعظ شبيبُ بن شيبة المنصورَ حتى بكى.. ثم قال له الأخير: سلني حاجتك. قال: أتقضيها؟

قال: نعم. قال: لا ترسل إليَّ حتى أجيئك. قال: أو ترجعُ إليَّ؟ قال: نعم.

وترك نعلهُ وخرج. ثم عاد فأخذها، ولم يرجع إليه!

فتفقَّده وقال: لم يكنْ ليكذب، حتى أُخبرَ خبرَ النعل!

● كان مطرِّف يقول: خوفُ النارِ يكادُ أن يحولَ بيني وبين أن أسألَ الله الجنة!

● كتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز: إن أناساً قبلي لا يؤدُّون ما عليهم إلا أن أمسَّهم بشيء من العذاب.

فكتب إليه الخليفة عمر: العجبُ كل العجب في استئذانك إياي في عذاب عباد الله، كأني لك جُنَّة من عذابه، أو كأن رضاي ينجيك من سخطه. إذا وصل إليك كتابي: فمن

أعطاك عفواً، وإلا فاستحلفهم بالله، فوالله لئن يلقوا بخيانتهم أحبُّ إليَّ من أن ألقاهُ بعذابهم.

● كان ثابت البُناني يكثر أن يقول: الحمدُ لله، وأستغفرُ الله، فسُئل عن ذلك فقال: أنا بين نعمةٍ وذنب، فأحمدُ الله على النعمة، وأستغفرُ من الذنب.

● قال أبو عبّاد الكاتب: ما جلس بين يديَّ رجلٌ قط إلا ظننتُ أني بين يديه!

● سبَّ رجلٌ عابداً، فقال: والله لولا أن الله عزَّ وجلَّ يسمعك لأجبتك!

● بلغ هشاماً عن رجل كلامٌ، فأُتي به، فاحتجَّ، فقال له هشام: أتتكلم أيضاً؟

قال: إن الله قال: ↓ ✉ ③♦❑♦🏳✍ ♦🏳⬀❑♦③ ✉ ↓ قال: إن الله قال: ❼🖑✌▫🕯♦

● وقف أعرابي على حلقة الحسن البصري فقال: رحم الله من تصدَّق من فَضْل، أو آسى من كفاف، أو آثرَ من قوت.

قال الحسن: ما ترك أحداً إلا وقد سأله!

● سُئل بعضُ الحكماء عن أعدلِ الناس، وأجورِ الناس، وأكيسِ الناس، وأحمقِ الناس، وأسعدِ الناس؟ فقال:

أعدلُ الناس من أنصفَ من نفسه.

وأجورُ الناس من رأى جورَه عدلاً.

وأكيسُ الناس من أخذ أهبةَ الأمر قبل نزوله.

وأحمقُ الناس من باعَ آخرته بدنيا غيره.

وأسعدُ الناس من خُتم له في عاقبةِ أمره بخير.

● قيل للعتابي: فلانٌ بعيدُ الهمَّة.

فقال: إذاً لا تكونُ له غايةٌ دون الجنة!

● سمع أعرابي رجلاً يتكلم، ويكثر، ثم التفت إليه فقال: ما البلاغة عندكم؟

قال: خلافُ ما أنت فيه منذ اليوم!

● قال الحسن البصري: من علم أن الكلامَ عمل، لم يتكلمْ إلا فيما يعنيه.

● ضحك المعتصم من عبدالعزيز المكي – وكان مفرطَ القبح – لما دخل على المأمون للمناظرة، فقال المكي للمأمون: ممَّ يضحكُ هذا؟ والله ما اصطفى الله يوسفَ لجماله، وإنما اصطفاهُ لبيانه، قال عزَّ وجلَّ: 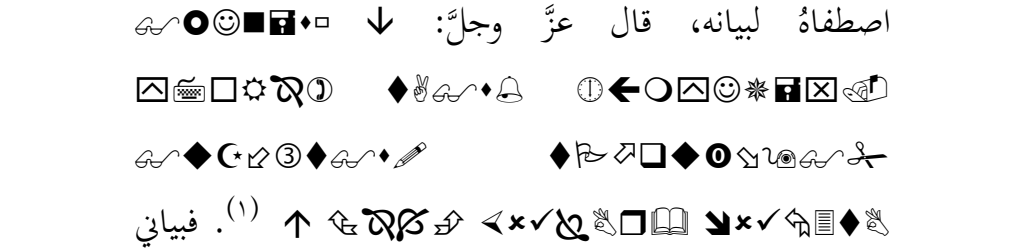 [1]. فبياني أحسنُ من وجه هذا.

فضحك المأمون، وأعجبهُ كلامه.

● قدم الأحنفُ الكوفةَ في زمن مصعب بن الزبير، فرأى رجلاً دميماً، أعور، قصيراً، أحنفَ الرجلين، فقال له رجل: يا أبا بحر، بأيِّ شيء بلغتَ ما بلغتَ؟ فوالله ما أنت بأشرف قومك ولا أشجعهم ولا أجودهم!

فقال: يا ابنَ أخي، بخلاف ما أنت فيه.

---

(١) سورة يوسف, الآية ٥٤.

قال: ما خلافُ ما أنا فيه؟

قال: تركي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

● قال راهبٌ لشيخ: أريد أن أحفظَ قلبي.

قال الشيخ: كيف تحفظُ قلبك، ولسانُكَ الذي هو بابُ قلبك مفتوح؟

● وصف عبدالله بن المعتز القلم فقال: يخدمُ الإرادة، ولا يملُّ الاستزادة، ويسكتُ واقفاً، وينطقُ سائراً، على أرضٍ بياضُها مظلم، وسوادُها مضيء!

● من بليغ ما رُوي أن بلال بن أبي بردة قال لمالك بن دينار: يا أبا يحيى، ادعُ لي.

قال: وما ينفعك أن أدعوَ لك، وبالباب مائتان يدعونَ عليك؟!

● وكان يقال: الدعاءُ في الرَّخاء، تُقضَى به الحوائج في البلاء.

● وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لا تطلبوا ما عند الله من غير الله بما يسخطُ الله عزَّ وجلَّ.

● وسمع مالك بن دينار قوماً يدعون، وقد استبطؤوا المطر،

فقال: إنهم يستبطؤون المطر، وأنا أستبطئُ الحجارة!

● في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضاً قد صار كالفرخ، فقال: "**هل كنتَ تدعو بشيء**"؟ قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنتَ معاقبي به في الآخرة، فعجِّله لي في الدنيا، فقال: "**إذاً لا تُطيق ذلك، ولكن قل: ربَّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرةِ حسنة، وقِنا عذابَ النار**"[1].

● قال علي رضي الله عنه: الفُرَصُ تمرُّ مرَّ السحاب.

● وقال: من لانت كلمتهُ وجبتْ حرمته.

● وقال أيضاً: مَثَلُ الدنيا كمثلِ الحية، ليِّنٌ مَسُّها، وفي جوفها السمُّ الناقع، يهوي إليها الصبي الجاهل، ويحذرها ذو اللبِّ الحاذر.

● من المطبوعين على حوشيِّ الكلام: عيسى بن عمر النحوي (ت ١٥٠هـ)، سُئل عن مسألة من النحو فقال: مسألتك هذه يَتْنٌ. أي: ليست مستوية. وأصل اليتن: خروج رِجْلِ الصبي قبل رأسه!

وقال: لقد كتبتُ حتى انقطعَ سوائي. والسواء: الوسط.

وضربهُ عمر بن هبيرة ضرباً كثيراً من أجل وديعة، فكان

---

(١) رواه أو يعلى في مسنده (٣٨٣٧) وصححه محققه حسين أسد.

يقول وهو يُضرَب: ما هي إلا أُثَيَّابٌ في أُسَيْفاطٍ قَبَضها عَشَّاروك!

● ضحكت الأرض: إذا أنبتت، لأنها تُبدي حُسن النبات.

● قال عمرو بن بحران للرشيد: قد هجوتُ الرافضة.

فقال: هات.

قال:

رَغْماً وشِنَّعْماً وزيتوناً ومظلمة من أن ينالوا من الشيخين طغيانا!

● خطب زيد بن علي – رحمه الله – فقال: .. سبحان الله! ما أقربَ الحيَّ من الميت في اللحاق به، وأبعدَ الميتَ من الحيَّ للانقطاع عنه، إن الذي أمرتم به أوسعُ من الذي نُهيتم عنه، وما أُحِلَّ لكم أكثر ممَّا حُرِّم عليك، فذَروا ما قلَّ لما كَثُرَ، وما ضاق لما اتَّسع، فقد تُكفِّل لكم بالرزق.

● لما وُلِّي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ما كان الله عزَّ وجلَّ ليراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر رضي الله عنه.

فنزل مَرْقَاةً عن مجلسه، ثم خطب.

● أُرْتِجَ على عبد ربِّه اليشكري – عامل لعيسى بن

موسى على المدائن – فسكت وقال: والله إني لأكونُ في بيتي فتجيء على لساني ألفُ كلمة، فإذا قمتُ على أعوادكم هذه نُتِحَتْ كلُّها من قلبي!

● وقيل لعبدالملك بن مروان: عُجِّل عليك الشيب؟

فقال: كيف لا يُعَجِّل عليَّ وأنا أعرض عقلي على الناس في كلِّ جمعة مرةً أو مرتين؟!

● ودُعيَ رجل ليخطبَ في نكاح، فأُرتج عليه، فقال: لقِّنوا موتاكم شهادة لا إله إلا الله!

فقالت امرأة حضرت: ألهذا دعوناك أماتك الله؟!

● وأُرتج على معن بن زائدة فقال: – وضرب برجله المنبر –: فتى حُروب، لا فتى منابر!

● أراد علي بن عبيدة أن يدخلَ إلى الحسن بن سهل فلم يُتح له ذلك، فكتب إليه شعراً يمدحه، فكتب إليه الحسن: بابُ السلطان يحتاجُ إلى ثلاث خصال: مال، وعقل، وصبر. وطلب عليٌّ ممن حمل إليه الرسالة أن يقول له: لو كان لي مالٌ لأغناني عن الطلب منك، أو صبرٌ لصبرتُ عن الذُّلِّ ببابك، أو عقلٌ لاستدللتُ به على النزاهة عن رفدك.

فأوصله الحسن بمالٍ كثير!

● قال نافع بن خليفة: يا بنيَّ، اتقوا الله عزَّ وجلَّ، واتقوا السلطان بحقِّه، واتقوا الناس بالمعروف.

فقال رجل منهم: ما بقي شيء من الدنيا والآخرة إلا أمرنا به!

● أهدى النوشجاني إلى المأمون قارورةً فيها دهنُ أترجّ، وكتب إليه: إذا كانت الهديةُ من الصغير إلى الكبير، فكلما لطفت كان أبلغ وأوصل، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير، فكلما عظمت كان أجزلَ لها وأخطر!

● كتبَ أحدهم لآخر: كفاكَ من القطيعة لي سوءُ ظنك بي!

● كثيراً ما يذكرُ الفقهاءُ أنواع الشِّجاج (الجروح) في الكتب الفقهية، لبيان أحكامها الفقهية.. وهي:

الدامية: وهي أيسرُ الشجاج.

وأول الشِّجاج: الحارصة، لأنها تشقُّ الجلد.

ثم الباضعة: وهي التي تشقُّ اللحمَ بعد الجلد.

ثم المتلاحمة: وهي التي أخذتِ اللحم ولم تبلغِ السِّمحاق.

ثم السمحاق: وهي التي بينها وبين العظم قشرةٌ رقيقة. وكلُّ قشرة رقيقة سِمحاق.

ثم المُوْضِحة: التي تُوْضِح عن العظم.

وبعدها: المفرِّشة.

ثم الهاشمة: وهي التي تهشمُ العظم.

ثم المنقِّلة: وهي التي تَخرُج منها العظام.

ثم الآمة: وهي أشدُّ الشِّجاج التي تبلغُ أمَّ الرأس: وهي الجلدةُ الرقيقةُ التي تكونُ على الدماغ.

* * *

العقد الفريد
للملك السعيد[1]

لأبي سالم النصيبي

قيل لبعض الحكماء: بمَ يُعرف عقلُ الرجل؟

---

(١) العقد الفريد للملك السعيد / تأليف أبي سالم محمد بن طلحة الوزير.— القاهرة: المطبعة الوهبية, ١٢٨٣هـ, ٢٢٤ص.
وهو من قبيل كتب سياسة الملوك التي سبق أن عرضت مجموعة منها, والتي يحاول فيها مؤلفوها جمع وترتيب ما نفع وطاب من أحكام سلطانية, ووقائع سياسية, وحكايات ذات مغزى, وعظات وحكم شتى.. وفي منهج المؤلف ملامح إسلامية عديدة, يتبين ذلك من خلال شرح مقاصد الدين.. وقد تزهَّد بعد الوزارة.
وجعله على أربعة قواعد: في مهمات الأخلاق والصفات, في السلطنة والولايات, في الشرائع والديانات, في تكميل المطلوب بأنواع من الزيادات.
ويقول في مقدمة كتابه: "أرجو من الله تعالى أن يجعله كتاباً تقرُّ بمطالعته العيون, وتصدق في إنتاجه الظنون, فإنه في جمع فرائد ونوادر المقاصد كالفلك المشحون, كلما قرأ منه مطالعه شيئاً دفعه إلى حديث ذي شجون...".
والمؤلف هو محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن, كمال الدين القرشي النصيبي العدوي الشافعي, أبو سالم, وزير من الأدباء الكتاب. ولد في العمرية من قرى نصيبين, ورحل إلى نيسابور, وولي الوزارة بدمشق, ثم تركها وتزهد, وتوفي بحلب. من مؤلفاته الأخرى: مطالب السول في مناقب آل الرسول, الدر المنظم في السر الأعظم, مفتاح الفلاح في اعتقاد أهل الصلاح, نفائس العناصر لمجالس الملك الناصر. ت ٦٥٢هـ. (الأعلام ١٧٥/٦).

فقال: بقلة سقطهِ في كلامه، وكثرةِ إصابته فيه.

فقيل: فإن كان غائباً؟

قال: بأحد ثلاثةِ أسباب: إما برسوله، وإما بكتابه، وإما بهديته.

أما رسولهُ فقائم مقامَ نفسه، وكتابهُ يصف نطقَ لسانه، وهديتهُ على قدره، فبقدر ما يكونُ فيها من نقص يُحكم به على صاحبه.

● قال أبو الرشيد الرازي: دخلتُ بغداد ولم أعرفْ بها أحداً، ولم أعلمْ ما أعملُ في أمري. فرأيتُ شيخاً عليه أثر الديانة وزيُّ الصلاح، فسلمتُ عليه وقلت له: يا سيدي أنا رجل غريب، وقد وصلتُ الآن إلى هذه البلدة، ولا أعرف فيها أحداً، وقد ضاقَ صدري، إذ لم أجد بها معرفةً من بلدي يهديني إلى سلوك طريق الارتفاق.

فلما سمع كلامي، لم يزدني على أن أنشدني هذين البيتين:

إذا كنتَ ذا عقلٍ فلا تخشَ غربةً فما عاقلٌ في بلدةٍ بغريبِ
يُعَدُّ رفيعَ القوم من كان عاقلاً وإن لم يكن في أهله بحسيبِ

ثم تركني ومضى.

فلما سمعت ذلك منه، علمت أن العقلَ هاد مرشد، ومشيرٌ مسعد، فاهتديتُ بنوره الوقاد، فرزقني الله كلَّ مرامٍ ومراد!

● قال تميم بن عدي اليربوعي: كنت مع عبدالله بن العباس عند منصرفه من دمشق، فسألته في بعض الأيام وقلت له: بماذا يتمُّ عقل الرجل؟

فقال: إذا صنع المعروفَ مبتدئاً، وجاد بما هو محتاجٌ إليه، وتجاوز عن الزلَّة، وجازى على المكرمة، وتجنَّبَ مواطن الاعتذار؛ فقد تمَّ عقله.

● قال الأشعثُ بن قيس: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، فوجدتهُ قد أثر فيه صبرهُ على العبادة الشديدة ليلاً ونهاراً، فقلت: يا أمير المؤمنين، إلى كم تصبرُ على مكابدة هذه الشدَّة؟

فما زادني على أن قال:

اصبرْ على مضضِ الإدلاجِ في السَّحَرِ ... وفي الرواح على الطاعات في البَكَرِ
إني رأيتُ وفي الأيامِ تجربةٌ ... للصَّبْرِ عاقبةً محمودةَ الأثرِ
وقلَّ مَنْ جدَّ في شيء يؤمِّلُه ... فاستشعرَ الصبرَ إلا فاز بالظَّفَرِ

فحفظتها منه، وألزمتُ نفسي بالصبر في الأمور، فوجدتُ بركةَ ذلك وحسنَ أثره.

● من استعجلَ في أمرٍ يحاوله، كان جديراً إن نالهُ أن لا يدوم له، فإن الخللَ يلازمُ العجل.

● اشكر لمن أنعمَ عليك، وأنعمْ على من شكرك، فإنه لا زوال للنعمة إذا شُكِرَتْ، ولا بقاءَ لها إذا كُفِرَتْ.

● قال الأزدي:

تمسَّكْ بأهداب المشورة واستعنْ بحزمِ نصيحٍ أو نصيحةٍ حازمِ
ولا تجعلِ الشورى عليك غضاضةً فريشُ الخوافي قوةٌ للمقادمِ

● من أيقظ نفسهُ وألبسها لباسَ التحفُّظ، أيسَ عدوُّه عن كيده له، وقطعَ عنه أطماعَ الماكرين به.

● من أحبَّ أن يعفوَ الله عن سيئاته ويتجاوزَ عنه، فليعفُ عن هفواتِ المذنبين ويتجاوزْ عن سيئاتهم، ما لم يكن فيه إسقاطُ حدٍّ من حدود الإسلام ويجاوز إلى الوقوع في حمى الحرام.

● طلب عافيةُ بن يزيد القاضي من الخليفة المهدي أن يعفيهُ من القضاء، فقال له المهدي: ما سببُ استعفائك من القضاء؟

فقال: يا أمير المؤمنين، كان تقدَّمَ إليَّ خصمان منذ شهر في قضية مشكلة، وكلٌّ يدَّعي بيِّنة وشهوداً ويُدلي بحجج تحتاج

إلى تأمل وتلبث. فرددتُ الخصوم رجاء أن يصطلحوا وأن يظهر الفصل بينهما. فسمع أحدهما أني أحبُّ الرطب، فعمد في وقتنا هذا – وهو أولُ أوقات الرطب – فجمع رطباً لا يتهيَّأ في وقتنا جمعُ مثله لأمير المؤمنين، وما رأيتُ أحسنَ منه. ورشا بوَّابي بدراهم على أن يُدخل الطبقَ عليَّ ولا يبالي أن يردَّ عليه. فلما أدخله عليَّ أنكرتُ ذلك، وطردتُ بوَّابي، وأمرتُ بردِّ الطبق، فردَّ عليه. فلما كان اليوم تقدَّم الخصمان إليَّ، فما تساويا في عيني ولا قلبي! فهذا يا أميرَ المؤمنين ولم أقبل، فكيف يكونُ حالي لو قبلت؟ ولا آمنُ أن تقعَ عليَّ حيلة في ديني، وقد فسدَ الناس، فأقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله، واعفني عفا الله عنك.

● وجَّهت الخيزران – والدةُ الرشيد – رجلاً نصرانياً على الطراز بالكوفة، وكتبت إلى واليها أن لا يتعرضَ له. وكان عليه جبة خزٍّ وطيلسان، وتحته برذن فاره.. ودخل زقاقاً ومعه جماعةٌ من أصحابه، وبين يديه رجلٌ مكتوفٌ وهو يصيح: واغوثاه، أنا بالله ثم بالقاضي.. وفي ظهره آثار السياط.. واشتكى إلى شريح القاضي ما فعل به. وطلب من النصراني أن يجلسَ بجانب خصمه، فأبى أولاً لأنه من الخدم، ثم جلس بعد إلحاح القاضي. واستفسرَ منه عن سبب آثار السياط على ظهره، فقال: إنه يستحقُّ أكثر من هذا.. ولم يمتلك القاضي هذا

الموقف، فخلعَ كساءه، ودخل داره، وأخرج سوطاً، يضربهُ به وهو يقول: لا تضرب والله بعدها المسلمين.. وخرج النصراني من الكوفة، وراح إلى بغداد ولم يعد!

● ثلاثة أشخاص مسافرون، معهم ما تزوَّدوهُ في طريقهم من الخبز. مع أحدهم ثمانية أرغفة، ومع الآخر سبعةُ أرغفة، ومع الآخر ستةُ أرغفة. فرافقهم إنسان لا خبزَ معه، فجلسوا كلهم، وأخرجوا الأرغفة، وهي واحدٌ وعشرون رغيفاً، وأكلوهُ جميعاً أكلاً على السواء. فلما قاموا دفع إليهم الرجلُ الغريبُ واحداً وعشرين درهماً وقال: خذوا هذا عوضاً عما أكلتُ من زادكم. ثم فارقهم.

فكيف يقتسمون الدراهم بينهم؟

الجواب: صاحبُ الأرغفة الثمانية يأخذُ أحدَ عشرَ درهماً، وصاحبُ السبعة يأخذُ سبعةَ دراهم، وصاحبُ الستة يأخذُ ثلاثة.

وتحقيقُ ذلك أن كلَّ واحد من الأشخاص الأربعة لما أكلوا على السواء، يكون قد أكلَ خمسةَ أرغفة وربعاً، فيكون الضيفُ قد أكل هذا المقدار مثلَ كلِّ واحد منهم، والذي فضل لصاحب الثمانية رغيفان وثلاثة أرباع، والذي فضل لصاحب

السبعةِ بعد أكله رغيفٌ وثلاثة أرباع، والذي فضل لصاحب الستة ثلاثةُ أرباع لا غير، والدراهمُ المدفوعة في مقابل الخمسة والربع التي أكلها، فيكونُ في مقابلة كلِّ رغيف أربعةُ دراهم، فإذا قسمتَ على ذلك كان لكلِّ واحد منهم ما تقدَّم. وهذا مطَّرد في كلِّ ما جانس هذه الصورة.

● خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المسجد ومعه الجارود العبدي، فإذا امرأة برزةٌ على ظهر الطريق. فسلم عليها عمر، فردَّت عليه السلام وقالت: هيه يا عمر، عهدتك وأنتَ تسمَّى عميراً في سوق عكاظ تصارعُ الفتيان، فلم تذهب الأيام حتى سمِّيت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتقِ الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الموتَ خشي الفوت.

فبكى عمر رضي الله عنه، فقال الجارود: هيه! اجترأتِ على أمير المؤمنين فأبكيتيه. فقال عمر: دعها، أما تعرف هذه؟ هذه خولة بنت حكيم، التي سمع الله قولها من فوق سمائه، فعمرُ والله أحقُّ أن يسمعَ قولها، فإنها هي التي أنزل الله في حقها لما جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ↓

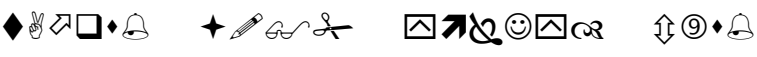

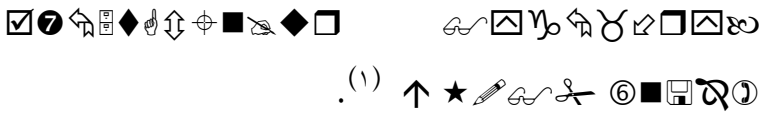

● قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله لسليمان بن عبدالملك: إن بالباب رجلاً يطلبُ الدخول. فقال: أدخله. فدخل. فقال له سليمان: ممن الرجل؟ فقال: من عبد القيس بن قصي، وإني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام وإن كرهته، فإن من ورائه ما تحبُّ إن قبلته. فقال: قل يا أعرابي. فقال:

يا أمير المؤمنين، إنه اكتنفك رجالٌ باعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخطِ ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، خرَّبوا الآخرة وعمَّروا الدنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنهم لم يألوا الأمانة تضييعاً، والأمةَ خسفاً، وأنت مسؤولٌ عما اجترحت، فلا تصلحْ دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظمَ الناس غبناً بائعُ آخرته بدنيا غيره.

فقال له سليمان: يا أخا ربيعة، لقد سللتَ علينا لسانك.

فقال: أجل يا أمير المؤمنين، لكَ لا عليك.

قال: فهل لك من حاجةٍ في ذات نفسك لتقضى؟

---

(١) سورة المجادلة, الآية ١.

فقال: أما حاجةٌ دون عامَّة فلا.

ثم قام وخرج!

فقال سليمان: لله دَرُّه ما أشرفَ أصله، وأجمعَ قلبه، وأذربَ لسانه، وأصدقَ نيته، وأورعَ نفسه! هكذا فليكن الشرف والعقل.

● قال زياد العبد مولى ابن عباس لعمر بن عبد العزيز وقد دخل عليه: يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجلٍ له خصم ألدُّ كيف حاله؟ قال: سيء الحال. قال: فإن كانا خصمين ألدَّين؟ قال: ذلك أسوأ لحاله. قال: فإن كانوا ثلاثة؟ قال: لا يهنيهِ عيش. قال: والله يا أمير المؤمنين ما أحدٌ من أمة محمد إلا وهو خصمٌ لك عند الله تعالى، مطالبُك إن قصرت في حقِّه.

فبكى عمر حتى رقَّ له من حضر.

● بعث المنصور إلى الإمام الأوزاعي.. فكان من بين ما نصحه: جاء عن ابن عباس في هذه الآية: ↓ ✌✍◆✍✌

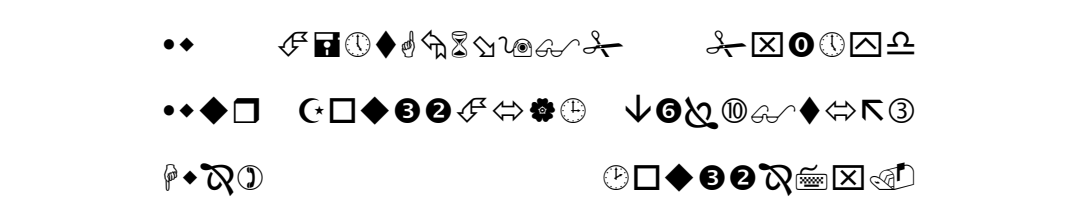

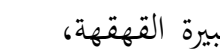 [1]: أن الكبيرة القهقهة، والصغيرة التبسُّم؛ فكيف بما عملتهُ الأيدي وحصدتهُ الألسنُ يا أمير المؤمنين؟

● روى عثمان الخراساني قال: قال أبي: كنت عند هشام بن عبد الملك وقد دخل عليه عطاء بن أبي رباح سيدُ فقهاء الحجاز، فلما رآه قال له: مرحباً مرحباً، ها هنا ها هنا. فرفعهُ حتى مسَّت ركبتهُ ركبتَه وعنده أشرافُ الناس يتحدَّثون. فسكتوا. فقال هشام: ما حاجتك يا أبا محمد؟

فقال: يا أمير المؤمنين، أهلُ الله وجيرانُ رسول الله صلى الله عليه وسلم تقسمُ فيهم عطاءهم وأرزاقهم فقد تأخرت عنهم.

فقال: نعم، يا غلام، اكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعطائهم وأرزاقهم معجلاً.

قال: ثم ماذا يا أبا محمد؟

فقال: أهلُ نجدٍ أصلُ العرب وقادةُ الإسلام، تردُّ فضولَ صدقاتهم فيهم.

قال: نعم، يا غلام، اكتب بأن تردَّ فيهم فضولُ صدقاتهم.

---

(١) سورة الكهف, الآية ٤٩.

ثم قال: هل من حاجة غير هذا؟

قال: نعم. اتق الله يا أمير المؤمنين في نفسك، فإنك خُلقت وحدك، وتموتُ وحدك، وتُحشَرُ وحدك، لا والله ما معك من هؤلاء الذين تراهم أعوانك أحدٌ ينفعك.

فأكبَّ هشام يبكي. وقام عطاء.

فلما كان عند الباب وأنا معه، إذا رجل قد تبعهُ بكيس ما أدري ما فيه: دراهم أو دنانير، وقال: إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا.

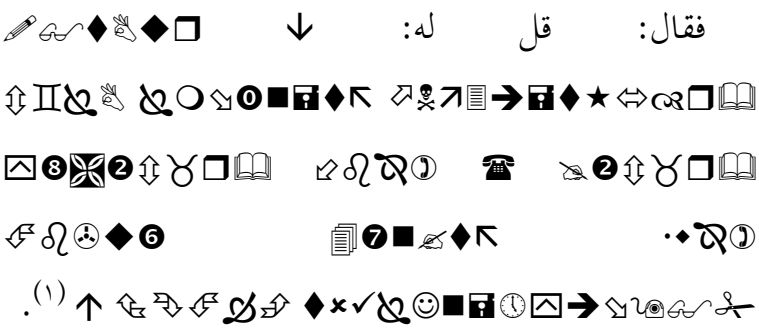

فقال: قل له: ↓

ثم خرج، لا والله ما قبلَ لهم شيئاً!

● قال شبيب بن شيبة للمنصور وقد قال له: عِظني

---

(١) سورة الشعراء, الآية ١٠٩.

وأوجز، فقال:

يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى لم يرضَ لك أن يجعلَ فوق منزلتك أحداً من خلقه، فلا ترضَ له من نفسكَ أن يكونَ عبدٌ من عبادهِ أشكرَ منك له!

● زخرفَ الرشيدُ مجالسهُ وبالغَ فيها، وصنعَ طعاماً كثيراً، ثم وجَّه إلى أبي العتاهية، فأتاه، فقال: صفْ لنا ما نحن فيه من نعيمِ هذه الدنيا، فقال له في الحال:

عشْ ما بدا لك سالماً في ظلِّ شاهقةِ القصورِ

فقال: أحسنت، ثم ماذا؟ فقال:

يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواحِ وفي البكورِ

فقال: أحسنت، ثم ماذا؟ فقال:

فإذا النفوس تقعقعتْ في ضيقِ حشرجةِ الصدورِ
فهناك تعلم موقناً ما كنتَ إلا في غرورِ

فبكى الرشيد، فقال الفضلُ بن يحيى: بعث إليك أميرُ المؤمنين لتسرَّه فأحزنته؟

فقال الرشيد: دعه، فإنه رآنا في غفلةٍ وعمًى، فكره أن يزيدنا.

* * *

فاكهة الخلفاء

ومفاكهة الظرفاء[1]

لابن عربشاه

التقطت الأرنبُ تمرة، فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا إلى الضبِّ. فقالت الأرنب: يا أبا الحصين: قال: سميعاً دعوت. قالت: أتيناكَ لنختصمَ إليك. قال: عادلاً حكيماً.

---

(١) ... فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء / تأليف أحمد بن محمد بن عرب شاه الحنفي. – الموصل: مطبعة دير الآباء الدمنكيين، ١٢٨٦هـ، ١٨٦٩م، ٥٢٠ص.

يتضمن فصولاً متنوعة في الآداب الملوكية والسياسة السلطانية، معظمها على لسان الحيوانات، كما هو المقصود في كتاب "كليلة ودمنة" من حيث الشكل والمضمون، قال في المقدمة: ".. وسيرت فارس الأفكار في ميدان هذا المضمار، وقصدت من الفائدة ما قصدوه.. وجمعتُ ما بلغني عن نقلة الأخبار وحملة الآثار ورُواة الأسفار على لسان شيخ النطائف ومنبع المعارف وإمام الطوائف ومجمع العوارف، ذي الفضل والإحسان أبي المحاسن حسان، ووضعت هذا الكتاب نزهة لبني الآداب، وعمدة لأولي الألباب، من الملوك والنوّاب، والأمراء والحجّاب، وجعلته على عشرة أبواب".

وهذه الأبواب هي:

ذكر باب العرب الذي كان لوضع هذا الكتاب السبب.

– وصايا ملك العجم المتميّز على أقرانه بالفضل والحكم.

– حكم ملك الأتراك مع ختنه الزاهد شيخ النسّاك.

قالت: اخرجْ إلينا. قال: في بيته يؤتَى الحكم. قالت: إني وجدتُ تمرة. قال: حلوة فكليها. قالت: فاختلسها مني الثعلب. قال: لنفسه بغَى الخير. قالت: فلطمتُه. قال: بحقِّكِ أخذتِ. قالت: فلطمني. قال: حرٌّ انتصرَ لنفسه.

قالت: فاقضِ بيننا. قال: قد قضيت!

= – مباحث عالم الإنسان مع العفريت جان الجان.
– نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع.
– نوادر التيس المشرقي والكلب الإفريقي.
– ذكر القتال بين أبي الأبطال الريبال وأبي دغفل سلطان الأفيال.
– حكم الأسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد.
– ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب.
– معاملة الخادم والأحباب والأعداء والأصحاب.

وقد انتقيت منه بعض ما هو مفيد، ونماذج من القصص القصيرة، وتركت ما هو طويل، وهو الكثير. وفي الكتاب تحريفات متعمدة، يبدو أنها من المطبعة.

والمؤلف مؤرّخ رحَّالة، له اشتغال بالأدب، ولد ونشأ بدمشق. ولما غزا تيمورلنك ديار الشام تحول بعائلته إلى سمرقند، ثم انتقل إلى ما وراء النهر، وساح سياحات بعيدة، وهبط أدرنة، حيث اتصل بالسلطان العثماني محمد بن عثمان.. وعاد إلى دمشق. برع في الكتابة والإنشاء والنظم باللغات العربية والفارسية والتركية. ورحل في أواخر أيامه إلى مصر، فأقام في الخانقاه الصلاحية إلى أن توفي سنة ٨٥٤هـ. من مؤلفاته: عجائب المقدور في أخبار تيمور، منتهى الأرب في لغات الترك والعجم والعرب، غرة السير في دول الترك والتتر، التأليف الطاهر في سيرة الملك الظاهر.

● .. لا تثقوا بأحد من الكبارِ والصغارِ إلا بعد الاختبارِ في الشدَّة والضعف، والرفق والعنف، والبؤس والرخاء، والخوف والرجاء.

ولا تقدِّموا على قديم الأصحاب أحداً، ولا على الموثوقِ بهم من لم تجرِّبوه أبداً. وقد قيل في المثل المشهور: النحسُ المعروف خيرٌ من الجيِّد المنكور. وقد قيل أيضاً: خيرُ الأشياء جديدها، وخيرُ الأصحاب قديمها.

● إذا شبعتَ فلا تهتمَّ للجوع، فكم من شبعان مات قبل أن يجوع. وإذا اكتسيت فلا تهتمَّ للعرية، فكم من مكتسٍ مات وثيابهُ جديدة مطويَّة!

● الجاهل يُعرف بثلاث علامات:

إحداها أن يرى نفسه عاريةً عن العيوب.

الثانية أن يرى نفسه أعلمَ من الغير.

الثالثة أن يرى أنه انتهى في فنون العلمِ والنُّهى وبلغ أعلى المراتب. وهذا أكبر المعايب!

● قال بعضُ الحكماء: اللسان أسد، وهو حارسُ الرأس والجسد، إن حبستَه حرسك، وإن أطلقته حبسك، وإن سلَّطته افترسك!

● مرَّ الهدهد وهو في مكان عال، ملتفت إلى ناحيةِ الشمال، وهو مشغول بالتسبيح، يسبّح الله بلسانه الفصيح، فناداه عبدٌ صالح: يا صاحب التاج، والقباء والديباج، لا تقعد في هذا المكان، فإنه طريق كلِّ فتَّان، ومطروقُ كلِّ صائدٍ شيطان، ومقعدُ أرباب البنادق، ومرصدُ أصحاب الجلاهق.

فقال الهدهد: إني عرفت ذلك، وأنه مسلك المهالك.

قال: فلأيِّ شيء عزمتَ على القعود فيه، مع علمك بما فيه من دواهيه؟

قال: أرى صبياً، وأظنه غويّاً، نصبَ لي فخّاً، يرومُ لي فيه زحّاً، وقد وقفتُ على مكائده، ومناصب مصائده، وعرفتُ مكيدته أين هي، وإلى ماذا تنتهي، وأنا أتفرَّج عليه، وأتقدَّم للضحك إليه، وأتعجَّبُ من تضييع أوقاته، وتعطيلِ ساعاته، فيما لا يعود عليه منه نفع، ولا يفيده في قفاه سوى الصفع، وأسخرُ من حركته، وأنبِّه من يمرُّ على خزعبلاته.

فتركه الرجل وذهب، وقضى حاجاته وانقلب؛ فرأى الهدهدَ في يد الصبيّ، يلعبُ به لعبَ الخليِّ بالشَّجيِّ، ولسانُ حاله يلهج بمقاله:

كعصفورةٍ في يد طفلٍ يُهينُها ... تقاسي حياضَ الموتِ والطفلُ يلعبُ
فلا الطفلُ ذو عقلٍ يرقُّ لحالها ... ولا الطيرُ مطلوقُ الجناحِ فيهربُ

فناداه وقال: يا أبا عبَّاد، كيف وقعتَ في شَرَكِ الصيَّاد، وقلتَ لي إنك وعيت، ورأيتَ ما رأيت؟!

فقال: أما سمعتَ أن الهدهد إذا نقر الأرض يعرفُ مسافة ما بينه وبين الماء، ولا يُبصر شعرة الفخِّ ولا ما وراء؟ فلمّا اغتررتُ بحدَّة بصري، ذهلتُ عما يجول في فكري، فتغطَّتْ حدَّةُ استبصاري، فوقعتُ في فخِّ اغتراري!

● قيل: جرَى في زمنِ سليمان عليه السلام مفاوضةٌ بين اللقلق والعصفور، فبينما كان عليه السلام في سيرانه، مع خواصِّ أركانه، مرَّ على شجرة دلب، للقلقٍ فيها عش، قد بناه كأحسن حُشّ، وقد استوكرَ في عشِّه عصفور، واحتمَى بجواره من مؤذيات أبي مذعور، فكانا يتخاصمان ويتقاولان، ويتواصلان ويتصاولان، فوقف الملك الكريم، واستوقف الجند العظيم، ليسمعَ ما يقولان، فسمع اللقلقَ يقول، وهو يجول ويصول، ويخاطب العصفور بمجمع من الطيور: اشكر لي حسنَ الصنيع، حيث أنزلتك في حصني المنيع، لا حيَّة ترقَى إليك، ولا جارح ينقضُّ عليك، ولولا أن لك مُناخاً، ما أبقت لك الحيّة ذاتاً ولا فراخاً، وإنما سلمتم بجواري، وبقربكم من داري!

فوثب أبو محرز، وتوسَّط الجمعَ وهو يجمز، ونادى بين

الأطيار: أنسيتَ يا أبا خديج أي جار، وأنا في المدار، حول هذه الديار، آناء الليل وأطراف النهار، ألقطُ النمل الكبار والصغار، ولولا أنا حارس مُناخك، ما أبقى لك النملُ أثراً ولا لفراخك. فكلٌّ منا محتاجٌ إلى جاره، مغتبطٌ بجواره، آمِنٌ به في سربه ومطاره؛ فارفع من بيننا هذا النكد، ولا يمنُّ منا أحدٌ على أحد، فالحقوق ما تضيع بين الجيران، كما تُراعَى بين الأصحاب والإخوان، وكما تَدين تُدان، ومع هذا فكلُّنا نصلي على الملك سليمان، ملكِ الإنسِ والجان، وسلطانِ الطيورِ وسائر الحيوان.

- مناصحة القطِّ والفار، كمصادقة الماء والنار.

فأنــت كواضــعٍ في المــاءِ جمــراً وأنــت كمــودعِ الــريحِ الــترابا

- قال بعضهم:

إذا أهملــتَ أمــرَ العبــدِ يومــاً وقصَّــرْتَ العليــقَ عــن الحمــارِ
توقَّــفَ في المســيرِ أبــو زيادٍ وقــامَ العبــدُ يجــري للفــرارِ[1]

- وقيل: الدَّرُّ يقطعه جفاءُ الحالب.

- أشار ذوو الحنكة من الحكماء، أن من طلب وفورَ خيرِه وفائدةَ نفسه من مضرَّةِ غيره، لا يتمتع بتلك الفائدة، ولا

(١) العليق طعام الحمار, وأبو زياد كنيته.

تثمر معه تلك العائدة، وهذا على تقدير حصولها، والاستيلاء على فروعها وأصولها، وإن لم يظفرْ بها فلا تستفيدُ النفس غيرَ كربها، مع زيادة الحسرة، وسوء الصيت والشهرة، وفور الندم، وزلَّة القدم. وكلُّ من أراد تمشيةَ هواه، ولم يلتفت إلى ما سواه، ورأى نفسه أحقَّ من غيره، فلا يُطمع أبداً في خيرِه، ولا يكاد يسلم من الأنكاد، ولا يصفو له زمان، ولا يدومُ له أخلَّاء وإخوان، ولا يزال دائم الهموم، من غمام الغموم، تهمي على حدائق آماله، وتسقي مزارعَ أحواله...

● قال بعضهم:

وإذا كـان منتهـى العمـر مـوتاً فسـواءٌ طويلُـه والقصـيرُ
فعش مـا شئتَ في الـدنيا وأدرك بها مـا شئتَ من صيتٍ وصوتِ
فجـلُّ العمـر موصـولٌ بقطـعٍ وخـيطُ العـيشِ معقـودٌ بمـوتِ

● وقال آخر:

هو الموتُ إن لم تلقهُ ضاحكاً تُمُتْ عبوسـاً بوجـهٍ أقـترَ اللـونِ أغـبرا
ومن لم يَمُتْ في ملتقى الخيلِ مقبلاً عزيـزاً، يَمُـتْ تحـت السـنابك مُـدْبِرا

● قال الثعلب: ذُكر أن رجلاً ذا كيد، كان مغرماً بالصيد، وكان عنده قطٌّ صيّاد، يجترئ على النِّمس والفيَّاد. فكان يوماً بين يديه، فمرَّ عصفور عليه، فقفزَ كالنمور، وحصَّل من الهواء

العصفور، فأعجبَ به صاحبه، ثم قصدَ الصيد وهو مُصاحبه، وحمله تحت إبطه، وبالغ في حفظه وضبطه، وركب جواده، وتوجَّه يرومُ اصطياده. فرقيَ سفحَ جبل، فخرج من وراء صخرةٍ طائفةٌ من الحجل، فتوجَّه إليه، وألقَى القطَّ عليه، فطار الطير وخاف القط، وقصد رجوعه إلى تحت الإبط، فقفزت إلى جبهة الجواد، وأنشبت فيها مخاليبه الحِداد، فجفلت الفرس من القطة، وخبطت بفارسها الأرضَ شرَّ خِبطة، أزهقت منها نفسه، وأبطلت حسَّه.

وأورد هذا المثل، ليُحترزَ من وقوع الخلل..

- قالت الحكماء ذوو المعارف:

لا تُفشِ سرَّك إلى طوائف، منها: سليم الفطرة، ومنها مدمن الخمرة، ومنها الكثير الكلام، ومنها المرأةُ والغلام، فإنهم ليسوا محلَّ الأسرار، وإنهم يغشونها بلا اختيار!

- من نظم الشاعر الماهر:

لا تحقــرنَّ الــرأيَ وهــو موافــقٌ حكمَ الصواب إذا أتى من ناقصِ
فالــدرُّ وهــو أجــلُّ شــيءٌ يُقتــنَى مــا حــطَّ قيمتَــهُ هــوانُ الغــائصِ

- ... مثله مثل النملة الخفيفة، التي نبتت لها أجنحة ضعيفة، فتحرّكها دواعي الطيران، فتتصوَّر أنها صارت كالنسور

والعقبان. فمجرَّد ما ترتفعُ عن الثرى إلى الهوا، التقمها عصفور، أو خطفها أصغر الطيور. ولهذا قيل:

إذا مـــا أراد الله إهـــلاك نملـــةٍ أطال جناحيها فسيقتْ إلى العطبِ

● الكرامُ لا يعاملون الجلساءَ إلا بالمؤانسة، وحسنِ الوفاء، والإبقاء على خير.

● قال الناظم:

أيا ابـــنَ آدَمَ لا يغْـــرُرْكَ عافيـــةٌ عليـــك شـــاملةٌ فـــالعمرُ محـــدودُ
مـا أنـتَ إلا كـزرعٍ عنـد خضـرتهِ بكـلِّ شـيء مـن الآفـات مقصـودُ
فـإنْ سـلمتَ مـن الآفـاتِ أجمعهـا فأنـت عنـد كمـالِ الأمـر محصـودُ

● خالطوا الناسَ مخالطةَ إن غبتم حنُّوا إليكم، وإن متُّم بكوا عليكم.

* * *

القول النبيل

بذكر التطفيل[1]

للأقفهسي

الطفيليُّ: هو الداخلُ على القوم من غير أن يُدعى. مأخوذ من الطَّفَل، وهو إقبالُ الليل على النهار بظلمته، وأراد: مَن أَمْرُهُ مُظلم على القوم، فلا يدرون مَن دعاه، ولا كيف دخلَ عليهم!

(١) القول النبيل بذكر التطفيل / شهاب الدين أحمد بن العماد الأقفهسي الشافعي؛ دراسة وتحقيق مصطفى عاشور.– القاهرة: مكتبة ابن سينا، ١٤٠٩هـ، ١٩٢ص.

جمع المؤلف في كتابه أخبار الطفيليين، وسار فيه على نحو علمي، من حيث ترتيب موضوعات الكتاب والتدرج فيها، ووزعها على أربعة وعشرين باباً، هي: معنى التطفيل في اللغة وأول من نُسب إليه، من كان يسمَّى طفيلياً في الجاهلية، الموائد وآدابها، الخبز والرُّقاق، اللحم بأنواعه، القدور والألوان، الحلوى بأنواعها، من دُعي إلى الطعام فأراد أن يستصحب غيره، من طَفَّل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيمن حمد التطفيل واحتجَّ لأهله وذكرهم بكل جميل، في التغليظ على من أتى طعاماً ولم يُدْعَ إليه، من عرَّض بالتطفيل ولم يصرّح، من أحبَّ تطفيل غيره فسهل السبيل إليه، من صرف إلى التطفيل همَّه وجعل ذلك صناعة وحرفة، من مُنع من الدخول فاحتال وتسبَّبَ إلى الوصول، من طفَّل من الأشراف والأكابر وأهل العلم والأدب، وصايا الطفيليين؛ أخبار بنَّان الطفيلي وشأنه بالبصرة وما حفظ عنه من رسوم التطفيل وحدوده =

قال الأصمعي: والذي يدخل إلى وليمة ولم يُدْعَ إليها يسمى طُفيلياً، وهو منسوبٌ إلى طُفيل، رجلٌ من أهل الكوفة من بني غَطفان، وكان يأتي الولائم من غير أن يُدعى إليها، فكان يُقال له: طفيليُّ الأعراس والعرائس.

● قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما شممتُ من رائحة أطيبَ من رائحة الخبز.

● قال الصاحب بن عبَّاد:

لم يشـــترِ النـــاسُ ولا باعـــوا خـــيراً مـــن الخبـــزِ إذا جـــاعوا

= وأحكامه، الضيافة والضيف، القناعة، من ذم التطفيل وأصحابه وهجاه غيره وعابه، أشعار الطفيليين، غرر نوادر طعاميات، نكتب الحكماء والأطباء في الإقلال من الطعام.

والمؤلف يعرف بابن العماد، فقيه شافعي من القاهرة، ونسبته إلى أقفهس من عمل البهنسا بمصر، مشارك في العلوم، كثير الاطلاع، صنف التصانيف نظماً ونثراً، وتوفي سنة ٨٠٨هـ.

من مؤلفاته الأخرى: كشف الأسرار عما خفي على الأفكار، عدة شروح على "منهاج العارفين" في فروع الفقه الشافعي، آداب الطعام، وتوقيف الحكام على غوامض الأحكام، السرُّ المستبان مما أودعه الله من الخواص في أجزاء الحيوان، نيل مصر، المعفوَّات...

● قال ابن الرومي في وصف خبَّاز ماهر:

إنْ أنسَ لا أنسَ خبازاً مررتُ به يَدْحُو الرُّقَاقَة مثل اللمحِ بالبصرِ[1]
ما بين رؤيتها في كفِّه كُرةٌ وبين رؤيتها قوراءَ كالقمرِ
إلا بمقدار ما تنداحُ دائرةٌ في صفحة الماء يُلقى فيه بالحجرِ

● قيل لأبي الحارث جِمْيِر: ما أطيبُ الأصوات؟

فقال: نشنشةُ المقالي بين غمغمةِ القدور، ولا تَنْسَيَنَّ قرقرة القيشاني[2].

● حضر الشاعر أبو تمام دعوة، فقدِّم إليه جَدْيٌ مهزول، فقال: جديكم هذا كان عاشقاً!

● قال أبو طالب المأموني في وصف هريسة:

هريسةٌ خِلْتُها وقد ملأ الطبَّا خُ منها الإناءَ ما وَسِعا
دُرّاً نثيراً أسلاكُه قِطَعٌ في ماء وردٍ وصَنْدَلٍ نُقِعا

● قال محمد بن سعيد: قلت لطفيلي مرة: ويلك! لا تأكل حراماً. قال: ما أكلت إلا حلالاً. قلت: وكيف ذلك؟ قال: لأني إذا دخلت داراً لقوم قصدتُ باب النساء، فيقولون:

---

(١) الرُّقاق: الخبز الرقيق, الواحدة: رُقاقة.
(٢) قرقرة القيشاني: صوت الأطباق.

هاهنا هاهنا؛ فقولهم هذا دعوةٌ! فما آكل إلا حلالاً!

● يُروى عن بعض الحكماء في وصيته لبنيه: اجتنبوا ثماني خصال، فمن تعاطَى منكم شيئاً منهنَّ فأُهين فلا يلومنَّ إلا نفسه: المحدِّثُ لا يُنصَتُ له، والمُدخِلُ نفسَه في سرٍّ بين اثنين لم يُدخلاه فيه، والجالسُ المجلسَ لا يستحقُّه، وآتي الدعوة لم يُدعَ إليها، والمتلمِّسُ الفضلَ من أيدي اللئام، والمتعرِّضُ للخير من يدي عدوِّه، والمتكلِّف ما لا يعنيه، والمتحمِّق في الدالَّة[1].

● عن بكر بن عبد الله قال: أحقُّ الناس بلطمة: من أتَى طعاماً لم يُدعَ إليه. وأحقُّ الناس بلطمتين: من يقول له صاحب المنزل اجلس هاهنا فيقول: لا بل أجلس هاهنا. وإن أحقَّ الناس بثلاث لطمات: من دُعي إلى طعام فقال لصاحب المنزل: ادعُ ربَّة البيتِ تأكلْ معنا!

● اختلفَ الرشيدُ وبعض من يخصُّه من أهل بيته في الفالوذج واللوزينج[2] أيهما أطيب؟

قال الرشيد: نسأل أبا الحارث.

---

(١) المتحمق في الدالة: من يسيء استخدام صلته بغيره مما يجعله بغيضاً غير مرغوب فيه.

(٢) اللوزينج: ضربٌ من الحلوى يعمل من الجوز شبه القطائف, يؤدم بدهن اللوز, والفالوذج: ضربٌ من الحلوى من دقيق وسمن ولبن.

فأحضروه، فقال له : يا أبا الحارث، ما تقول في اللوزينج والفالوذج، أيهما أطيب؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا أقضي على غائب!

فأحضروهما له، فجعل يأكل من الفالوذج ساعة، ومن اللوزينج ساعة، فقال له الرشيد: أيهما أطيب؟ اقضِ على أحدهما!

فقال: يا أمير المؤمنين، كلما أردتُ أن أقضيَ لأحدهما أدلَى الآخر بحجَّته!

● اجتمع قوم من الطفيليين، فأرادوا وليمة، فقال رئيسهم: اللهم لا تجعل البوّاب لكّازاً في الصدور[1]، دفَّاعاً في الظهور، طرَّاحاً للقلانس[2]؛ وهبْ لنا رأفته وبِشْرَه، وسهِّل لنا إذنَه.

● فلما دخلوا تلقَّاهم الخبّاز، فقال رئيسهم: غُرَّة مباركة، موصولٌ بها الخصب، معدومٌ معها الجَدْب.

فلما جلسوا على الخِوان[3] قال: جعلك الله كخوان إبراهيم.. ثم قال لأصحابه: افتحوا أفواهكم، وأقيموا أعناقكم،

---

(١) اللكاز: من اللكز, وهو الضرب بجمع الكف في الصدر.

(٢) جمع قلنسوة: غطاء الرأس.

(٣) الخوان: المائدة.

وأجيدوا اللفَّ، وأشرعوا الأكفَّ، ولا تمضغوا مضغَ المتعلِّلين الشِّباعِ المتخمين، واذكروا سوءَ المنقلب، وخيبةَ المضطرب.

- سُئل عباس المتطفِّل: أي شيء أحبُّ إليك؟

قال: دعوة قريبة في يوم مطير(١).

- قيل لطفيلي مرة: ما لك أصفر اللون؟

قال: من الفترة التي بين اللقمتين؛ أخاف أن يكون الطعام قد نفد!

- قيل لطفيلي: كم أربعة في أربعة؟

قال: ستة عشر رغيفاً!

- وقال مرة أخرى: انتظرتُه مقدار ما يأكل الإنسانُ رغيفاً!

- قال أبو هفَّان: طفَّل رجلٌ على رجلٍ، فقال له صاحب المنزل: من أنت؟

قال: أنا الذي لم يُخْوِجْكَ إلى الرسول!

---

(١) فلا يجد معاناة للوصول إلى البيت الذي فيه دعوة, ولا يزاحمه أحد بسبب بالمطر.

● دخل طفيلي على قوم فقالوا: لم يدْعُكَ أحدٌ منا!

فقال: إذا لم تدعُني، ولم أجيء أنا، وقعت وحشة بيننا!

فضحكوا منه وقرَّبوه.

● جاء طفيلي إلى دار رجلٍ له عُرس، فقال له صاحب العرس: من أنت؟

فقال: أنا الذي قال فيَّ الشاعر:

نــزورُكم لا نكــافيكم بجفــوتكم إن المحـــــبَّ إذا لم يُـــــزَرْ زارا

فقال له صاحب المنزل:

"زرزارا" هذا لا أدري من هو، قم فاخرج من بيننا!

● جاء طفيلي إلى عرس، فمُنع من الدخول، وكان يعرف أن أخا العروس غائب، فذهب وأخذ ورقة، وطواها وختمها، وليس في باطنها شيء، وجعل العنوان: "من الأخ إلى العروس"! وجاء فقال: معي كتاب من أخي العروس إليها.

فأُذن له، فدخل، ودفع إليهم الكتاب فقالوا: ما رأينا مثل هذا العنوان! ليس عليه اسم أحد! فقال: وأعجب من هذا أنه ليس في باطن الكتاب ولا حرفٌ واحد، لأنه كان مستعجلاً!

فضحكوا منه، وعرفوا أنه احتال لدخوله، فقبلوه!

● عمل طفيلي وليمةً، فدخل عليه طفيليان، فأصعدهما إلى غرفة له حتى أطعم من أراد، ثم نزل بهما، فقال لهما: لا أصغرَ الله ممشاكما. فأخرجهما، ولم يأكلا من الطعام شيئاً.

● ابن درَّاج الطفيلي من أهل حرّان، قدم بغداد مرة، ومرَّ بباب قوم وعندهم وليمة، فدخل، فإذا صاحبُ الدار قد وضع سلَّماً، فكلما رأى إنساناً لا يعرفه قال له: اصعد إلى هناك.

قال ابن دراج: فصعدتُ إلى غرفة مفروشة حتى صرنا ثلاثة عشر طفيلياً، ثم رُفع السُّلَّم، ووُضعت الموائد: فبقي أصحابي متحيِّرين، ويقولون: ما مرَّ بنا مثل هذا.

قال: فقلت لمن حولي: يا فتيان ما صناعتكم؟

قالوا: طفيلية.

قلت: فما الذي عندكم للخروج مما نحن فيه؟

قالوا: ما عندنا فيه حيلة!

قلت: فإن احتلتُ لكم حتى تأكلوا وتنزلوا، تقرُّون لي أني أعلمكم بالتطفيل؟

قالوا: ومن أنت أصلحك الله؟

قال: أنا ابن درَّاج.

قالوا: قد أقررنا لك قبل أن تحتال لنا.

قال: فاطلعتُ على صاحب الدار والناس يأكلون، وناديته، فقال: ما لك؟

قلت: أيُّما أحبُّ إليك، تصعدُ إلينا بمائدة كبيرة فنأكل ثم ننزل، أم أرمي بنفسي فيخرج من دارك قتيل ويصير عرسك مأتماً؟!

قال: وجعلتُ أجرُّ سراويلي كأني أريد أن أعدو وأرمي بنفسي!

قال: فجعل صاحبُ الدار يقول: اصبر.. ويلك!.. لا تفعل!

وطلب من الخدم أن يعجِّلوا وهو يقول: هذا مجنون فأصعدوا إليه خواناً.

قال: فأكلنا، ونزلنا!

● أمر المأمون أن يُحمَلَ إليه عشرةٌ من الزنادقة سُمُّوا له من أهل البصرة، فجُمِعوا، وأبصرهم طفيلي فقال: ما اجتمع هؤلاء إلا لطعام! فانسلَّ، فدخل وسطهم، ومضَى بهم الحرس، حتى انتهوا بهم إلى زورق قد أُعِدَّ لهم. فدخلوا الزورق. فقال الطفيلي: هي نزهة! فدخل معهم الزورق، فلم يكُ بأسرعَ من أن قُيِّد القوم، وقُيِّد معهم الطفيلي. فقال الطفيلي: بلغ بي تطفيلي إلى

القيود!

ثم سِيرَ بهم إلى بغداد، فدخلوا على المأمون، فجعل يدعو بأسمائهم رجلاً رجلاً، فيأمر بضرب رقابهم، حتى وصل إلى الطفيلي، وقد استوفي عدد المطلوبين!

فقال للحرس الموكلين بهم: ما هذا؟

قالوا: والله ما ندري، غير أنَّا وجدناه مع القوم، فجئنا به!

فقال المأمون: ما قصتك ويلك؟!

قال: يا أمير المؤمنين، امرأته طالق إن كان يعرف من أقوالهم شيئاً، ولا يعرف إلا الله، ومحمداً النبيَّ صلى الله عليه وسلم، وإنما أنا رجل رأيتهم مجتمعين، فظننتُ أنهم يُدْعَوْن إلى طعام!

فضحك المأمون وقال: يُؤَدَّب...

● أوصَى طفيليُّ العرائس – الذي يُنسب إليه الطفيليون – ابنَهُ عبد الحميد ابن طفيل في مرض موته فقال:

إذا دخلت عرساً فلا تتلفَّت تلفُّتَ المريب، ولتتخيَّر المجالس، فإن كان العرس كثير الزحام فمُرْ وانْهَ، وامضِ. ولا تنظر في عيون أهل المرأة ولا في عيون أهل الرجل، ليظنَّ هؤلاء أنك من هؤلاء، ويظن هؤلاء أنك من هؤلاء. فإن كان البواب غليظاً فابدأ به، ومُرْهُ وانْهَهُ من غير أن تعنِّفه...

● أنشد الكرجي لبعض الطفيليين:

لا تســـــمعنَّ بـــــدعوةٍ ووليمـــــةٍ في السِّـــند إلا كنـــتَ ممـــن يجمـــعُ
حـــتى تفـــوزَ بمـــا لـــديهم عنـــوةً وقلـــوبُهم حقـــاً عليـــك تصـــدَّعُ
وعليـــك بالفـــالوذِ عنـــد حضـــورِه ودعِ البقـــــولَ فإنهـــــا لا تنفـــــعُ
والجـديَ فاضـربْ فيـه ضـربَك في العِـدا لا تُقْلِعَـــنَّ عنـــه إذا قـــالوا: ارفعـــوا

● مرض بعضُ الطفيليين، فقال له غلامه: أوصني!

قال: مَنَّ الله عليك بصحة الجسم، وكثرة الأكل، ودوامِ الشهوة، ونقاء المعدة. ومتَّعك بضرسٍ طَحون، ومعدةٍ هَضوم، مع السَّعة والدَّعة، والأمن والعافية.

إذا قعدتَ على مائدة وبَعُد عنك الماء، فغصصتَ بلقمة، فضع يدك اليمنى فوق رأسك، وحرِّكها كأنك تسوِّي كُمَّك، فإنها تنزل بإذن الله تعالى.

فقال: زدني.

قال: لا تكثر شربَ الماء وأنت تأكل، فإنه يمنعك من الأكل...

قال: زدني.

قال: إذا وجدتَ الطعام فكُلْ منه أكلَ من لم يره قط، وتزوَّدْ منه زاد من لا يراه أبداً.

● قال بنّان الطفيلي في وصية له: إذا دعاك صديقٌ لك فاقعد يمنةَ البيت، فإنك ترى كلَّ من تحبّ، وأنت تسبقهم في كلِّ شيء، وأنت أول من يغسلُ يده والمائدة بين يديك، وأول القنينة أنت تشربه، والبقلُ الجيد يوضع قدّامك، وأول من يقدَّم لك البخور أنت، وإذا خرجتَ إلى الخلاء لا تحتاج إلى أن تتخطاهم جيئة وذهاباً، وأنت في كلِّ سرور حتى تنصرف!

● وفي منزلة الضيف كان يحيى بن معاذ يقول: لو كانت الدنيا في يدي لوضعتها في يد ضيفي!

● وقال أبو العباس المصيصي في وصف بخيل:

رأيتُ أبا نوح وقد ذُكِرَ القِرَى فأرسلَ عينيه وشابتْ ذوائبه
رأى الضيفَ مكتوباً، فظنَّ أنه لتصحيفه طيفٌ فقام يُحاربه!

● وقال جعيفران:

أتيتُ ابنَ يحيى وهو يأكل فانثنَى إليَّ قطوباً إذ رآني وهمهما
وقال لماذا جئتَ؟ قلت: مسلِّماً فقال: فقد سلَّمتَ فارجِعْ مثلما!

● قال بنّان الطفيلي: الأكلُ مع الإخوان يهضم، والأكلُ مع الثقلاء يتخم!

● وقال أحدهم: كان بنان يجيؤني في عرسي، فقلت له: ضَيَّقتَ عليَّ!

فقال: إن لم أنفعك لم أضرَّك!

فغصصتُ، فقال لي: ارفع رأسك إلى فوق، وتنفَّس ثلاثاً، فإنه ينزل ما أكلت!

● وقال بنان: سبعة يُضنين، بل يقتلن: إذا كان صاحبُ الوليمة بخيلاً، والبوّاب كذاباً صلفاً، والقيِّم على الناس بغيضاً سيِّء الأدب، والخبّاز لا يُحسن عمل الطعام، وكان قَذر الكف، والمائدة حتى توضع...

● أنشد أبو يعلى المقرئ لبعض الطفيليين:

نحـــن قـــومٌ إذا دُعينـــا أَجبنـــا ... فـــإذا نُنْســـى يَـــدْعُنا التطفيـــلُ
ونَقُـــلْ: علَّنـــا دُعينـــا فغبنـــا ... وأتانا فلـــم يجـــدنا الرســـولُ
نصـرِّفُ القـول نحـو أجمـل فعـلٍ ... مثلمـا يفعـل الـودودُ الوَصـولُ

● رثى بعض الشعراء بناناً الطفيلي عند موته فقال:

يا أيهـــا الميـــتُ الذميـــ ... ـــمُ لـــذي الأقـــارب والأباعـــدْ
مـــن للهـــرائس إذا فُقِـــدْ ... تَ وللثرائـــد والعصـــائدْ
وحضـــورِ أيام الـــولا ... ئـــمِ والقعـــودِ علـــى الموائـــدْ
والأكـــلِ مـــا قـــدرتْ عليـــ ... ـــهِ يـــداك مـــن حـــارٍ وباردْ
قـــد كنـــتَ تلـــتقمُ الـــرؤو ... سَ إذا خلـــوتَ وفي الشـــواهدْ
وتعيـــثُ في مـــال الصديـــ ... ـــق كـــوارثٍ في مـــال والـــدْ
أظننـــتَ أنـــك ســـوف تخـــ ... لـــدُ وابـــنُ آدم غـــيرُ خالـــد؟!

● قيل لحكيم: أي أوقاتِ الجوع أحسن؟

فقال: أما للأغنياء فإذا اشتهوا، وأما للفقراء فإذا وجدوا!

● وكان ميمون بن مهران يقول: مؤاكلة الصديق حوارٌ بين متحابين، ومؤاكلة البغيض تُخَمة.

● قال أرسطاطاليس: العاقل يريدُ الأكل للحياة، والجاهل يريدُ الأكل للممات!

● قال الحارث بن كلدة: إن الداءَ هرمٌ لازم، والداءُ هو إدخال الطعام إثرَ الطعام.

* * *

كشف الأسرار

عن حكم الطيور والأزهار[1]

لابن غانم

... لو صَفَت عينُ بصيرتك، وانجلت مرآة سريرتك، وأصبحتَ تسمع بسمع يقظتك، لأسمعك كلُّ موجود ما يجدهُ من فقدان وجده، وتأوَّه لهفاً على تبسُّم البرقِ لما سمعه من قهقهة رعده، فاسمع إلى الربيع فها هو قد بشَّرك بورود وروده.. وشكا إليك البانُ ما بانَ عن تمايل قَدِّه، وأقبل الشقيقُ على

---

(١) كتاب كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار / تصنيف عز الدين بن عبد السلام المقدسي.— القاهرة: المطبعة العامرة, ١٢٩٠هـ, ٣١ص.

وقد صدر الكتاب محققاً مرتين:

أولهما بتحقيق أحمد عبد القادر صلاحية وصبحي حباب.— دمشق: دار الكاتب العربي, ١٤٠٨هـ, ٢٩٤ص.

والثاني بتحقيق ماهر محمد عبد القادر.- مكة المكرمة: شركة دار القبلة للثقافة الإسلامية, ١٤١٦هـ.

وكان اعتمادي على النسخة القديمة النادرة المشار إليها.

وقد أوردت شيئاً من مقدمة المؤلف في المتن, مما يغني عن التعريف بكتابه..

ويعرف المؤلف بابن غانم, مقدسي, واعظ, له نظم ونثر. توفي بالقاهرة سنة ٦٧٨هـ, وله مؤلفات عديدة, منها: تفليس إبليس (مناظرات له مع الشيطان!), والروض الأنيق (مواعظ), وحل الرموز (تصوف), وديوان شعر.

تشقيقِ ثوبه وقَدِّه، كأنه ثاكلٌ لاطمٌ على حمرة خدِّه، وشكا إليك الجلَّنار جُلَّ نارِ هجرِه وصدِّه، فناح العندليبُ على عوده الرطيب برنده، وباح العاشقُ الكئيب بما يكاتمه من هوى زينبه وهنده، وهام في خلوات فلواته طرباً بما سمعهُ عن طيبة نجده...

... وبعد، فإني نظرت بعين التحقيق، فرأيت بنور التوفيق، أن كلَّ مخلوق مقرٌّ بوجود الخالق، وكلَّ صامت في الحقيقة ناطق، فاستقررتُ العبارات، واستبرزتُ الإشارات، فكلٌّ ناطقٌ بلسان حاله، أو بلسان قالِه... وقد وضعتُ كتابي هذا مترجماً عما استفدته من الحيوان برمزه، والجماد بغمزه، وما خاطبتني به الأزاهيرُ بلسان حالها، والشحاريرُ عن مقار ارتحالها... وجعلته موعظةً لأهل الاعتبار، وتذكرةً لذوي الأبصار والاستبصار، فمن طالع مثالي فهمْ ضربُ أمثالي، ومن أعجمَ عليه إشكالي فليس من أشكالي...

● فأول ما سمعته همهمة النسيم، يترنَّم بصوت رخيم، يقول بلسان حاله: أنا رسولُ كلِّ محبٍّ إلى حبيبه، وحاملُ كلِّ شكوى عليلٍ إلى طبيبه، إن استُوْدِعْتُ سراً أدَّيته كما استودعته، وإن حُمِّلْتُ نشراً رويته كما سمعته، وإن صحبتُ مصحوباً انجذبتُ معه بلطافة إيناسي، ومازحته بصفاء

أنفاسي...

● وقالت زهرة اللينوفر للنرجس.. أما تعتبر أيها الحزينُ باصفراري، وأين من القدر فراري، وأنا قد رضيتُ بعاري، ولستُ من الشوقِ بعاري، الرياضُ قراري، والفياضُ داري. ها أنا أعشقُ صفاءَ الماء الجاري، ولا أفارقه ليلي ونهاري، ومن العجب أني به ولهان، وإليه ظمآن، وأنا معه حيث كان.. واقفٌ في الماء عطشان...

● فلما مررتُ بالأشجار، طرب البانُ بينها، وتمايلَ دونها، فلاموهُ على كثرة تمايله، وعنفوهُ على عُجبه بشمائله، فقال بلسان حاله: قد ظهر عذري عند الناس، فمن ذا يلومني على اهتزاز خرصاني، وتمايلِ أغصاني، وأنا الذي بَسطتْ لي الأرض مطارفها، وأظهرتْ لي الأزاهيرُ زخارفها، وأهدت نسماتُ الأشجار إليَّ لطائفها...

● قال الريحان: قد آن حضوري وحان، فخذوني خديماً، واتخذوني نديماً، فرطيب خضرتي يخبرُ عن طيب حضرتي، وكيف تستريح روحٌ بغير ريحان.. أنا الموعودُ بي في الجنان، الساري بأنفاسي إلى صميمِ الجنان....

● ولما رأى الخزامى ما يكابده زهرُ الأقحوان قال: .. أنا

من أزهار لا أجاور الأنهار، ولا أسكن إلا على شفا جرف هار، أنا أوافق الوحشَ في النفار، وسكن البوادي والقفار، أحبُّ من الخلوات وسيعَ الفلوات، ولا أزاحم في المحافل، ولا أتحمل منه الزارع والكافل.. بعيدٌ عن المنازل، تجدني بأرض نجد نازل، رضيت بالبرِّ الفسيح، وقنعت بمجاورة الشيح...

● فتنفس "الشقيق" بين ندمائه، وهو مضرَّجٌ بدمائه، واستوَى على ساقه، ووثبَ وقال: يا لله العجب! ما بالُ لوني باهي، وحُسني زاهي، وقدْري بين الرياحين واهي، فلا أحد بي يُباهي، فيا ليت شعري ما الذي أسقط جاهي، أرفُلُ في ثوبي القاني، وأنا مدحوضٌ عند من يلقاني، فلا أنا في الحضرةِ حاضر، ولا يُشارُ إليَّ بالمناظر، ولا أُصَافَحُ بالمناخر...

● وصاحت فصاحةُ الأطيار، وأول ما صوَّت الهزار، ونادى على نفسه بخلع العذار، وباح بما عنده من الأسرار، وقال أنا العاشق الولهان، أنا الهائم اللهفان، إذا رأيتُ فصلَ الربيع قد حان، تجدني في الرياض فرحان، وفي الغياض أردِّد الألحان....

● فناداه الباز من ميدان البراز: ويحك لقد ضعف جرمك، وكبر جرمك، ولقد قلقلتَ بتغريدك الطير، وإطلاقُ

لسانك يجلب عليك الضَّيْر، وما يُفضي بك إلى خير، وما يُهلك الإنسانَ إلا عثراتُ اللسان، فلولا لقلقةُ لسانك، لما غربتَ عن أوطانك، وأُخذتَ من بين أقرانك، وحُبستَ في ضيق الأقفاص، وتعذَّر عليك باب الخلاص؛ فهل ذلك إلا مما جنَى عليك لسانك، وأفصحَ به بيانك، فلو اهتديت بسمتي، وافتديت بصمتي، لبرئت من الملامة، وعلمتَ أن الصمتَ رفيقُ السلامة. ألا ترى أني لزمتُ السكوت، وألِفتُ الصموت، فكان الصمتُ جمالي، والسكوتُ حمالي، اقتُنصت من البادية قهراً، وجُلبت الى بلاد القُربة جبراً، فلا بالسريرة بُحتُ، ولا على العشيرة نُحتُ، بل أُدِّبتُ حين غَرَبْتُ، وقُرِّبْتُ حين جريت، ومُنحت حين امتحنت...

● وقال البوم.. اخترتُ الداثرَ من الجدران، ورضيتُ بالخرابِ من العمران، فسلمتُ من الأنكاد، وأمنتُ من الحسَّاد. لم أزل عن الأحباب فريداً، وعن الأترابِ شريداً. من كان مسكنه التراب، كيف يُساكن الأتراب؟ ومن كان الليلُ والنهار يجريان من عمره فكيف لا يقنع بالخراب؟ من علمَ أن العمر قصير، وكلٌّ إلى الفنا يصير، قنع من الدنيا باليسير، وبات على خشنِ الحصير، وأُفطِرَ على قرصِ الشعير...

● وقال الديك.. جعلتُ الأذانَ لي وظيفة، أوقظُ به من هو نائم كالجيفة.. وفي إشارة لطيفة، أصفِّق بجناحي للقائم،

وأعلن بصياحي تنبيهاً للنائم، فتصفيق الجناح بشرى بالنجاح، وترددُ الصياح دعاءٌ للفلاح... فأنا بين الدجاج، أقنع بالماء الأُجاج، ولا أختصُّ عنهم بحبَّة، ولا أتجرَّع من الماء دونهم بشربة، وهذه حقيقةُ المحبة، إن رأيتُ حبَّةً دعوتهم إليها، ودللتهم عليها، فمن شأني الإيثار، إذا حصل النثار، ثم إني أطوعُ أهل الدار، أصبرُ لهم على سوء الجوار، يذبحون أفراخي، وأنا لهم كالخِلِّ المؤاخي، وينتهبون أتباعي، وأنا في نفعهم ساعي...

● وقال الكلب.. لا أزال واقفاً على أبواب سادتي، غيرَ راغبٍ في سيادتي، لا أتغير عن عادتي، ولا أقطع عنهم مادتي، أُطرَدُ مراراً فأعود، وأُضرَبُ ولستُ بالحقود، فأنا الصاحبُ الودود، الباقي على العهود، أقوم إذا كانت الخلقُ رقود، وأصومُ إذا رأيت الخُوان ممدود، وليس لي مالٌ معدود، ولا ماءٌ لي مورود، ولا سماطٌ ممدود، ولا رباط معهود.. إن أُعطيتُ شكرت، وإن مُنعتُ صبرت، لا أُرى في الأوقاتِ شاكياً، ولا على ما فات باكياً. إن مرضتُ فلا أُعاد، وإن غبتُ فلا يقال ليته عاد، وإن سافرتُ فلا أستصحبُ الزاد.

● وقالت العنكبوت.. أما إني لم يكن لأحدٍ عليَّ منَّة، ولا لأمٍّ عليَّ حِنَّة. أنا من حين أُوْلَدُ أنسجُ لنفسي، فأسلمُ من منَّة

الآباء، وحنَّة الأمهات. فأول ما أقصدُ زاوية بيت، وإن كان خراباً فهو أحسنُ ما أَوَيت، فأقصد الزوايا لما فيها من الخبايا، ولما في سرِّها من النكت والخفايا؛ فألقي لُعابي على حافاتها، حذراً من الخلطة وآفاتها، ثم أفردُ من طاقات غربي خيطاً رقيقاً منكساً في الهواء، فأتعلق به مسبلاً يدي، ممسكاً برجلي، فيظنُّ الغرُّ بتلك الحالة، أنني ميت لا محالة، فتمرُّ الذبابة فأختطفها بحبائل كيدي، فأودعها شبكة صيدي...

* * *

مجالس ثعلب[1]

لأبي العباس ثعلب

- مرَّ قومٌ من بني سُليم برجل من حُزَينة يقال له "نضلة"

---

(١) مجالس ثعلب / لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب؛ شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون.- ط ٢. – القاهرة: دار المعارف, ١٣٨٠هـ, ٢ مج (٧٤٦ ص).

إذا كانت الأمالي تعني ما يمليه الشيخ في حلقته فيتلقفها الطلاب بالتقييد في دفاترهم, مما يعني أن الشيخ قد أعدَّ ما يمليه, أو يلقي إلى الطلبة ما يشاء من تلقاء نفسه؛ فإن المجالس تختلف عن تلك بأنها تسجيل كامل لما كان يحدث في مجالس العلماء, ففيها يلقي الشيخ ما يريد من تلقاء نفسه, وفيها كذلك إجاباته على أسئلة المتلقين.

ومجالس ثعلب هذه متنوعة بين علوم العربية, ونوادر الأدب, وغرائب الشعر, ونكات في النحو والصرف, التي تضم في تضامينها كثيراً من المسائل النحوية على مذهب الكوفيين, مع استعراض لآراء أهل البصرة أحياناً, ومناقشة لأقوال العلماء واللغويين, وتفسير أو تأويل في الإعراب والتخريج, مما ينبئ عن عبقرية أبي العباس ثعلب فيما يختار من أشعار العرب وأرجازها وأخبارها, مع روح الأديب، ودقة العالم.

وهو أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني, بالولاء لبني شيبان, إمام الكوفيين في العربية والشعر واللغة, كما كان المبرّد يتزعم أهل البصرة في ذلك.

وعاش دهراً طويلاً منذ خلافة المأمون, وقضى ما يقرب من مائة عام (٢٠٠ – ٢٩١هـ) حياة حافلة بخدمة النحو واللغة والأدب, بين تيارات قوية في المنافسة العلمية والتعصب البلدي, إذ كان الخلاف محتدماً بين البصريين والكوفيين وقتذاك, وقد عاصر أحد عشر خليفة من خلفاء بني العباس, آخرهم المكتفي.

في إبل له؛ فاستسقوه لبناً فسقاهم. فلما رأوا أنه ليس في الإبل غيرُه ازدرَوْه، فأرادوا أن يأخذوا منه الإبل، لكنه قاومهم، وجالدَ حتى قتل منهم رجلاً، وأجلَى الباقين عن الإبل. فقال في ذلك رجل من بني سليم:

رأوه فـــازدَرَوْهُ وهـــو خِـــرْقٌ ويَنْفَـــعُ أهلَـــهُ الرجـــلُ القبـــيحُ

● صنع رجلٌ لأعرابي ثريدة يأكلها، ثم قال: "لا تَصقَعها، ولا تَشرِمها، ولا تَقْعَرْها".

قال: فمن أين آكل لا أبا لك؟

قال: كل من حواجبها. أي من نواحيها.

قوله: لا تصقعها: لا تأكل من أعلاها. وتشرمها: تخرقها. وتقعرها: تأكل من أسفلها.

● يقال: غلام نُشْنُشٌ، وشُعْشُعٌ، وبُلْبُلٌ، وبُزْبُز: إذا كان خفيفاً في السفر.

● يقال: سويداء قلبه، وحبَّة قلبه، وسَواد قلبه، وسَوَادة قلبه، وجُلجُلان قلبه، وأسود قلبه، وسوداء قلبه؛ بمعنى.

● عن أبي رافع (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال: كنتُ ألاعبُ الحسن أو الحسين رضي الله عنهما

بالمداحي[1]، فإذا أصابت مِدْحاتي قال: أترضى أن تركب بَضْعةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأدَعُه! فإذا أصابت مِدحاتُه قلت: لا أحملك كما لم تحملني. فيقول: أما ترضى أن تحمل بَضعةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأحمله!

● جالسوا أهل الدينِ فإن الفُجور لا يقربهم، وجالسوا الأشراف فإن الفُحش لا يجري في مجالسهم.

● أراد رجلٌ بالمدينة أن يسوءَ عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب ويضارَّه، فجعل يأتي وجوهَ أهل المدينة فيقول: قال لكم عبيدُالله بن العباس تغدُّوا عندي! فجاء الناس حتى ملؤوا عليه الدار، وعبيدالله غافل، فقال: ما شأنُ الناس؟ قال: جاءهم رسولك أن يتغدَّوا عندك! فعَلِمَ ما أُريدَ به، فأمر بالباب فأُغْلِق، وأرسل إلى السوق في أنواع الفاكهة، وذكر الأُتْرجَّ والعنب والموز فشغَلَهم، وأمر بالأطعمة فطُبخت وشُويت، فلم يفرُغوا من الفاكهة حتى أُتُوا بالطعام حتى صدروا عنه، فقال عبيدالله: أموجود هذا كلما شئت؟ فقالوا: نعم. فقال: ما أبالي مَن أتاني.

● كانت امرأةٌ من العرب، ومات عنها زوجُها ولها منه

(١) المداحي: جمع مدحاة, وهي أحجار أمثال القرصة, كانوا يحفرون حفرة ويدحون فيها بتلك الأحجار, فإن وقع الحجر فيها غَلب صاحبها, وإن لم يقع غُلب.

أربعة بنين، فأقامت عليهم حتى زوَّجتهم، ثم تزوَّجَتْ. فغابت عنهم زماناً ثم أتتهم، فقالت للأكبر: كيف وَجَدْتَ أهلك؟ فقال: "حُسْنٌ رائع، وبيتٌ ضائع، وضيفٌ جائع". وقالت للآخر: كيف وجدتَ أهلك؟ فقال: "غُلٌّ وَثاق، وسوءُ أخلاق، قد منعَتني فراقها، وحرَمَتْني طلاقَها". وقالت للآخر: كيفَ وجدتَ أهلَك؟ فقال: "ظِلُّ أثْلة، ولينُ رملة، وجَنَى نحلة، وكأني كلَّ يوم آيبٌ". وقالت للآخر: كيف وجدتَ أهلك؟ فقال: "دَلٌّ لا يُقلى، وعُجْبٌ لا يَفْنى، ولذَّةٌ لا تُقْصى، وكأني مُضِلٌّ أصاب ضالَّته".

فقالت: ألا تسألوني كيف وجدتُ زوجي بعد أبيكم؟ قالوا: بلى فأخبرينا. قالت: "ليثُ عرينة، وجَمَلُ ظعينة، وظِلُّ صخر، وجِوارُ بحر"!

● قولهم: "لا يدري الحوَّ من اللَّوِّ" أي: لا يعرف الكلام الذي يُفهم من الذي لا يُفهم.

● يقال: ضربه فهوَّره، وجوَّره، وقَطَّله، وقَعطله، وجَرعَبه، وبزْكعه، وجَعْفَله، وبَرْثَعه: إذا صرعه.

● أصل "اليُتْم": الغَفْلة. ومنه سُمّي اليتيم، لأنه يُغْفَل عنه.

● بيوت العرب ستة: قُبّة من أديم، ومِظلَّة من شَعَر، وخِباء من صوف، وبِجاد من وَبَر، وخيمة من شجر، وأُقْنَة من

حجر.

● يُقال لليلة ثلاثين: الليلاء، وهو قولهم: ليلةٌ ليلاء. ويومٌ أَيْوَم. واليوم الأيوم: آخر يومٍ في الشهر.

● تقول: ما هو إلا على خُلُقٍ واحد من شُبَّ إلى دُبَّ. يعني: مذ كان شاباً إلى أن دبَّ على العصا.

● حجَّ الحجَّاجُ ومعه صاحبٌ له، فأراد أن يأكل لقمة فوضعها من النعاس في عينه. وطارت عمامة صاحبه من النعاس أيضاً! فقال له الحجاج: ما فعلت عمامتك؟ قال: مع لقمتك!

● الشَّمْشَليق: الذي لا يبالي ما أخذ واستلب، والخفيفُ الطيَّاش.

● كان رجلٌ يطلب العلم فلا يقدر عليه، فعزم على تركه. فمرَّ بماء ينحدرُ من رأس جبل على صخرة قد أثر فيها، فقال: الماء على لطافته قد أثَّر في صخرة على كثافتها، والله لأطلبنَّ.

فطلب، فأدرك!

● قيل للأصمعي: كيف حفظتَ ونسيَ أصحابُك؟

قال: درستُ وتركوا.

● النَّسَب: القرابات.

الصِّهر: الذي يُصاهر من الغرباء.

والأحماء من قِبَل الزوج.

والأختان من قِبَل المرأة.

والأصهار يجمعهما.

وإنما سُمُّوا أحماءً: من حَمَوْا أنفسهم أن يُضَامُوا.

● قال بعضهم:

ما بالُ من أسعى لأَجْبُرَ عَظمَهُ حفاظاً وينوي من سفاهتهِ كسْري
أعودُ على ذي الذَّنْبِ والجهلِ بحلمي، ولو عاقبتُ غرَّقَهم بحري!

● وأنشد بعضهم:

عجبتُ لهرَّةٍ ذعَرَتْ بعيري فأقبلَ كلبُنَا فَرِحاً يجولُ
يحاذِرُ شرَّها جَمَلي، وكلبي يرجِّي خَيْرَها، ماذا أقول؟!

● سُئل المؤلف عن الفرق بين كيلا وكيما فقال:

إذا كانت "لا" مع "كي" فهي جَحْد، فإذا كانت مع "ما" فهي صِلَة.

● اقتسم عبدالله وعبيدالله – ابنا عبَّاس – داراً، فقال عبدالله: يا غلام، إن أخي قد ترك لي ذراعاً فأقِمْ حَبْلَك. فقال

عبيدالله: دعْ لأخي ذراعين. فقال: يا غلام، إن أخي قد ترك لي ذراعين فأَقِمْ حَبْلَكَ. فقال: يا أخي كأنك تحبُّ أن تكون الدارُ كلها لك؟ قال: نعم.

فقال: هي لك!

- الفَخْت والسَّاهور: الدَّارة حولَ القمر.

والهالة والنُّدْأَة: للشمس.

- قيل لابن الأعرابي: ما أطيب الخبز؟ قال: آدَمُه[1].

قيل: فما أطيب اللحم؟ قال: عُوَّذُه. أي: ما عاذ بالعظم.

- قال معاوية لعمرو بن العاص – رضي الله عنهما –: من أبلغ الناس؟

قال: من اقتصر على الإيجاز، وتنكَّب الفضول.

قال: فمن أصبرُ الناس؟

قال: أردُّهم لجهله بحِلمه.

- قال ابن الأعرابي: قيل لامرأة: أي الرجال أبغض إليكِ؟

قالت: ... الذي يضحك في بيت جاره، وإذا آوى في بيته

(١) أي: أشده أدمة, وهي السمرة. والعرب يسمون الحنطة: الحبة السوداء.

وَجَم!

قيل: فأي النساء أبغض إليك؟

قالت: الطُّلَعة القُبَعة، الحديدة الرُّكْبة، القبيحة النُّقْبة، الحاضرة الكِذْبة[1].

قيل: ثم ماذا؟

قالت: والتي إن غَدتْ بَكَرت، وإن حدَّثت نثرتْ، وإن صَخِبت صرصرت.

قيل: ويلكِ، ما تركتِ في النساء خيراً!

قالت: بلى، قد تركتُ خيراً وشراً!

قيل: ثم ماذا؟

قالت: التي تأكل أكلاً لمّاً، وتُوسِعُ الحيَّ ذمّاً.

قيل: فأيُّ الرجالِ زوجُك؟

قالت: كجذع النخلة السِّبَحْلة[2]... إن دخل فَهِدَ، وإن

(١) طُلعة قُبعة: تطلع تنظر ساعة ثم تختبىء. النقبة: ما أحاط بالوجه من دوائره.
(٢) السبحلة: الطويلة العظيمة.

خرج أَسِد، لا يسألني عمَّا عَهِد[1].

● وقال رجل لابنه يوصيه: "يا بُنيّ، إياك والرَّقُوبَ، الغَضوب القَطوب، الغَلْباء الرَّقْباء، اللَّفوت الشَّوساءَ، المنَّانة، الأنَّانة، الحنّانة. واعلم أن من النساء جِماعاً تجمع، وربيعاً تَرْبَع، وخَروجاً تَطْلُع، تُوهِي الخَرْق ولا تَرقَع".

يعني بالرَّقوب: التي تراقبه أن يموت فترثَه. الغَلْباء الرَّقباء: الغليظة الرقبة. واللَّفوت: التي عينها لا تثبتُ في موضع واحد، إنما همُّها أن يَغْفل عنها فتغمِزَ غيرَه. والشَّوساء: المتشاوِسة النَّظر من التّيه. والمنَّانة: التي تمنُّ على زوجها بمالها. والحنَّانة: التي تحنُّ إلى زوجها (الأول).

● العرب تقول: إيهٍ: بمعنى حدِّثْنا. وإيهاً: كُفَّ. وواهاً: تَعجُّباً. ووَيهاً: إغراءً.

● قولنا: صلى الله وسلم على محمد، أي: زاده بركة ورحمة. وثوابها لنا ليس له صلى الله عليه وسلم.

---

(١) فهد: أشبه الفهد. وصفت زوجها باللين والسكون إذا كان معها في البيت. والفهد مشهور بكثرة النوم. أو وصفته بنومه وغفلته عن معايب البيت التي يلزمه إصلاحها. وأسد: أشبه الأسد في جراءته وأخلاقه, لا يسأل عما عهد, تعني أنه كريم لا يسأل عما ذهب من ماله.

● من جمع كمَّثرَى على "كمَّثريات" قال في التصغير: "كُمَيْمثريَة" خفيف. وأكثر الكلام: "كُمَيْثِرة" و"كُمَيْمِثْراة" أيضاً.

● قال رجل: سألت ناساً من أهل البادية: إلى مَن أُنكح؟ قال: اتَّقِ الدِّقَّة المتوارَثة، وأَنْكِح إلى من شئت. قلت: وما الدِّقة المتوارثة؟ قالوا: أخلاقٌ سيئة يرثها آخرٌ من أول.

● يقال: رأيتُ صوصاً على أَصوص، أي: رجلاً لئيماً على جملٍ كريم.

● عن عبدالملك بن عمير قال: كنتُ عند الحجّاج بن يوسف، فقال لرجل من أهل الشام: هل أصابك مطر؟ قال: نعم، أصابني مطرٌ أسال الإكام، وأدحضَ التلاع، وخرَّق الرجع، فجئتك في مثل مجرِّ الضَّبُع[1].

ثم سأل رجلاً من أهل الحجاز: هل أصابك مطر؟ فقال: نعم، سقتني الأسميَة، فغُيِّبَتِ الشفار، وأُطفئت النار، وتشكَّتِ

(١) أدحض التلاع: أزلقها. والتلاع: جمع تلعة, وهي مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض. الرجع: الغدير يتردد فيه الماء. مجرّ الضبع: يريد السيل قد خرق الأرض فكأن الضبع جرت فيه.

النساء، وتظالمتِ المِعزَى، واحتُلبَتِ الدِّرَّة بالجِرَّة[1].

ثم سأل رجلاً من أهل فارس، فقال: نعم، ولا أُحسن كما قال هؤلاء، إلا أني لم أزلْ في ماء وطينٍ حتى وصلت إليك!

● وكان أعرابيٌّ ضريرٌ تقوده ابنتُه وترعَى غُنيمات لها، فرأت سحابة فقالت: يا أبَهْ، جاءتكَ السماء. فقال: كيف تَرَينها؟ فقالت: كأنها فرس دهْماء تجرُّ جِلالها. قال: ارعَيْ غُنَيماتِك. فرعَت مَلِيّاً ثم قالت: يا أبَهْ، جاءتْكَ السّماء. قال: كيف ترينَها؟ قالت: كأنَّها عينُ جملٍ طريف[2]. قال: ارعَيْ غُنَيْمَاتِك. فرعت مَلِيّاً ثم قالت: يا أبَه، جاءتك السماء. فقال: كيف تَرَينها؟ قالت: سُطحَت وابيضَّت. قال: أدخلي غُنَيماتك. فجاءت السماء بشيء شَطأ له الزرعُ[3] وأينع، وخَضِر ونَضِر.

---

(١) الأسمية: جمع سماء, بمعنى المطر. الشفار: السكاكين, يريد أخصبت الناس ولم يذبحوا الغنم والإبل. تشكت: أي اتخذت الشكاء لمخض اللبن, وهو كتابة عن كثرة اللبن. تظالمت المعزى: تناطحت مما سمنت وأخصبت. احتلبت الدرَّة بالجِرَّة: معناه أن المواشي تتملأ ثم تبرك أو تربض, فلاتزال تجترّ إلى حين الحلب.

(٢) الطريف: المطروف العين, فهو يحرك عينه ولاتزال تدمع. صور بذلك ومض البرق وبدوَّ المطر.

(٣) شطأ الزرع: أخرج شطأه, وهي فراخه.

● بعث يزيد بن المهلب "سريعاً" – مولى عمرو بن حريث – إلى سليمان ابن عبد الملك. فقال سريع: فعلمتُ أنه سيسألني عن المطر، ولم أكن أرْثُق بين كلمتين[١]، فدعوتُ أعرابياً فأعطيته درهماً، وقلت له: كيف تقول إذا سُئلت عن المطر؟ فكتبتُ ما قال، ثم جعلته بيني وبين القَرَبوس[٢] حتى حفِظتُه، فلما قدمت قرأ كتابي ثم قال: كيف المطر؟ فقلت: "يا أمير المؤمنين، عَقَد الثرى، واستأصلَ العِرْق، ولم أرَ وادياً دارئاً[٣]". فقال سليمان: هذا كلامٌ لستَ بأبي عُذرِه[٤]. فقلت: بلى. فقال: اصدقني. فصدقتُه، فضحك حتى فحص برجليه، ثم قال: لقيتَه والله ابنَ بجدتها[٥]، أي عالماً بها.

● قيل لأعرابي: هل لك في البادية؟ قال: "أما مادام السَّعدان مستلقياً فلا". وهو أبداً مستلقٍ. كره البادية.

● وقيل لأعرابي: ما أشدُّ البرد؟ قال: إذا دمعتِ العينان، وقَطَرَ المَنْخِران، ولجلجَ اللسان!

---

(١) أي أجمع بينهما.

(٢) هو السَّرْج.

(٣) استأصل العرق: أراد جذور النبات. وجاء الوادي درئاً: إذا سال بمطر واد آخر.

(٤) أي لستَ أولَ من قاله.

(٥) يقال: هو ابن بجدتها, للعالم بالشيء المتقنِ له, المميِّزِ له.

● معنى الحمد لله: أوجبتُ الحمدَ لله.

● قيل لهند بنت الخُسّ: ما حملكِ أن زنيتِ بعبدك؟

قالت: "قربُ الوِساد، وطولُ السِّواد". السِّواد: المسارَّة.

● قال أبو جناب يحيى بن أبي حية الكلبي: أتيتُ كربلاء، فقلت لرجل من أشراف العرب بها: بلغنا أنكم تسمعون نَوْح الجنِّ؟

قال: ما تلقى حراً ولا عبداً إلا أخبرك أنه سمع ذلك.

قلت: فأخبرني ما سمعتَ أنت؟

قال: سمعتهم يقولون:

مسحَ الرسولُ جبينَهُ فلـه بريقٌ في الخُدود
أبواه من عُليا قريـ ـش جدُّه خير الجُدود

● سمع هشامُ بن عبدالملك زيدَ بن عليٍّ يقول: ما أحبَّ الحياةَ أحدٌ قطُّ إلا ذلَّ.

قال: فخافه هشام منذ سمع ذلك منه!

● استعدَى تميمُ بن مقبل[1] عمرَ بن الخطَّاب على النَّجاشيّ[2]، فقال: يا أمير المؤمنين فأعْدِني عليه. قال: يا

(١) هو تميمُ بن أُبي بن مقبل. شاعر مخضرم. أدرك الجاهلية والإسلام.
(٢) اسمه قيس بن عمرو. وكان بينه وبين تميم مهاجاة.

نجاشيُّ ما قلت؟ قال: يا أمير المؤمنين، قلتُ ما أرى أنَّ عليَّ فيه إثماً، قلتُ:

قُبَيّلـــةٌ لا يغْـــدِرونَ بذِمَّـــةٌ ولا يظلمون النَّاسَ حبَّةَ خَرْذَلِ

فقال عمر: ليتَني من هؤلاء. قال:

ولا يَـــرِدُونَ المـــاءَ إلَّا عشـــيَّةً إذا صَـدَرَ الـوُرَّادُ عـن كـلِّ مَنْهَـلِ

قال عمر: وما على هؤلاء مَتى وردوا؟ قال: هل غيرُ هذا؟ قال:

ومـــا سُمِّـــيَ العَجْـــلَانُ إلا لقـــولِهِمْ خُذِ القَعْبَ فاحلُبْ أيُّها العبدُ فاعْجَلِ

قال عمر: خير القوم أنْفَعهُم لأهله. قال تميم: سَلْه عن قوله:

إذا اللهُ عـــادَى أهـــلَ لُـــؤْمٍ وذِلَّـــةٍ فعادَى بني العَجْلَانِ رهطَ ابنِ مُقْبلِ
أولئـــك أولادُ اللَّئـــيمِ وأُســـرةُ الـــ ـلَّئـــيمِ ورهـــطُ العـــاجزِ المتـــذلِّلِ
تعـافُ الكِـلابُ الضَّـارياتُ لحُـومَهُمْ وتأكلُ مِن كعبِ بنِ عَوْفٍ ونَهْشَلِ

فقال عمر: أما هذا فلا أعذرك عليه. فحبسه وضربه.

● نداء النفس على أربع لغات: يا نفسِ اصبري، ويا نفسُ اصبري، ويا نفسَ اصبري، ويا نفساً اصبري.

من قال: "يا نفساً" بين الفتح والكسر فإنه أراد يا نفساه، فحذف الهاء.

ومن قال: "يا نفسَ" فإنه لما رأى أنه قد حذف الهاء وبقي ألف، حذف الألف وأشار إلى موضعها بالفتح.

ومن قال: "يا نفسِ" فإنه حذف الياء وأشار إليها بالكسر.

[وأما "يا نفسُ" بالضم، فهو على الاكتفاء بنية الإضافة، وضُمَّ الاسمُ كما تضمُ المفردات.

ويضاف إلى ما ذكره: "يا نفسيْ" بإثبات الياء ساكنة، و"يا نفسيَ" بإثباتها مفتوحة].

- الناسُ ثلاثة: ساكت، وسالم، وشاجب.

فالسالم من قال الخير، والشاجبُ من قال سوءاً فهلك.

- قال معاوية لعبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص:

قد رأيتك تُعجَبُ بالشِّعر، فإذا فعلتَ فإياك والتشبيبَ بالنساء، فتُعرَّ الشريفة (أي تسبَّها)، وترمي العفيفة، وتُقِرَّ على نفسك بالفضيحة. وإياك والهجاء، فإنك تُحْنق به كريماً، وتستثيرُ به لئيماً. وإياك والمدح، فإنه كسبُ الوَقاح، وطُعمةُ السؤَّال. ولكن افخر بمفاخر قومك، وقل من الأمثال ما تزيّن به نفسك وشِعْرَك، وتؤدِّب به غيرك.

● قال ابن شبرمة[1]: زوجتُ ابني على ألفَيْ درهم، فجعلتُ أتذكَّر مَن أكلِّم، فأتيتُ أبا أيوب المورِيانيّ[2] فقلت: إنّي زوَّجتُ ابني على ألفَي درهم والله ما هي عندي، وما ذكرتُ لها غيرَك. فقال: قد أمَرْنا لكَ بها. فجزيتُه خيراً وذهبتُ أقوم، فقال: لا تعجَلْ، اجلِس. ثم قال: إذا دفعتَ إليهم المهرَ فلا تحتاج إلى طعام؟ قلت: بلى. قال: وألفَين للطَّعام. فجزيتُه خيراً. وذهبتُ أقوم فقال: لا تعجلْ اجلِسْ، لا تريد خادماً؟ قلت: بلى. قال: وألفين للخادم. ثم قال: إذا أخذتَ هذا فلا تريد نفقةً غير هذا؟ قلت: بلى. قال. وألفين للنَّفقة. قال: ولا يريد الشيخ شيئاً؟ قلت له: بلى. قال: فلم أزَلْ أَجزيه الخيرَ ويتذكر ويعطيني، حتى قمت بخمسين ألفاً.

● قال أبو عبدالله: مررتُ بأعرابية بالمُناخ بالكوفة تمرِّض أخاً لها في حُطْمةٍ أصابتهم (أي مجاعة)، ثم راح بالعشي فسأل عنه، فقالت: دفنَّاه. وإذا هي تأكل سويقةً معها قد ثَرَّتْها بالماء. فقال لها الرجل: ما أسرع ما أكلتِ بعده؟

---

(١) هو عبد الله بن شبرمة الضبي الكوفي. كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة. وكان شاعراً حسن الخلق, جواداً, ربما كسا حتى يبين من ثيابه. ت ١٤٤هـ.

(٢) نسبة إلى موريان, من نواحي خورستان. كان وزيراً للمنصور. وقد حبسه المنصور, ومات سنة ١٥٤هـ.

فاغرورقت عيناها وقالت:

على كـلِّ حـالٍ يأكـل المـرءُ زادَه علـى الضُّـرِّ والسَّـرَّاء والحَـدَثانِ

● ألقى الرشيد للفيل مائة رغيف، ولميسرة الترّاس مائة رغيف، فأكل ميسرة المائة رغيف، وأبقى الفيل من المائة رغيفاً، فعطف عليه ميسرة فأكله(؟!)[1].

● عن أبي معتمر بن سليمان قال: قلت لهلال بن الأسعر[2]: ما أكلةٌ بلغتني عنك؟ قال: نعم، جعتُ جوعةً وأنا على بعيري، فنحرتُه وأكلتُه، إلا ما حملتُ على ظهري منه!

● قال مسلم بن عقبة لرجل: والله لأقتلنَّك قِتلةً يتحدَّثُ بها العرب.

فقال له: إنك والله لن تدع لؤمَ القُدوة وسُوء المُثْلة لأحدٍ أحقَّ بهما منك!

● إنما سميت العِراق لعِراق البحر، وهو ما كان قريباً من البحر.

وأهل الحجاز يسمُّون ما كان قريباً من البحر عراقاً، كما يسمُّون هاهنا السِّيف، جمعها أسياف، وهو ما قرب من

(١) يبدو أن الخبر كناية عن كثرة ما اشتهر به ذلك الرجل من كثرة الأكل!
(٢) هلال بن الأسعر المازني من شعراء الدولة الأموية. كان فارساً شجاعاً, وكان قوي البدن أكولاً, عُمِّر عمراً طويلاً.

البحر.

● أنشد أبو العباس ثعلب:

يقولـون لا تُنـزِف دموعـك بالبكـا فقلـتُ: وهـل للعاشـقين دمـوعُ؟
لـئن كـان قـد بقَّـى ليَ الحـبُّ دمعـةً فـإني إذاً مـن عاشـقٍ لمـُضِيْعُ
أظـنُّ دمـوعَ العـينِ تـذهبُ باطنـاً إلى القلب حتى انصاعَ وهو صديعُ
وقـد تجـدُ العـينُ الشـقيَّةُ بالبُكـا رَواحـاً فتُـذري الـدمعَ وهـي جَـزُوعُ
وتَحْمُـد أخـرى والفـؤاد مدلَّـهٌ بـه مـن دواعـيَ مـا يُكِـنُّ صُـدوعُ

● إذا تزوَّج الأعجميُّ بالعربية فولدهما يسمَّى المذرَّع.

والفَلَنْقَس: الذي جدَّتاه من قِبَل أبيه وأمه عجميتان.

● الزنى مأخوذٌ من زنأ الرجل في الجبل (أي الصعود فيه). ويقال: زنأ الرَّجل: إذا غلط الطريق.

● التحيَّات: البقاء والمُلك.

● قال الطوَّال[1]: كنتُ عند الفرَّاء، فسألته عن مسألة فسَّرها لي وقال: أفهمت؟ فقلت: لا.

فأعادها وبيَّنها عند نفسه وقال: أفهمت؟ فقلت: لا.

فقال: أفلي ذنب؟ فقلت: لا، الذنبُ لي.

* * *

(١) محمد بن أحمد الطوَّال, من مشاهير أصحاب الفَرَّاء, كان حاذقاً بالعربية.

محاضرات الأدباء

ومحاورات الشعراء والبلغاء[1]

للراغب الأصبهاني

قيل: العقلُ بلا أدبٍ فقرٌ، والأدبُ بغيرِ عقلٍ حَتْفٌ.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء / لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني. — بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت، ٤جـ في ٢ مج.
والكتاب موسوعة ضخمة في الآداب والمعارف، ذكر المؤلف أنه ضمّنه "طرَفاً من الأبيات الرائعة، والأخبار الشائقة.. وأنه ظَرْفٌ مُلئ طُرَفاً، ووعاء حُشي جداً وسُخفاً، من شاء وجد منه ناسكاً يعظه ويبكيه، ومن شاء صادف منه فاتكاً (أي ماجناً أو ماهراً) يضحكه ويلهيه.. وأول من يصرف همته إلى مراعاة مثل هذا الكتاب مَن تحلَّى بطَرَفٍ من الآداب، فيصير به طليق اللسان، ذليق البيان.. وقد تحريت فيما أخرجته من كل باب غاية الاختصار والاقتصاد، وأعفيته من الإكثار والإهذار، لئلا تعاف ممارسته ومدارسته، لكن عَظُمَ هذا الكتاب بعض العظم لكثرة فصوله وتحقيق تفاصيله. وقد جعلت ذلك حدوداً أو فصولاً وأبواباً..."، حيث جعلها في خمسة وعشرين حداً، هي:
العقل والعلم والجهل وما يتعلق بها، الإنصاف والظلم والحلم والعفو والعقاب والعداوة والحسد والتواضع والتكبر، النصرة والأخلاق والمزح والحياء والأمانة والخيانة والرفعة والنذالة، الأبوة والبنوة ومدحهما وذمهما والأقارب، الشكر والمدح والذم والاغتياب والأدعية والتهنئة والهدية،==

● عاقل بلا أدب، كشجاع بلا سلاح! [1]

● كلُّ شيء إذا كثر رخص إلا العقل، فإنه كلما كثر كان أغلى، ولو بيع لما اشتراه إلا العاقل، لمعرفته بفضله.

● قيل لبُهلول: عُدَّ لنا المجانين!

فقال: هذا يطول! ولكني أعدُّ العقلاء!!

● قال الجاحظ: لا تجالس الحمقَى، فإنه يعلق بك من مجالستهم من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهراً من الصلاح، فإن الفساد أشدُّ التحاماً بالطِّباع.

= الهمم والجد والآمال، الصناعات والمكاسب والتقلب والغنى والفقر، العطاء والاستعطاء، الأطعمة والأكلة والقِرى وأوصاف الأطعمة، الشرب والشراب وأحوالهما وآلاتهما، الإخوانيات، الغزل ومتعلقاته، الشجاعة وما يتعلق بها، التزوج والأزواج والطلاق والعفة والتديث، المجونات والسخف، خلق الناس وأسماؤهم، الملابس والفرش، ذم الدنيا وانكشاف النوب، الديانات والعبادات، الموت وأحواله، الأسماء والأزمنة والأمكنة والمياه والأشجار والنيران، الملائكة والجن، الحيوانات، فنون مختلفة.

ونظراً لضخامته فقد آثرتُ عرضه في حلقتين من هذه السلسلة لئلا يملَّ القارئ، وهو في هذا القسم حتى نهاية الحد الثالث عشر: في الغزل وما يتعلق به.

والمؤلف أديب معروف، من الحكماء العلماء، من أهل أصبهان، سكن بغداد واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، وهو صاحب المفردات في غريب القرآن وغيره، مثل الذريعة إلى مكارم الشريعة، وجامع التفاسير، وأفانين البلاغة... ت ٥٠٢هـ.

● كان ابن المقفع والخليل الفراهيدي يحبّان أن يجتمعا، فاتفق التقاؤهما، فاجتمعا ثلاثة أيام يتحاوران، فقيل لابن المقفع: كيف رأيته؟ فقال: وجدتُ رجلاً عقله زائدٌ على علمه!

وسئل الخليل عنه فقال: وجدتُ رجلاً علمه فوق عقله!

قال بعض العلماء: صدقا، فإن الخليل مات حتف أنفه في خُصٍّ وهو أزهد خلق الله، وتعاطَى ابنُ المقفَّع ما كان مستغنياً عنه حتى قُتل أسوأ قتلة!

● قال الجنيد: لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتُها، فإن لها خدائع، وإن سكنتَ إليها كنتَ مخدوعاً.

● قال رجلٌ لمسعر بن كدام: أتحبُّ أن تُهدى إليك عيوبك؟

فقال: أما من ناصحٍ فنعم، وأما من شامتٍ فلا!

● قال معاوية لعمرو بن العاص – رضي الله عنهما –: ما بلغ من دهائك؟

قال: ما دخلتُ في أمر إلا عرفتُ كيف الخروجُ منه!

فقال: لكني ما دخلتُ في أمر قط وأردتُ الخروج منه.

● مَن لم ينظر في العواقب؛ تعرَّض لحادثات النوائب.

● مرَّ الشعبيُّ بإبل قد فشا فيها الجَرَب، فقال لصاحبها: أما تداوي إبلك؟

فقال: إن لنا عجوزاً نتَّكل على دعائها.

فقال: اجعل مع دعائها شيئًا من القطران.

● وقال الشاعر:

والمـرءُ تلقــاه مضــياعاً لفرصــته حـتى إذا فـات أمـرٌ عاتـبَ القـدرا

● قال أبو عبيدة بن الجراح لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أينفع الحذر من القدر؟

فقال: لسنا مما هناك في شيء، إن الله لا يأمر بما لا ينفع، ولا ينهى عما لا يضرّ، وقد قال تعالى: ↓ ❐◆••
⇗🖃↗▤③🔊⑨⇙③❐🕯🔊🖃 ☎✂❑→◑▫🖬➔✍⇗🖃↗▤③🔊⑨⇙③❐🕯🔊🖃 ☎✂❑→◑▫🖬➔✍
◑🔊🖫■❼ ○✂〰◉☺✸⬀🖬➔▤⬧◘🔊 ↑ [1]،
وقال تعالى: ↓ ❀➔❶↗❐✂☎ ❍🔊❶⬁❻◆🖹→⬀☠ ↑ [2].

● قيل لبعضهم: ما الدهاء؟ قال: قتل العدوِّ في لطف!

● استشرْ عدوَّك تعرفْ مقدارَ عداوته.

---

(١) سورة البقرة, الآية ١٩٥.

(٢) سورة النساء, الآية ٧١.

● شرف الحسب يحتاج إلى شرف الأدب، وشرف الأدب مستغنٍ عن شرف الحسب.

● وقال الأحنف: من لم يكن له علمٌ ولا أدب، لم يكن له حسبٌ ولا نسب.

● قال عبدالملك: اطلبوا معيشةً لا يقدر سلطان جائر على غصبها. قيل: ما هي؟ قال: الأدب!

● من لم يفد بالأدب مالاً، استفاد به جمالاً.

● قيل للنوفلي: ما بلغ من شهوتك للعلم؟

قال: إذا نشطتُ فلذَّتي، وإذا اغتممتُ فسلوتي.

● العلم يهتف بالعمل، فإنه أجابه وإلا ارتحل!

● النوادرُ تفتح الآذان، وتنبِّه الأذهان.

● من ألَّف فقد استهدف، فإن أحسنَ فقد استشرف، وإن أساء فقد استقذف.

● قال إبليس: ثلاثٌ من كنَّ فيه أدركتُ حاجتي منه: من استكثر علمَهُ، ونسيَ ذنبه، وأُعجب برأيه.

● قيل: هلاكُ العلماء بحسدهم.

● قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: لا تقبلوا قولَ العلماء بعضهم على بعض، فإنهم يتغايرون ويتحاسدون.

● علمٌ أوضحَ لَبْساً، خيرٌ من مالٍ أغنَى نفساً.

● قال المسيح عليه السلام: لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم.

● حُكي أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بني أمية يقول لهم: ما أشدُّ ما مرَّ بكم في هذا الحبس؟ فقالوا: ما فقدنا من تأديب أولادنا.

● سمع الحسن البصري رجلاً يقول: العلم في الصغر كالنقش في الحجر؛ فقال: الكبير أوفر عقلاً منه، لكنه أشغلُ قلباً.

● قيل لأنوشروان: أيحسنُ بالشيخ أن يتعلم؟

قال: إن كانت الجهالة تقبح منه، فالتعلم يحسنُ به.

فقيل: وإلى متى يحسن منه؟

فقال: ما حسنتْ به الحياة.

● قيل: انظروا في العلم بالليل، فالقلبُ بالنهار طائر، وبالليل ساكن!

● قيل: لا خيرَ في علم لا يعبرُ معك الوادي، ولا يعمرُ بك النادي.

● قال سقراط: ما بنَتْهُ الأقلامُ، لم تطمع في مَحْوِه الأيامُ.

● قيل: اكتبوا ما تسمعونه من الحكم، ولو في بياض النواظر بأطراف الخناجر!

● سُئل رجلٌ عن شيء فقال: لا أدري، ولا أدري نصف العلم. فقيل له: لكنه النصفُ الأخسّ.

● قال الخليل: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلَّكَ، ثم أنت في إعطائه إياك بعضَهُ مع إعطائك إياهُ لك على خطر!

● وقال أرسطاطاليس: طالب العلم كالغائص في البحر، لا يصل إلى الجواهر الكريمة إلا بالمخاطرة العظيمة.

● الشَّرَهُ في المال دناءة، وفي العلم نباهة.

● كلُّ إناء يُفْرَغُ فيه شيء يضيقُ، إلا القلب، فإنه كلما أُفرِغ فيه علمٌ اتَّسع.

● قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: العلمُ كثيرٌ فارعوا أحسنه، أما سمعتم قول الله تعالى: ↓ ▫♦⌛⌑♏ ❸⬁ ⬀ ♦×⇦🖮♦⑩🖮 🖮⇱

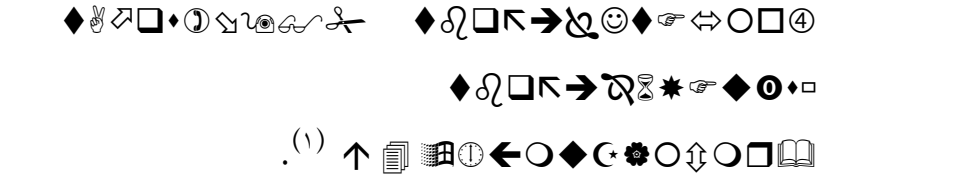

● قال يحيى بن خالد البرمكي: انتقِ من كلِّ علم طرفاً، فمن جهل شيئاً عاداه، وأكرهُ أن تكون عدوَّ الشيءِ من الآداب.

● وقيل: إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد فنّاً واحداً، وإذا أردت أن تكون أديباً فخذ طرفاً من كل فنّ.

● قال مؤدِّبُ يزيد بن عبدالملك له: لِمَ لحنتَ؟

فقال: الجوادُ يعثر.

فقال المؤدِّب: إي والله، ويُضرَبُ حتى يستقيم.

فقال يزيد: وربما يرمحُ سائسهُ فيكسرُ أنفه!

● ويروى عن ابن السكيت قوله: أُحضرتُ لأُتَّخَذَ مؤدِّباً للمعتزِّ بالله، فقلت له: بأي شيء نبدأ؟ فقال: بالخروج. فقلت: نعم. فعدا من بين يدي وعثر على المرمر، فقال:

يمـوتُ الفـتى مـن عثـرةٍ بلسـانه وليس يموتُ المرءُ من عثرةِ الرِّجْلِ

(١) سورة الزمر, الآيتان ١٧ – ١٨.

فقلت للمتوكل: جئتم بي لتأديبه وهو آدب مني. فأمر لي بعشرة آلاف درهم!

● قيل لأبي عمرو بن العلاء: لِمَ كانت العربُ تُطيل؟ قال: ليُسمع منها. قيل: فلِمَ توجز؟ قال: ليُحفظ عنها.

● أمر يحيى بن خالد كاتبين أن يكتبا في معنى، فأوجز أحدهما، وأطال الآخر.

فقال للموجز لما نظرَ في كتابه: لم أجد موضعَ مزيد، وقال للمطيل: لم أجد موضعَ نقصان!

● تكلَّم المأمونُ بكلام حسن في مسألةٍ، ثم قال لبعض ندمائه: كيف كان الكلامُ في هذه المسألة؟

قال: كان والله كغيثٍ وقع على أرض عطشة.

فقال: جوابك هذا أحلى لديَّ من الأمن بعد الخوف!

● قال أبو الأسود الدؤلي لابنه: يا بني، إذا كنتَ في قوم فلا تتكلم بكلامِ مَن لم يبلغه سنُّكَ فيستثقلوك، ولا بكلام من هو دونك فيستحقروك.

● قال معاوية لعمرو بن العاص: أنا آدبُ منك!

فقال: أنت للرؤية وأنا للبديهة، وبينهما بون.

● تكلم ابن ثوابة، ثم غلط في آخره، فقال أبو العيناء: ترفعتَ حتى خفتُكَ، ثم تخَفَّضْتَ حتى عفتُك.

● قال الجاحظ: طلبتُ بعض أصدقائي في داره فلم أجده، فقلتُ لجاريته: إذا حضر صاحبك فقولي له إن الجاحظَ كان بالباب.

قالت: نعم، الجاحد بالباب.

قلت: قولي: الحَدَقي.

قالت: الحَلَقي.

فقلتُ: عليكِ بالأول.

● قال رجل لأبي العيناء: أتأمر بشيئاً؟

فقال: نعم، بتقوى الله، وحذف الألف من "شيئاً".

● قصد رجلٌ الحجّاجَ فأنشده:

أبا هشـــــام ببابـــــك قــد شــمَّ ريــحَ كبابــك

فقال: ويحك! لِمَ نصبت "أبا" هشام؟

فقال: الكنيةُ كنيتي، إن شئتُ رفعتُها وإن شئتُ نصبتُها!

● قدم رجلٌ على زياد فقال: إن أبونا مات، وأخينا وثب

على مال أبانا فضيَّعه.

فقال زياد: الذي ضيَّعتَه من لسانك أضرُّ عليك مما ضيَّعه أخوك من مالك.

● مرَّ عثمان برماة يسيؤون الرمي، فقال: ما أسوأ رميكم!

فقال بعضهم: نحن متعلمين.

فقال: كلامكم أسوأ من رميكم!

● دخل الخليل الفراهيدي على مريضٍ نحوي وعنده أخٌ له، فقال للمريض: افتح عيناك، وحرِّك شفتاك، فإن أبو محمد جالس.

فقال الخليل: أرى أن أكثر علةِ أخيك من كلامك.

● وسمع الأعمشُ إنساناً يلحن فقال: من هذا الذي يتكلم وقلبي منه يتألم؟!

● اختصمَ رجلان إلى سعيد بن المسيب في النطق والصمت أيهما أفضل، فقال: بماذا أبينُ لكما؟ قالوا: بالبيان. فقال: إذاً الفضلُ له.

● قال إياس لخالد بن صفوان: لا ينبغي أن نجتمعَ في منزلك، لأنك تحبُّ أن لا تسكت، وأنا أحبُّ أن لا أسمع.

● قيل لحذيفة: لِمَ أطلتَ سَجْنَ لسانك؟ فقال: لأنه غير مأمون الضرر إذا أُطلِق!

● مرَّ ببهرام طائرٌ بالليل، فصاح، فرماه بسهم فأصابه، ثم قال: لو سكت الطائرُ لكان خيراً له.

● قيل: لا تُطعم طعامك من لا يشتهيه.

● قيل لأعرابي: لِمَ لا تتكلم؟ فقال: حظُّ لسانِ الرجلِ لغيره، وحظُّ سمعهِ له.

● قيل: لا تدفع الباطل بالغلبة إذا أمكنك أن تدفعه بالحجَّة.

● كان أبو الشمَّر إذا ناظرَ لم يحرِّك يديه ولا رأسه ولا منكبيه، حتى كأن كلامه يخرجُ من صدعِ صخرة!

● قال ابن أبي الطاهر في بعضهم:

يفــرُّ مــن المــُناظِرِ إن أتاهُ ويرمــي مَــنْ رمــاهُ مــن بعيــدِ

● قال مسهر: سألت مالكاً عن شيء فقال: لا تسألني عما لا تريد فتنسى ما تريد!

● قيل: لا يميل إلى الجلبةِ واللجاج، إلا من عجز عن الغلبةِ بالحِجاج.

● قال عمر بن عبد العزيز لرجل كان يكثر الصياح والجلبة: اخفضِ الصوت، فلو نيلَ خيرٌ برفع الصوت لأدركه الحميرُ والكلاب.

● قيل: كثرةُ الخلاف حرب، وكثرةُ الموافقة غشّ.

● قال أبو يعقوب الخطابي لجلسائه: إنما اجتمعتم للأدب، لا لجِوار ولا نسب، فوفُّوه حقَّه، ولا تثلبوا أحداً.. وإياكم والمراء..

● قيل: لا تؤاخِ شاعراً، فإنه يمدحك بثمن، ويهجوك مجاناً!

● سُئل بعضهم: من أشعرُ العرب؟

فقال: امرؤ القيس إذا ركب، والأعشى إذا طرب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب.

● أنشد رجلٌ شعراً، فقال لصاحبه: كيف تراه؟

فقال: سُكَّر لا حلاوة له.

● قال الشاعر:

لا تعرضنَّ الشعرَ ما لم يكن علمك في أبحرهِ بحرا
فلا يزال المرءُ في فسحةٍ من عقله ما لم يقلْ شعرا

● قيل لنُصيب: إنك لا تحسن الهجاء؟

فقال: رأيتُ الناس ثلاثةَ رجال:

- رجلاً لم أسأله فلا ينبغي أن أهجوَه.

- ورجلاً سألته فمنحني وهو الممدوح.

- ورجلاً سألته فلم يعط، فنفسي أحقُّ بالهجاء إذ سوَّلتْ لي أن أسأله.

● عرض رجل على ابن الجلاب قصيدة للمتنبي وادَّعى أنه قالها. فقال ابن الجلاب: هذه للمتنبي.

فقال الرجل: هي قصيدتي ومسوَّدتها عندي.

فقال ابن الجلاب: فمبيضتها للمتنبي عندي!

● قالت مليكة بنت الحُطيئة: يا أبت كنتَ ترغبُ عن القصار فصرتَ ترغبُ فيها؟

فقال: لأنها في الآذان أولج، وعلى الفكر أروج، والناسُ إليها أحوج!

● قال بعضهم: إذا مدحتم فأقصروا، وإذا هجوتم فأطيلوا، فالشرُّ لا يُمَلُّ!!

● قال عبد الملك لعدي بن أرطاة: لِمَ لا تقول الشعر؟

فقال: كيف أقوله وأنا لا أشرب ولا أطرب ولا أغضب!

● قال الفرزدق: ربما أتت عليَّ ساعة وقلعُ الضرس أهونُ عليَّ من قول بيت!

● استأذن الغالبيُّ على عبَّاد، فأذن له، فأنشده:

لمـــَّا أنخنـــا بالـــوزيرِ ركابنـــا مستعصـــمين بجـــوده أعطـــانا
مـــن لم يـــزل للنـــاس غيثـــاً ممرَّعـــاً متخرِّقـــــاً في جـــــوده...

وأُنسيَ القافية! فجعل يردِّد، فقال عباد: قل: كشحانا.. أو قرنانا.. وخلِّصني!

فتذكَّر وقال: في جودهِ معوانا.

● قال رجل لمنادٍ: يا صاحب المسح تبيعُ المسحا؟

فقال صاحبه: تعال إن كنتَ تريدُ الرِّبْحا.

فسمع أبو العتاهية ذلك فقال: قد قالا شعراً وهما لا يدريان!

● قال الجاحظ: يقال للشاعر المجيد فحل، ولمن دونه

مفلِّق، ثم شاعر، ثم شويعر، ثم شعرور.

● قيل: الشِّعر أكثرُ من الكلام البليغ، فقد تجد عشرة آلاف شاعر ولا تجد خطيباً!

● كتب بعضُ الكتَّاب كتاباً وإلى جنبه رجلٌ يتطلَّع، فكتب فيه: ولولا أن الطفيلي فلاناً يتطلَّع عليَّ فيما أكتبه لشرحتُ كثيراً مما في قلبي!

فقال الرجل: يا سيدي ما كنتُ أتطلع عليك.

فقال: يا بغيض، فإذاً من أين علمتَ ما كتبتُ فيه عنك؟!

● قال محمد بن علي في تفضيل القلم على السيف:

في كفِّه صارم لانتْ مضاربُه يسوسنا رغباً إن شاء أو رهبا
السيفُ والرمحُ خُدَّامٌ له أبداً لا يبلغان به جداً ولا لعبا
فما رأينا مداداً قبل ذاك دماً ولا رأينا حُساماً قبل ذا قصبا

● وقال بعضهم في الإشادة بالقلم: القلم يزفُّ بناتِ القلوب إلى خدور الكتب!

● قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيتُ أحداً في يده دفتر وصاحبه فارغ اليد، إلا اعتقدتُ أنه أعقلُ وأفضلُ من صاحبه!

● كان عبدالله بن عبدالعزيز يلزم أبداً المقابر ومعه شيء

من الدفاتر، فقيل له في ذلك.

فقال: لم أرَ أوعظ من كتاب، وأسلمَ من الانفراد.

● قال رجل: أنا لا أكذب كذبةً بألف. فقال صاحبه: أما هذه فواحدةٌ بدرهم!

● قال سليمان بن سعد: لو صحبني رجل وقال: لا تشترط عليَّ إلا شرطاً واحداً، لقلت: لا تكذبني.

● قال يحيى بن خالد البرمكي: قد رأينا شاربَ خمرٍ قلع، ولصاً نزع، ولم نرَ كذاباً رجع!

● قيل: اجعل قول الكذّاب ريحاً لتستريح.

● قال رجل لصديق له: اكتم سري الذي أفشيته لك. فقال: كلا، لستُ أشغلُ قلبي بنجواك، ولا أجعل صدري خزانة شكواك، فيقلقني ما أقلقك، ويؤرقني ما أرقك، فتبيت بإفشائه مستريحاً، ويبيت بحرّه قلبي جريحاً!

● قال الشاعر الواعظ محمود الوراق:

رأيتُ صلاحَ المرءِ يصلُح أهلَه ويعديهم داءُ الفساد إذا فسَد

● قالت امرأة لرجل: إذا كان مكوك دقيق بدرهم ودانق، فكم يكون بأربعة دراهم؟

فلم يعرف الجواب، فقال: ممن اشتريتِ؟ قالت: من فلان. قال: اقنعي بما يعطيك فإنه ثقة!

● صعد أعرابي المنبر، فلما رأى الناس يرمقونه صعب عليه الكلام، فقال: رحم الله عبداً قصر من لفظه، ورشق الأرضَ بلحظه، ووعَى القول بحفظه.

● قال قيس بن عاصم لبنيه: إذا متُّ فسوِّدوا كباركم، ولا تسوِّدوا صغاركم فيَحْقِرَ الناسُ كباركم فتهانوا.

● قدم جماعةٌ من فارس إلى المهدي يشكون عاملهم، فقالوا للوزير: وليتَ علينا رجلاً إن كنتَ قد عرفتَهُ ووليتَهُ علينا فما خلق الله رعيةً أهونَ عليك منا، وإن كنتَ لم تعرفه فما هذا جزاءُ الملك وقد سلَّطك الله على سلطانه.

فدخل الوزير على المهدي، فأخبره، وخرج فقال: إن هذا رجلٌ كان له علينا حقٌّ فكافأناه.. ثم أمر بعزل ذلك العامل عنهم.

● قيل: لا حاجة في الأحمق وإن كان أميناً.

● أراد المأمون أن يشخص عبدالله بن طاهر إلى ناحية وقال له: استخلف. فأطرق، فقال له المأمون: ما لك تتفكر؟

فقال: إن استخلفتُ من يستقلُّ بخدمتك خفتُه، وإن استخلفتُ من أثقُ به لم آمن تقصيرَه.

فقال: استعمل من تثقُ به وأنا أقوّمه.

● قال أبو بكر في عمر – رضي الله عنهما – لما عهد له: إني استعملتُ عليكم عمر، فإن بَرَّ وعدل فذاك علمي به ورأيي فيه، وإن جار وبدَّل فلا علم لي بالغيب، والخيرَ أردتُ، ولكلِّ امرئ ما اكتسب ↓ ❐◆⓿🖂🖙◆➔⬀■🔒🏳❶

☎✂☑❑←☺■🔒⬧← ♦✖⇦🔍🔔⅄🖉🖙✂

🕮❐❽❶ 🖰↖⬧◑☪♦③ 🖯🔒■🔒⬧◑☪↖🖰 ♦♌❑🡄🖷🔍⬧◑☪♦③ 🖯🔒■🔒⬧◑☪↖🖰 ❶❽❐🕮

وتلطَّف بولدك.

● قال معاوية رضي الله عنه: أعطَونا سلطاناً وأعطيناهم أماناً، وأظهروا لنا طاعةً تحت حقد وأظهرنا لهم حِلماً تحت غضب!

● طاعةُ المحبة أفضلُ من طاعة الهيبة.

● كتب عامل إلى عمر بن عبد العزيز يقول: إن مدينتنا قد خربت. فقال: عمِّرها بالعدل، ونظِّفْ طرقها من الظلم، والسلام!

● قال بعضهم في ذمّ الفراغ: العطلة سكون، والحياة حركة، فإن استطعتَ أن تخرج من حيِّز الأمواتِ إلى حيِّز الأحياء فافعل.

● قيل لبعضهم: ما يمنعك من الإمارة؟

قال: حلاوةُ رضاعها، ومرارةُ فطامها.

● نظر الفضلُ بن مروان في رقاع الناس، فإذا رقعة فيها:

تعـزَّزْتَ يا فضـلَ بـنَ مـروان فـاعتبرْ فقبلك كان الفضلُ والفضلُ والفضلُ
ثلاثـــة أمـــلاك مضـــوا لســـبيلهم أبادهـــم الأقيـــادُ والحـــبسُ والقتـــلُ
وإنـك قـد أصـبحتَ في النـاس ظالمـاً ستودَى كمـا أودى الثلاثـةُ مـن قبـل

يعني الفضل بن يحيى، والفضل بن الربيع، والفضل بن سهل.

● قال جحظة البرمكي في تمني زوال مملكة خسيس:

سألتُ الله تعميراً طويلاً ليبهجني بخطبٍ يعتريكم
أخافُ بأن أموتَ وما أرتني صروفُ الدهرِ ما أهواهُ فيكم

● قال زياد: إن الأحنف قد بلغ من الشرف ما لا تنفع معه الولاية، ولا يضرُّه العزل!

● وردَ كتابُ صاحبِ أرمينيا على السفَّاح بأن الجند قد شغبوا ونهبوا، فكتب إليه: اعتزل أمرنا، فلو عدلتَ لم يشغبوا، ولو قربتَ لم ينهبوا.

● قيل لرجل زال ملكه: ما كان سببُ زوال ملكك؟

فقال: تدبير الأمر بالهوى، وتأخيرُ عمل اليوم إلى غد.

وقيل ذلك لآخر فقال: قلَّة التيقظ، واشتغالنا باللذات عن التفرُّغ، وثقتنا بعمالنا حتى ظلموا رعيتنا، فقلَّ دَخْلُنا، وبطلَ عطاءُ جندنا، فقلَّتْ طاعتهم لنا، فقَصَدنا الأعداء، فعجزنا عن مدافعتهم!

● قيل: من داخل السلطان، فيحتاج أن يدخل أعمى، ويخرج أخرس!

● حُكي أنه وُجد مكتوباً على باب: "إنما يرتفع الأمر على باب الملوك بالبذل والعقل والتثبت".

فكتب بعضهم تحته: من كان معه هذه الثلاثة فهو مستغنٍ

عن السلطان.

● وحُكي عن بعض البخلاء أنه سُئل: ما أمارتُك لقيامنا؟ قال: قَوْلي: يا غلام هاتِ الطعام!

● كان ابن شبرمة القاضي يقول: يا جارية هاتي غَدائي لأخرجَ إلى بلائي!

● قيل: لما مات عبد الرحمن بن أذينة ذُكر أبو قلابة للقضاء، فهرب حتى أتى الشام، فوافق ذلك عزل قاضيها! فهرب حتى أتى اليمامة!

فقيل له في ذلك فقال: ما وجدتُ مَثَلاً للقاضي إلا مثل رجلٍ سابح وقع في بحر، فكم عسى يَسْبَحُ حتى يغرق؟!

● أُتي المأمون برجل وجب عليه حدٌّ، فأمر بضربه، فقال: قتلتني. قال: الحقُّ قتلك.

قال: ارحمني. قال: لستُ بأرحم ممن أوجب الحدَّ عليك.

● تحاكمَ رجلان إلى قاضٍ، فأهدَى أحدهما إليه منارة[1]، والآخر بغلة. فرأى صاحب المنارة ضلعَ القاضي مع صاحبه، فأراد أن يذكِّر القاضي فقال: أمري أضوأُ عند القاضي من سراجٍ على منارةٍ عظيمة!

---

(١) يعني المِسْرجة.

ففطن القاضي لقوله فقال: اسكت! فإن البغلة رمحت المنارة فأطفأت نورها!

● قدم أديبٌ على أمير، فكتب رقعةً ودفعها إلى حاجبه ليوصلها وفيها:

إذا شئتَ سلَّمنا فكنَّا كريشة متى تلقها الأرواحُ في الجوِّ تذهبُ

فقال للحاجب: قل له: قد خففت جداً. فكتب رقعة أخرى وفيها:

وإن شئتَ سلَّمَنا وكنا كصخرةٍ متى تلقها في حومةِ الماء ترسبُ

فقال للحاجب: قل له: قد ثقلت جداً. فكتب أخرى وفيها:

وإن شئتَ سلَّمنا فكنا كراكبٍ متى يقضِ حقاً من لقائك يذهبُ

قال: أما هذا فنعم. وأذن له!

● قال علي رضي الله عنه: ما أحسنتُ إلى أحد قطُّ ولا أسأتُ إليه!

فرفع الناسُ رؤوسهم تعجباً! فقرأ: ↓ ⍟⍰⍜⍟⇗ 🕮❒❍⇳❍✿✡☛🡄⚐⇔ ⇔⚐🡄☛✡✿❍⇳❍❒🕮

☺☹☼🖷→❍🡅🗏↗🖃⇖ ☎ ⇗🖃↗🗏🡅❍→🖷☼☹☺

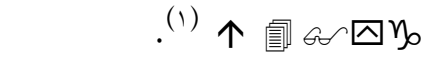
(١).

● سمع ابنُ عباس – رضي الله عنهما – كعباً يقول: من ظلم خرب بيتُه!

(٢).

● قيل في قوله تعالى:
(٣) أعظمُ تعزيةٍ للمظلوم، وأبلغُ تحذيرٍ للظالم.

● وقيل: إنما تندملُ من المظلوم جراحه، إذا انكسرَ من الظالم جناحه.

● قال الأحنف: كم جرعةً من الظلم تجرَّعتُها مخافة ما هو

---

(١) سورة الإسراء, الآية ٧.

(٢) سورة النمل, الآية ٥٢.

(٣) سورة إبراهيم, الآية ٤٢.

أعظمُ منها.

● قال يزيد بن معاوية لأبيه: هل ذممت عاقبة حِلْم؟

قال: ما حلمتُ عن لئيم وإن كان ولياً إلا أعقبني ندماً، ولا أقدمتُ على كريم وإن كان عدواً إلا أعقبني أسفاً!

● قال رجل من بني يشكر:

تعفو الملوكُ عن العظيم من الذنوب لفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها
لكن ليعرف فضلها ويُخاف شدة نكلها

● قال بعض أصحاب المأمون يوماً: إن عجيف بن عنبسة خبيث النية، رديء السريرة، وأراك قد قربتَ مجلسه؟ فقال: والله لأحسننَّ إليه ولأتفضَّلنَّ عليه حتى أكونَ أحبَّ الناس إليه!

فلم يزل يختصُّه حتى صار يبذلُ دونه مهجته!

● قيل: كلُّ عداوةٍ لِعِلَّةٍ فإنها تزول بزوال العلَّة، وكل عداوة لغير علَّة فإنها لا تزول!

● قال أبو العيناء: إذا أراد الله أن يسلِّط على عبدٍ عدوّاً لا يرحمه، سلَّط عليه حاسداً!

● سأل بعضُ الملوك جماعة من الحكماء عن أشدِّ ما يمرُّ

على الإنسان؟ فقال بعضهم: الفقر، وقال آخرون: الفقر في الغربة، وقال غيرهم: الغربة مع المرض، ثم أجمعوا على أن أشدَّ من ذلك كله شماتةُ العدوِّ، ثم أجمعوا على أن أشدَّ منه: رحمةُ العدوِّ للمرء من نكبةٍ تناولته.

● قيل لرجل: أتحسدُ فلاناً وهو يواليك ويكرمك؟ قال: نعم، حتى أصيرَ مثله أو يصير مثلي!

وقال المتنبي:

وأظلمُ أهل الأرض من باتَ حاسداً لمن باتَ في نعمائه يتقلَّبُ

● قال سقراط: الحسدُ يأكل الجسد.

● وقف الأحنف على قبر الحارث بن معاوية فقال: رحمك الله، كنتَ لا تحقر ضعيفاً، ولا تحسدُ شريفاً.

● لما فرغ جعفر بن يحيى البرمكي من بناء قصره، صار إليه وجوه أصحابه، وفيهم مؤنس بن عمران.. فاستحسنوهُ ومؤنس ساكت! فقال جعفر: لِمَ لا تَتَكلم؟ فقال: فيما قالوه كفاية. فألحَّ عليه أن يقول شيئاً! فقال مؤنس: أتصبر على الحقِّ والصدق؟ قال: نعم: فقال: إن خرجتَ ومررتَ بدارٍ لبعض أصحابك تشبهها أو تفوقها ما أنت قائل؟!

قال: قد فهمت، فما الرأي؟ فقال له: تأتي أميرَ المؤمنين هارون الرشيد وتقول: إني قد بنيتُ هذا القصر للمأمون، وأتبعه من الكلام ما أنت أعلم به.

فسأله الرشيد عن خبره، فقال له ذلك، وقال: إني استعلمتُ لكلِّ بيت من الفرش ما يليق به.

فزال عن قلب الرشيد ما خامره!

● اجتمعَ ثلاثة رجال، فقال أحدهم لصاحبه: ما بلغ حسدك؟

قال: ما اشتهيتُ أن أفعل بأحدٍ خيراً قط!

فقال الثاني: إنك رجل صالح، أنا ما اشتهيت أن يفعل أحدٌ بأحد خيراً قط!

فقال الثالث: ما في الأرض أفضلُ منكما، أنا ما اشتهيتُ أن يفعل بي أحدٌ خيراً قط!!

● قيل لأزدشير: ما الكِبْر؟ قال: اجتماع الرذائل.

● وقيل لبزرجمهر: هل تعرف نعمة لا يُحسَدُ عليها؟ قال: نعم، التواضع.

فقيل: هل تعرف بلاء لا يرحم صاحبه؟ قال: نعم، الكِبْر.

● قال عمر رضي الله عنه حين نظر إلى صفوان مبتذلاً: هذا رجلٌ يفرُّ من الشرفِ والشرفُ يتبعه.

● من نال منزلة فأبطرته دل على رداءةِ أصله وعنصره.

● نظر الحسن إلى رجل يخطرُ في ناحية المسجد فقال: انظروا إلى هذا! ليس فيه عضو إلا ولله عليه نعمة، وللشيطان فيه لعبة.

● قال ابن المقفَّع: الإفراط في التواضع يوجب المذلَّة، والإفراط في المؤانسة يوجبُ الإهانة.

● قال جعفر بن محمد: حسن الجوار عمارة الديار.

● وقيل: من آذى جاره خرَّبَ الله داره.

● كان أبو حنبل يقال له "مجير الجراد"، وذلك أنه نزل عليه جراد بفنائه، فعدا الحيُّ إليه، فقال لهم: إلى أين؟ قالوا: أردنا جيرانك جراداً نزلَ بفنائك. فقال: أما إذ سمَّيتموه جاري فلا تصلون إليه أبداً! فأمر قومه أن يسلُّوا سيوفهم ويمنعوه!

● قيل لبعضهم: لِمَ بعتَ دارك؟ قال: لأبيعَ جاري!

● قال الأوقص: قالت لي أمي: خُلقتَ خلقةً قبيحة لا تصلحُ معها لمجالسة الفتيان في بيوت القيان، فعليك بالأخلاق

التي ترفع الخسيسة وتتمُّ النقيصة. فنفعني الله تعالى بكلامها، فتعلمتُ العلم، فأدركتُ به.

● نظر فيلسوفٌ إلى رجل حسن الوجه، خبيث النفس، فقال: بيتٌ حسنٌ فيه ساكنٌ نذل!

● الناس في اختلافهم في خَلقهم كاختلافهم في خُلُقهم.

● قال الأحنف: لأن أُبتلى بألف جموحٍ لجوجٍ أحبُّ إليَّ من أن أُبتلى بمتلوِّن واحد.

● وقال: إذا لم تكن خائناً فبتْ آمناً.

● إذا ذهب الوفاءُ نزل البلاء!

● قيل لبعضهم: ما ظنك بالناس؟ قال: ظني بنفسي!

● قال رجل لسقراط: ذكرتُك عند فلان فلم يعرفك!

فقال: يضرُّه أن لا يعرفني، لأنه لا يجهل مكانَ ذي العلم إلا خسيس.

● قيل لحكيم: ما منفعةُ الولد؟ فقال: يُستعذب به العيش، ويَهون به الموت.

● ضُرب رجلٌ وطولبَ بمالٍ فلم يسمح به، فأُخذ ابنه وضُرب فجزع! فقيل له في ذلك فقال: ضُرب جلدي فصبرت،

وضُرب كبدي فلم أصبر.

● قال أرسطوطاليس: إذا كان الإنسان خسيسَ الأبوين شريفَ النفس كانت خسَّةُ أبويه زائدةً في شرفه، وإذا كان شريفَ الأبوين خسيسَ النفس كان شرفُ أبويه زائداً في خسَّته!!

● قيل: لئن يكون الرجل شريفَ النفس دنيء الأصل، أفضل من أن يكون دنيء النفس شريف الأصل. ألا ترى أن رأسَ الكلب خيرٌ من ذَنَب الأسد؟

● خطب أبو العذري إلى رجل من بني تميم ابنته فقال: لو كنتَ مثل أبيك زوَّجتُك.

فقال: لو كنتُ مثل أبي لم أخطبْ إليك!

● قيل لرجلٍ من الأعراب: ما أشبهت أباك؟

فقال: لو أُشبِهَ كلُّ رجلٍ أباه كنَّا كآدم!

● قيل لرجل: كان أبوك أقبح الناس خَلْقاً وأحسنهم خُلُقاً، وكانت أمك أحسن الناس وجهاً وأقبحهم خُلقاً، فأخذت قبحَ أبيك وسوء خُلق أمك، فيا جامعاً مساوئ أبويه!

● اصطنعَ كسرى أنوشروان رجلاً لم يكن له نسب، فقيل

له في ذلك فقال: اصطناعنا إياه نَسَبٌ له!

● من لم يشكر على حسن النية، لم يشكر على إسداء العطية.

● أُثني على زاهد فقال: لو عرفتَ مني ما عرفتُ من نفسي لأبغضتني.

● مدح ابن الرومي بعضَ الكُتَّاب بشعر، وتردَّد إليه طالباً جائزته، فدفع شعره إلى غلامه وقال: امدح غيري فلستُ أرغبُ فيه. فقال:

رددتَ عليَّ شعري بعد مطلٍ وقد دنست ملبسه الجديدا
وقلتَ امدحْ به من شئتَ غيري ومن ذا يقبل المدحَ الرديدا
وما للحيِّ في أكفان ميت لَبوسٌ بعدما امتلأت صديدا

● قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما تسابَّ اثنين إلا غَلَب ألأمهما.

● وقال حذيفة بن بدر لرجل: أيسرُّك أن تغلب شرَّ الناس؟ قال: نعم. قال: لن تغلبه حتى تكون شراً منه!

● مدح بعضُهم رجلاً فقال: ينزِّه مجالسهُ عن الغيبة، ومسامعهُ عن النميمة.

● ليس من سبيل إلى السلامة من ألسنةِ الناس، فانظر ما فيه صلاحك فالزمه.

● قال رجلٌ لآخر: أبلغْ فلاناً عني تحيةً، فقال: هديةٌ حسنة ومحملٌ خفيف.

● قال ابن المقفَّع: لا تكونَنَّ نزر الكلام والسلام، ولا تتهافتَنَّ بالبشاشة والهشاشة، فإن أحدهما كِبْر، والآخر سخف!

● قال أبو خرابة ليزيد بن المهلب: كيف الأمير؟ قال: كما تحب. فقال: لو كنتَ كذلك لكنتَ قائماً مقامي وكنتُ قاعداً محلك!

● قال رجل للأصمعي: مرحباً وأهلاً وسهلاً، فقال: أرحب الله بلدك، وأهل رحلك، وسهل أمرك.

● وقال رجل لخالد بن صفوان: مرحباً بك، فقال: رَحبت واديك، وعزَّ ناديك.

● قال سعيد بن المسيِّب: مرَّ بي صلة بن أشيم، فقلت: ادعُ لي. فقال لي: رغَّبَكَ الله فليما يبقى، وزهَّدك فيما يفنى، وأعاذك من سوءِ السيرة، وميتةٍ من غير عُدَّة...

● ثلاثة لا تُدرَكُ إلا برفع الهمَّة: عملُ السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو.

● قال أبو تمام:

ما ابيضَّ وجهُ المرءِ في طلب العلا حتى يُسوّدَ وجهه في البيدِ

● أجمع حكماء العرب والعجم أنه لم يُدرَكْ نعيمٌ بنعيمٍ قط، وما أُدرِكَ نعيمٌ إلا ببؤسٍ قبله.

● كان لأعرابيةٍ ابنٌ تحرّضُه على الإقامة والاقتصار على المطعم والمشرب، فأنشدها:

إذا ما الفتى لم يبغِ إلا لباسه ومطعمه فالخيرُ منه بعيدُ

● ما لزمَ أحدٌ الدَّعَةَ إلا ذَلَّ، وحبُّ الهوينى يكسب الذل، وحبُّ الكفاية مفتاح العجز.

● قال أبو دلف:

ليس المروءة أن تبيت منعماً وتظلَّ معتكفاً على الأقداحِ
ما للرجال وللتنعُّم إنما خُلقوا ليومٍ كريهةٍ وكفاحِ

● قيل: إذا أراد الله تعالى أن يزيل عن عبده نعمة، فأولُ ما يزيلُ عنه عقلَهُ.

● قيل لحكيم: ما الشيء الذي لا يستغني عنه المرءُ في كل حال؟ قال: التوفيق.

● الأملُ سلطانُ الشيطان على قلوب الغافلين.

● قال رجل لابن سيرين: رأيتني كأني أسبحُ في غير ماء، وأطيرُ بغير جناح. فقال: أنت رجلٌ تكثر الأماني.

● قال أبو تمام:

مـن كـان مرعـى عزمِـه وهمومـه روضُ الأمـانـي لم يـزلْ مهـزولا

● قيل لرجل: أيسرُّك أن يكون لكَ ألف درهم؟

قال: نعم، وأُضرَبَ مائة!

فقال: وضرب المائة لِمَهْ؟

قال: لأنه لا يكونُ شيء إلا بشيء!

● جلس ابن أبي عتيق ثم قال: ليتَ لنا لحماً فنطبخ سكباجاً!

فلما لبث أن جاء جارٌ له بصُحفة فقال: أعطونا قليلَ مرق!

فقال: إن جيراننا يشمُّون رائحةَ الأماني!

● قال الأشبح الصيدلاني: مرَّ بي دجل، فرأى قلةَ الناس عندي وكثرتهم عند غيري. فقال: أتريد أن تكثر مبايعتك ويحسن حالك؟ قلت: نعم. قال: اصدقْ واصبرْ سنة، فإن الصدق يستحيي لنفسه أن يبطئ عنك أكثر من سنة!

ففعلتُ، فكثر زحام الناس عند حانوتي، ثم مرَّ بي فرأى

كثرة الناس عندي فقال: احذر ولا تتكلْ على ما وهمتهم من الصدق فتدعوك نفسُك إلى ضعف ربحك اليوم، فإنك إن عدتَ إلى الكذب عادَ عليك الكساد.

فلم أزل قابلاً لوصيته، ثم مرَّ بي بعد سنيّات فقال: قليلُ الربح مع كثرة الحُرفاء أربحُ من كثيرِهِ مع قلة الحرفاء.

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل: ما معيشتك؟ قال: رزق الله. فقال: لكل رزقٍ سبب، فما سببُ رزقك؟

● قال حكيم: لا تُفرغ قلبك من ذكر، ولا ولدك من شغل، فالقلب الفارغ يبحث عن السوء، واليد الفارغةُ تنازع إلى الإثم.

● قال معاوية رضي الله عنه: ما رأيتُ تبذيراً إلا وإلى جنبه حقٌّ مضيع.

● نظر أعرابي إلى دينار فقال: ما أصغر مرآك، وأكثر منافعك!

● كان من دعائهم: اللهم زهِّدنا في الدنيا ووسِّعها علينا، ولا تَزْوِها عنا وتُرَغِّبنا فيها.

● أخذ رجل بلجام عبدالملك، فقيل له: ما جرّأك؟ فقال: الجوع شجاع!

● قال شاعر:

وكـــان المـــال يأتينـــا فكنّـــا نبـــذِّره ولـــيس لنـــا عقـــولُ
فلمـــا أن تـــولَّى المـــالُ عنّـــا عقلنـا حـين لـيس لنـا فضـولُ

● لا يَبطر العاقلُ لمنزلة أصابها، كالجبل الذي لا تزلزله الرياح الشديدة؛ والسخيف تبطره أدنى منزلة، كالذي تحرِّكه أدنى الرياح!

● قيل لأحدهم: مَنِ الزاهد؟ قال: من لم يغلب الحرامُ صبرَه، ولا الحلالُ شكرَه.

● قال أبو الدرداء رضي الله عنه: أعوذُ بالله من تفرقة القلب. قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يكونَ للإنسان مالٌ في كلِّ واد!

● قيل لبعض الزهاد: أترضَى من الدنيا بما أنت فيه؟ فقال: ألا أدلك على من رضي بدون هذا؟

قال: نعم. قال: من رضي بالدنيا بدلاً من الآخرة!

● قيل لبزرجمهر: أي الناس أقلُّ هماً؟ فقال: ليس في الدنيا

إلا ومن هو مهموم، لكن أقلهم هماً أفضلهم رضاً، وأقنعهم بما قُسم.

● وسُئل عن الرزق فقال: إن كان قد قُسم فلا تعجل، وإن كان لم يُقسَم فلا تتعب!

● شكا رجل إلى الحسن البصري سوء الحال، وجعل يبكي، فقال الحسن: يا هذا، كلُّ هذا اهتماماً بأمر الدنيا؟ والله لو كانت الدنيا كلُّها لعبدٍ فسُلبها ما رأيتُها أهلاً لأن يُبْكَى عليها!

● قال محمد بن الحنفية: ما كرمتْ على أحد نفسُه إلا هانتْ عليه دنياهُ.

● الحرُّ عبدٌ إذا طمع، والعبدُ حرٌّ إذا قنع.

● لقي صاحبُ سلطانٍ فيلسوفاً يلتقط الحشيش ويأكله، فقال له: لو خدمتَ الملوك لم تحتج إلى أكل الحشيش، فقال: وأنت لو أكلت الحشيشَ لم تحتج إلى خدمة الملوك!

● حمل رجلٌ إلى إبراهيمَ بنِ أدهم شيئاً فقال: ألك مال؟ قال: نعم. قال: أتحبُّ أكثر منه؟ قال: شديداً.

قال: إنك فقير، وأنا لا أقبل الصلة إلا من غني!

● قيل: أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.

● قال الخليل الفراهيدي: لم يُرَ الرجلُ يجمعُ المال إلا لثلاثة أنفس، وهم أبغض خلق الله إليه: لزوجِ امرأته، وامرأةِ ابنه، وزوجِ ابنتهِ!

● قيل للمسيح عليه السلام: ما بال الشيوخ أحرص على الدنيا من الشبان؟

فقال: لأنهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشبان!

● من كثرتْ شهوته دامت هفوتُه.

● وصف أعرابيٌّ رجلاً فقال: هو بماله متَبَرّع، وعن مالِ غيرِه متورّع.

● أراد أحدهم أن يتصدَّق بمبلغ من المال، فأخذ يطوفُ في الأسواق، فإذا رأى فقيراً مستحقاً للإعطاء قال: لعلي أجد أفقرَ منه. فانتهى بالعشية إلى عريان محلوق الرأس في خربة، فقال في نفسه: لا أجد أفقرَ من هذا، فقال: يا فتى خذ هذا المال واستغنِ به. فقال: لا حاجة لي فيه. قال: أحبُّ أن تأخذه. قال: إن كان ولا بدَّ فثمَّ حجَّامٌ حلق رأسي ولم يكن معي شيء فادفعه إليه.

قال: فقصدتُ الحجّام، فامتنع من أخذه، فقلت: هو ألفُ دينار! فقال: ما حلقتُ رأسه إلا للثواب، فلا آخذ عليه أُجرة!

قال: فعدتُ وما وجدتُ أكرمَ منهما، وأهونَ مني!

● مرَّ الإسكندر ببلد كان مَلَكه سبعةُ ملوك من صلب واحد، ففنَوا، فقال لأهله: هل بقي من نسلِ الأملاك السبعة أحد؟ قالوا: نعم، رجلٌ يكون في المقابر!

فقصده وقال: ما دعاك إلى ملازمة المقابر؟

فقال: أردت أن أعزل عظامَ الملوكِ من عظام عبيدهم، فوجدتُ عظامهم سواء!

قال: فهل لك أن تتبعني فأحيي لك شرف آبائك إن كان لك همَّة؟

قال: إن همَّتي عظيمة إن كانت بغيتي عندك.

قال: وما بغيتك؟

قال: حياةٌ لا موت فيها، وشبابٌ لا هرم معه، وغنًى لا فقر بعده، وسرورٌ لا يغيّره مكروه.

فقال: لا أقدرُ على ذلك.

قال: فامضِ لشأنك ودعني أطلب بغيتي ممن عنده ذلك.

قال الإسكندر: هذا أحكمُ من رأيت!

● قيل لأبقراط: ما أفضل ما يقتني الإنسان؟

قال: الصديق المخلص.

● وقد أحسن الذي قال: إن الأخ الصالح خيرٌ لك من نفسك، لأن النفسَ أمَّارة بالسوء، والأخ لا يأمركَ إلا بالخير.

● قال بعضهم: الصديقُ الموافق خيرٌ من الشقيقِ المنافق.

● صحبة الاخيارِ تورث الخير، وصحبة الأشرارِ تورث الشر، كالريح إذا مرت على النتنِ حملت نتناً، وإذا مرت على الطيبِ حملت طيباً.

● قيل: كان بين حاتم طيّئ وبين أوس بن حارثة ألطف ما كان بين اثنين؛ فقال النعمان لجلسائه: لأفسدنَّ ما بينهما. فدخل على أوس وقال: إن حاتماً يزعم أنه أفضل منك، فقال: أبيت اللعن، صدق، ولو كنتُ أنا وأهلي وولدي لحاتم لوَهَبنا في يوم واحد!

وخرج فدخل على حاتم، فقال له مثل ذلك فقال: صدق، وأين أقعُ من أوس وله عشرة ذكور، أدناهم أفضل مني!

فقال النعمان: ما رأيتُ أفضلَ منكما!

● قال يموت بن مزرّع: سمعت أبي يقول: قرأتُ خمسين

ألف بيت، وما وقع لي مثل قوله:

وما أنا بالشيء الذي ليس نافعي ويغضبُ منه صاحبي قؤولُ

● قال لقمان الحكيم: إذا أردتَ مصاحبة رجل، فانظر: فإن كانت محاسنه أكثر، فارتبطه.

● قال الشاعر:

ولا تكُ ممن إن نأى عنه صاحبٌ فغاب عن العينين غاب عن القلبِ

● قيل لبعض الفضلاء: كم لك من صديق؟ قال: لا أعلم، لأن الدنيا مقبلة عليَّ، والأموال موجودةٌ لديَّ، وإنما أعرف ذلك لو ولَّت الدنيا.

● من علامة الصديق أن يكونَ لصديقه صدوقاً، ولعدوِّه عدواً.

● قال علي رضي الله عنه: شرُّ الإخوان من يُحتشم منه ويُتكلَّف له.

● وقال الجنيد: لا تصحبْ من تحتاجُ أن تكتمه ما يعرفُ الله منك.

● وقيل: قلَّ مَنْ يؤذيك إلا مَنْ تعرفُه!

● من عاشر الإخوان بالمكر، كافؤوه بالغدر.

● قال معاوية لكاتب له: عليك بصاحبك الأقدم، فإنك تجده على مودَّة واحدة وإن قدم العهد وبعدت الدار، وإياك وكلَّ مستحدث، فإنه يجري مع كلِّ ريح!

● قال رجلٌ لابن عباس رضي الله عنهما: ادعُ الله أن يغنيني عن الناس.

فقال: إن حوائج الناس يتصل بعضها كاتصال الأعضاء، فمتى يستغني المرء عن بعض جوارحه؟ ولكن قل: أغنني عن شرارِ الناس.

● قال بعض العرب: طلبتُ الراحة فلم أجد أروحَ لنفسي من تركها ما لا يعنيها، وتوحَّشتُ في البادية فلم أرَ أوحشَ من قرين السوء.

● قال بعضهم لعبد الله بن جعفر: إن فلاناً يقول إنه يحبني فبماذا أعلم صدقه؟

قال: امتحن قلبه بقلبك، فإن كنتَ تودُّه فإنه يَوَدُّك!

● وضيعٌ محبَّب خيرٌ من شريف مبغَض!

● قال يحيى بن خالد: إذا كرهتم الرجلَ من غير سوء أتاه إليكم فاحذروه، وإذا أحببتم الرجلَ من غير خيرٍ سبق منه إليكم فارجوه.

● قال عمر رضي الله عنه: إدمان اللقاء سببُ الجفاء.

● كان الأحنف مستنداً إلى سارية في المسجد وحده، فأقبل بعض إخوانه، فتنحَّى له عن مجلسه، فقال: يا أبا بحر، ما عندك من أحد، ولا مجلسك ضيق، فلِمَ تنحَّيتَ؟

قال: كرهتُ أن تظنَّ أني لم أهشَّ لزيارتك ومجيئك، فشكرتُ ذلك بأقرب ما حضرني من الإكرام.

● قيل لرجل: إن ابنك قد عشق؟

فقال: عذَّبَ قلبَهُ، وأبكى عينَه، وأطال سقمَهُ!

● قيل لبعض الصوفية: لِمَ تصفرُّ الشمسُ عند الغروب؟ قال: خوفاً من الفراق!

● قدم رجلٌ من الخوارج إلى عبدالملك ليقتله، فدخل على عبدالملك ابنٌ له صغير وهو يبكي لضرب معلِّمه، فقال الخارجيّ: دعوه يبكي، فهو أفتحُ لحزمه وأنفع لبصره.

فقال له عبدالملك: ما شغلك ما أنت فيه عن هذا؟!

فقال: ينبغي للمرء أن لا يشغله عن الخير شيء.

فعفا عنه!

* * *

المختار من نوادر الأخبار[1]

للمقَّري

سأل المهلب بن أبي صفرة ولده يزيد وهو صغير فقال له: يا بنيَّ ما أشدُّ البلاء؟

---

(١) المختار من نوادر الأخبار / لشمس الدين محمد بن محمد بن أحمد المقرئ [صح: المقَّري] الأنباري؛ حققه وهذبه محمد إبراهيم سليم. – القاهرة: مكتبة القرآن, ١٤١٤هـ, ١٢٧ص.

وفيه ألوان متنوعة مما تشتهيه النفس, ويقبل عليه القراء, ويتناقله المتأدبون والشعراء, إلى جانب أجوبة الأذكياء, وعبارات الفضلاء, وحِكَم الحكماء, وأخبار ساقها التضنيف, ونوادر جرّها التأليف, ليكون عوناً على المذاكرة, وتنبيهاً على حسن المفاكهة والمحاضرة.

قال في مقدمته: لما كنت مولعاً بمطالعة كتب المتأدبين, مشتغلاً بقراءة أخبار المتقدمين, وجدتُ أكثرها يشتمل على غثّ وسمين, فرغبتُ أن أجمع منها كتاباً مختصراً يشتمل على مستحسن الحكايات, ومستجود الروايات, فجمعت هذا الكتاب وحميتُه من الإكثار والإطناب, وجعلته فصولاً مترادفة, تشتمل على معان مختلفة.. ولعل من يُطالع فصوله ويفهم فصوله, أن يتخلق بخلق رضي, أو يتعلق بسبب زكي, أو يتشبّه بفعل مَرْضي, أو يتأدب بأدب سَنِيّ.. ا هـ.

والمؤلف من الفقهاء الأدباء المتصوفين, من علماء المالكية, ولد وتعلم بتلمسان, ثم ولي القضاء في مدينة فاس وحمدت سيرته. وهو جد المؤرخ الأديب صاحب "نفح الطيب".

وتضبط نسبته أحياناً بفتح الميم وسكون القاف, وهي لغة ثانية في اسم "مقَّر" البلدة التي نُسب إليها هو وحفيده, وهي من قرى زاب إفريقية. وله من الكتب أيضاً: القواعد, والحقائق والرقائق, وعمل من طب لمن حب, والتحف والطرف, ورحلة المتبتل.. ت ٧٥٨هـ.

فقال: معاداة العقلاء.

قال: فهل غيرُ ذلك يا بني؟

قال: نعم، مساءلة البخلاء!

قال: هل غير ذلك يا بني؟

قال: نعم، أمرُ اللؤماء على الكرماء!

● كان أبو يزيد البسطامي صغيراً، فاستيقظ من نومه ليلة، فرأى والده قائماً يصلي، فقال: يا أبت علِّمني كيف أتطهَّر وأصلِّي معك!

فقال أبوه: يا بنيّ ارقُد فإنك صغير!

فقال: يا أبت إذا كان يوم القيامة أقول لربي: قلتُ لأبي علمني كيف أتطهَّر وأصلِّي معك، فقال لي: ارقد فإنك صغير!

فقال أبوه: لا والله يا بنيّ. وعلَّمَه.. فكان يصلِّي معه!

● ورث عبد الملك بن الحرّ خمسين ألفاً، فبعث بها إلى إخوانه وقال: كنتُ أسأل لإخواني في صلاتي الجنة، أفأبخل اليوم عليهم بالدنيا؟!

● قيل: كانت خالة حاتم الطائي سخيّةً، لا تترك شيئاً إلا

جادت به، فحجرَ عليها إخوانها، حتى إذا ذاقت طعمَ الفقر والجوعِ ظنوا أنها قد وجدت ألمَ الضيق. فأطلقوها، ورفعوا لها صُرَّة فيها مال، فأتتها سائلة فقالت: دونك الصرَّة، لقد عضَّني الجوع بما لا أمنع بعده سائلاً أبداً!

● سُئل بعض الصوفية: لِمَ وُصف الله بخير الرازقين؟ فقال: لأنه إذا كُفِرَ به لم يقطعْ رزقه عن الكافر.

● مشى رجلٌ في ركاب يحيى بن خالد البرمكي وطلب منه حاجة، فقال له: يا هذا، إن حاجتك قد قُضيت فارجع! والله ما وقع غبارُ موكبي على لحيةِ رجلٍ إلا وجبَ له عليَّ حقٌّ لا أقدرُ أن أكافئه عليه ولو أعطيتُه ملءَ الأرض ذهباً!

● وذُكِرَ عن الفضل بن يحيى بن خالد أنه ركب في حَشَمِه بموكبه إلى الصيد حين علا النهار، ثم أمر فَضُرِبَت له المضارب، وأمر بالطعام فَقُدم بين يديه، فبينما هو يأكل إذا هو بأعرابي على ناقة قد أشرف، فلما نظر إلى تلك المضارب والجيش والجنائب والغلمان ما شكَّ أنه هارون الرشيد، فنزل عن ناقته وعقلها، ثم دنا وقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته!

فقال له الفضل: مَه، فقال: السلام عليك أيها الوزير،

فقال: مَهْ، فقال: السلام عليك أيها الأمير، فقال: قاربت. فأذن له فدنا وأكل.

فلما فرغ من الأكل قال له الفضل: من أي العرب؟ قال: من ربيعة، فقال: أين تريد؟ قال: إلى الفضل، فقد شاع ذكره في العرب وكَرَمه، فقصدته على الاسم والذكر بأبيات من الشعر، فقال: يا أخا العرب قد مالحناك[1] ووجبَ نصحك علينا، وأنا عارف بالفضل، فأنشدنا، فإن كان يصلحُ له وصلناك إليه، وإن لم يكن أعطيناك نفقةً توصلك إلى أهلك وأنت على جاهك، فأنشد هذه الأبيات:

ولـو قيـل للمعـروف: نادِ أخَـا العُـلَا لنادَى بأعلى الصوت يا فضلُ يا فضلُ

ولـو أمُّ طفـل مَضَّـها جـوعُ طفلهـا وغذتْه باسْم الفضلِ لاستعصمَ الطفْلُ

فقال الفضل: أحسنت إنهما لبيتان جيدان، ولكن إذا قال لك الفضل هذان بيتان لقيتهما من شعر العرب، وجئتنا لتخدعنا عن حاجتك؟ قال: أقول له: يأمر بإحضار كتاب فيه شعر فيفتحه، فأيَّ وزن وقافية اشتهى عملتُ عليها بيتين، فقال: يا غلمان أحضروا كتاباً فيه أشعار، فحضر، ففضَّه، فخرجت قصيدة ابن الجهم التي يقول فيها:

عيون المها بين الرُّصافة والجسر

فقال الفضل: هذا وزن سهل وقافية سهلة، فإن قال لك

(١) مالحه: واكله.

الفضل: أريد أن تعمل أربعة أبيات يكون في كل بيت منها اسم الفضل فما تصنع؟

فتفكر قليلاً وقال:

ولائمــة لامتــك يا فضــلُ في النــدى ... فقلت لها: وهل يقدح اللومُ في البحرِ؟!

أرادت لتثني الفضلَ عن عادَةِ النَّدى ... ومن ذا الذي يَثْني السحابَ عَنِ القَطْرِ

مواقِعُ جُودِ الفَضْلِ في كُلِّ بلدةٍ ... مواقع ماء المُزْنِ في البلَد القَفْرِ

كأن وفودَ الفضل حين تحمَّلُوا ... إلى الفضل وافَى عنده ليلةَ القدرِ

فقال: أحسنت يا أخا العرب، أنا الفضل، فنهض الأعرابي وقبل يده، وقال له الفضل: ما الذي أمَّلته مني؟

فقال له: ألفَ درهمٍ أستعينُ بها على حالي.

فقال: يا غلام، ادفع له ألفاً وألفاً وألفاً. ولم يزل يكررها حتى انقطع نَفَسُه.

فأحصى ذلك فكان ستة عشرَ ألفًا، فأخذها وانصرف.

- قال لقمان الحكيم لولده:

يا بني، أَخْلِص طاعةَ الله – عزَّ وجلَّ – حتى لا يخالطَها شيءٌ من معاصيه.

ثم زَيِّن طاعةَ الله – عزَّ وجلَّ – باتباع أهل الحقِّ بعلمٍ

محكم لا يخالطه سقط.

ثم اجمع عِلْمَك وحَصِّنه بحِلمٍ لا يخالطه شيء.

ثم أحرز حلمك بلينٍ لا يخالطه جهل.

ثم سَدِّدْ دِينَك بحزم لا يخالطه ضَيَاع.

ثم امزج حَزْمَك برفقٍ لا يُخالِطُهُ عنْف.

ثم قَوِّ رِفْقَك بفِقْهٍ لا يُخالطه عُسْر.

ثم أَكْمِلْ فِقْهَكَ بإيمانٍ لا يُخالِطه كفر.

ثم زَيِّن إيمانك بيقينٍ لا يخالطه شكّ.

ثم زَيِّن يقينَك بنصح لا يخالطه غِشّ.

ثم زَيِّن نُصْحَك بعمل لا يخالطه عجز.

ثم طيِّب عملَك بقَصدٍ لا يُخالطه فخر.

ثم أعنْ قصدك بكَيْسٍ لا يُخالطه ضعف.

ثم زَيِّن كيسك بإخلاصٍ لا يخالطه رياء.

ثم زيِّن إخلاصَك بصدقٍ لا يُخالطه كذب.

ثم زيِّنْ صِدْقَك بإحسانٍ لا يُخالطه فُحْش.

ثم زيّن إحسانَك بمعروف لا يُخالطه مُنْكَر.

ثم زيّن معروفَك بنَفَقَةٍ لا يُخالطها إسراف.

ثم زيّن نَفَقَتَك بإعطاء لا يُخالطه تبذير.

ثم زيّن إعطاءك بطيبٍ لا يخالطه مَنّ.

ثم استبق من الأخلاقِ الخالصة من أضدادها في استقامة، لا يردُّك عن ذلك رغبة ولا رهبة.

واتقِ أخلاقَ الأحمق في محاسنِ أمره، فكيف في مساوئه؟!

● روي عن عنبسة بن أبي سفيان أنه قال: زيَّنَنِي أبي وأرسلني إلى عمي عُتبة أخطبُ ابنته، فأتيته، فأقعدني في حُجره، وقال: مرحباً بأقرب قريب خَطب، وأحبِّ حبيب وَرَد، لا أستطيع له رَدّاً، ولا أجدُ من تَشَفُّعِه بُدّاً، يا بني، قد زوجتُكها وأنت أعزُّ عليَّ منها، وهي ألصقُ بقلبي منك؛ فأكرمها يعذبْ على لساني ذكرُك، ولا تُهِنْها فيصغَرَ عندي قدرُك، وقد قرَّبتك مع قرابتك، فلا تُباعِد قلبي من صِلَتِك!.

● أقبل المنصور يوماً راكباً، والفرج بن فضالة جالسٌ ومعه جماعة. فقام الناسُ كلُّهم وهو لم يقم!

فرآه المنصور، فاشتدَّ غضبه، ودعا به، فقال: ما منعك من

القيام مع الناس؟

قال: خفتُ أن يسألني الله تعالى لِمَ فعلتَ؟ ويسألك لِمَ رضيتَ؟ وقد كرهه النبي صلى الله عليه وسلم.

فسكت غضبُ المنصور وانشرح!

● أُتي عبدالملك بن مروان برجل من بني مخزوم، وكان من أصحاب ابن الزبير، فلما حضر بين يديه قال له عبدالملك: أليس الله قد ردَّك إلى بئس المَرَدِّ، ورجعَ بك إلى بئس المرجِع؟

قال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى ردَّني إليك، ورجع بي إلى مجلسك، فإن كان الله تعالى قد ردَّني إلى بئس المردِّ، وأرجعني إلى سوء المرجع، فأنت أخبرُ بنفسك!

فقال عبد الملك: أطلقوه. ثم أمرَ له بجائزة!

● قال الكلبي: لما أَفْضَتْ الخلافة لعمر بن عبد العزيز — رضي الله عنه — وفدت عليه الشعراء كما كانت تَفِدُ على الخلفاء قبله، فأقاموا ببابه أيَّاماً فلم يؤذن لهم في الدخول، حتى قدم عليه عَديُّ بن أرطاة — يعني على عمر بن عبدالعزيز — وكانت له منه مكانة، فتعرَّض له جرير وسأله أن يستأذنَ لهم، فقال عدي: نعم. فلما دخل عديٌّ على عمر قال له: يا أمير

المؤمنين إن الشعراء ببابك لهم أيام لا يؤذن لهم، وأقوالهم باقية، وسِهَامُهم مسنونة. فقال عمر: يا عدي ما لي وللشعراء؟

قال: يا أمير المؤمنين إن النبيَّ صلى الله عليه وسلم مُدح فأعطَى، وفيه أسوةٌ لكل مسلم، قال: ومن مدحه؟ قال: مدحه عباس بن مرداس السلمي فكساه حُلَّةً، وقال: يا بلال اقطع عني لسانَه، قال أو تروي قوله؟، قال: نعم.

قال عمر: قُلْ.

فأنشده هذه الأبيات بصوت رخيم:

رأيتُـــكَ يا خـــيرَ البريـــةِ كلِّهـــا نَشَـــرْتَ كتـــاباً جـــاء بالحـــق مُعْلَمـــا
سَـنَنْتَ لنـا فيـه الهـدى بعـد جَـوْرنا عـــن الحـــقِّ لمـــا أصـــبح الحـــقُّ مظلمـــا
ونـــوَّرتَ بالإســـلام مـــا كـــان مظلِمـــاً وأطفـــأت بالبرهـــان جَمْـــراً تضَـــرَّما
فَمَـــنْ مُبلـــغٌ عَـــنّي النـــبيَّ مُحمـــداً فكـلُّ امرئ يُجزى على كـلِّ مـا تَكلَّمـا
أقمـتَ سـبيلَ الحـقِّ بعـد اعوجاجـهِ وكـــان قـــديماً وجهُـــهُ قـــد تَهَـــدَّمَا
تعـــالى عُلـــوّاً فـــوق عَـــرْشٍ إلهـــنَا وكـــان جـــلالُ الله أعلـــى وأعظمـــا

قال عمر: صدقت!، فمن بالباب منهم؟!

قال عدي: يا أمير المؤمنين بالباب منهم ابنُ عمك عمر بن أبي ربيعة القرشي.

فقال عمر: لا قرَّبَ الله قرابته، ولا حَيّا وجهه، أليس هو القائل هذا:

فيـا ليـت أني يـوم تـدنو مَنِيَّـتي شَمِمْـتُ الـذي مـا بـين عَيْنَيْـكِ والفـمِ
ويا ليت سُلَيمَى في الممات ضَجِيعتي هنالـك في جنـة أو جهـنمِ

فليته – عدوَّ الله – تمناها في الدنيا، ثم يرجعُ إلى العمل الصالح. والله لا دخل عليَّ.

من بالباب غيره؟

قال: بالباب جميل بن معمر العذري.

قال: أليس هو القائل في قصيدة له:

ألا لَيْتَنـا نحيـا جميعـاً وإن نَمُـتْ يوافي لدى الموتَى ضريحي ضريحُها
فمـا أنا في طـولِ الحيـاة براغـبٍ إذا قيل قد سوِّي عليها صفيحُها
أظـلُّ نهـارِي لا أراهـا ويلتقـي مع الليل روحي في المنام وروحُها

اغْرُب عني به. فمن بالباب غيره؟

قال: بالباب كثيِّر عَزَّة.

قال: أليس هو القائل في قصيدة له هذا الكلام:

رُهْبـانُ مَـدْيَنَ والـذين عهـدتُهُمْ يَبْكـون مـن حَـذر العـذابِ قُعـودا
لـو يسـمعون كمـا سمعتُ حديثَهـا خـرُّوا لعَـزّةَ خَاشـعين سـجودا

عَدِّ عن ذكره[1]!. من بالباب غيره؟

قال: الأَحْوص الأنصاري، قال: أَبِعَدهُ اللهُ ومَحَقَه! أليس هو القائل في قصيدة له، وقد أفسد على رَجُلٍ جاريتَه بالمدينة حيث أَبِقَتْ من سيدها:

اللهُ بَيــني وبَــيْن سَــيِّدها يفــرُّ عــنّي بِهَــا وأتبــعُ

لا يدخل عليَّ. من بالباب غيره؟

قال: همام بن غالب الفرزرق. قال: أليس هو القائل في قصيدة له يفتخر بالزنا في هذين البيتين:

همــا دلَّتــاني مــن ثمــانين قامــة كما انْقَضَّ أَقْتَمُ الريش كاسِرُه
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا أَحَــيٌّ يُرَجَّــى أم قتيــلٌ نُحــاذره؟

قال: لا يدخل عليَّ.

وهذه قصيدة مشهورة للفرزدق، ذكر فيها أشياء أعرضتُ عن ذكرها.

قال: عمر: من بالباب غيره.

قال: الأخطل التَّغلبي.

---

(١) عدِّ من ذكره: اضرب صفحاً عنه وتجاهله.

قال: هو الكافر، إذ قال في شعره هذه الأبيات القبيحة:

فلستُ بصائم رمضانَ عُمْرِي ولستُ بآكلٍ لحمَ الأضاحي
ولكني سأَشربها شَمولاً وأسجد عند منْبَلَج الصّبَاحِ

والله لا وطئَ لي بساطاً أبداً وهو كافر!!. مَنْ بالباب غيره؟

قال: جرير بن الخَطفِي.

قال: أليس هو القائل في قصيدة له:

لولا مراقبةُ العُيونِ أريننا مُقَلَ المها وسَوَالِفَ الآرامِ
طرقتك صائدةُ القُلوبِ وليس ذا حِين الزّيارة فارجعي بسلامِ

فإن كان ولا بد فأْذن لجرير.

فخرج عديٌّ فأذن لجرير، فقال: ادخل أبا حرزة!

فدخل جرير وهو يقول هذه الأبيات الحسان بصوت حسن:

إن الذي بعث النبيَّ محمداً جعل الخلافةَ في الإمامِ العادلِ
وسعَ الخلائقَ عدلُه ووفاؤه حتى ارْعَوى وأقام مَيْلَ المائلِ
والله أنزل في القُرَانِ فريضةً لابن السبيلِ وللفقيرِ العائلِ
إني لأرجو منكَ خيراً عاجلاً والنفسُ مولَعَةٌ بحبِّ العاجل

قال: فلما حضر بين يديه قال: يا جرير؛ اتَّقِ اللهَ ولا تَقُلْ

إلا حَقّاً!، فقال جرير هذه الأبيات:

كـم باليمامـة مـن شـعَثاءَ أَرْمَلـةٍ ومـن يتـيمٍ ضـعيفِ الصـوتِ والنظـرِ
مِمَّـن يَعُـدُّك تكفِـي فَقْـدَ وَالـده كـالفَرْخِ في العُـشِّ لم يَـدْرُجْ ولَمْ يَطِـرِ
إنا لَنَرْجُـو إذا مـا الغيـثُ أخلَفَنـا مـن الخليفـة مـا نرجـو مـن المطـرِ

فقال: والله يا جرير ما يملك عمر سوى مائة درهم، يا غلام ادفعها له.

فدفع له حَلْيَ سيفه، فخرج جرير إلى الشعراء فقالوا له: ما وراءك؟!.

قال: رجل يُعطي الفقراء ويَمنَعُ الشعرَاء، وأنا عنه راضٍ!!.

● عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاةً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**ما بقي منها**"؟ قالت: ما بقي منها إلا كَتِفُها. قال: "**بقي كلُّها غيرَ كَتِفِها**".

رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

● قيل ليحيى بن خالد البرمكي: غيِّرْ حاجبك.

قال: ومن يعرفُ إخواني القدماء؟!

● قال المتوكل لأبي العيناء: ما أشدُّ ما مرَّ عليك في ذهاب بصرك؟

قال: فوتُ رؤيتك يا أمير المؤمنين.

فاستحسنها منه، وأمر له بجائزة!

● وقيل لأبي العيناء: ما بالُ الحمير إذا أحسَّت بالرجوع إلى مرابطها والقرب من دور أهلها أسرعت المشي وتركت البطء والتخابث، إلا حمارك يا أبا العيناء إذا قرب من دارك تخابثَ في المشي؟!

قال: لعلمه بسوء المنقلب!

● قال المبرد: أتى رجلٌ إلى عامل البصرة، وكان هذا العامل قد ولّاه المنصور الإجراء على القواعد من النساء اللاتي لا أزواجَ لهنّ، وعلى العميانِ والأيتام، فقال: أسألك أيها العامل أن تُثَبِّتَني مع القواعد من النساء.

قال: يا هذا أنت رجل والقواعد نساء!

قال: ففي العميان.

قال: فإني أراك بعينين.

قال: فثبِّت أولادي في الأيتام!

قال: كيف يكون أولادك أيتاماً وأنت تعيش لهم؟!.

قال: ومَرَّتِ الأيام، فإذا هو قد أثبته مع العميان، وأثبت أولاده مع الأيتام!

● قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لرجل: من سيِّدُ قومك؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: لو كنتَ كذلكَ لم تقله!

● وقال معاوية للحصين بن المنذر[1] – وكان يدخل عليه في آخر الناس–: ما الذي يبطء بك إلى آخر الناس، وأنت أحقُّ بالتقدُّمِ والدخولِ عليَّ؟

فقال منشداً:

وَكُلُّ خَفيفِ الشأنِ يَمْشِي مُشَمِّراً إذا فتح البَوّابُ بابَك إصبعا
ونحن جلوسٌ ماكثون رزانةً وحِلْماً إلى أن يُفْتَحَ البابُ أجمعا

فقال معاوية: إنك لحليمٌ رزين.

● سأل رجل فقيهاً عن الخمر أحلالٌ هي أم حرام؟ فقال له: حرام، قال الرجل: ما تقول في العنب والزبيب والتمر أحلالٌ هي أم حرام؟ فقال له: حلال، قال: فما تقول في

(١) فارس شاعر. كان معه راية علي يوم صفين, دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة. وكان من كبار التابعين.

السُّكَّر والقَند[1] والعسل؟ قال: حلال، قال: فأيُّ شيء حلَّل هذا وحرَّم هذا؟!

فقال الفقيه: أرأيتَ لو أخذتُ كفّاً من تراب، ولطمتُ به وجهك أو صدرك، أكان يُؤْلمك؟ قال: لا، قال: فلو أخذتُ كفّاً من تِبْن أكان يؤلمك؟ قال: لا، قال: فلو أخذتُ الترابَ والتِّبْنَ والماءَ فجمعتها وجَبَلْتها ووضعتها في الشمس أيَّاماً، ثم ضربتُ بها وجهك، أكان يؤلمك؟ قال: نعم، قال: وهكذا إذا جُمع هذا وعَتق حرم، وإذا جُمع هذا وعَتق آلم!

● كتب بعض علماء الإمام مالك – رضي الله عنه – للإمام الشافعي – رحمه الله –: يا إمام، لي خالةٌ وأنا خالها، ولي عمةٌ وأنا عم لها، فأما التي أنا عمٌّ لها فإنها التي أمه أمها وأبوها أخي وأخوها أبي على سنة قد جرى رسمها. وأما التي أنا خال لها فإن أبا الأم جَدٌّ لها، ولسنا مجوساً ولا مشركين، بل سنَّة الحق نأتَمُّها؛ فأين الإمام الذي عنده حِلُّها في التناكح، أو أين من يحملُ علماً يبيّن لنا كيف أنسابنا، ومن أين كان كذا حكمها؟

فكتب إليه الإمام: القائل لهذه المسألة رجل تزوجت جدته

(١) القند: عسل قصب السكر إذا جمد.

لأبيه – يعني أم أبيه – بأخيه لأمه، وتزوجت أخته لأبيه بأبي أمه، وأَوْلَدَاهما بنتاً وابناً، فبقيت جدَّته عمَّته وهو عمُّها، وبنت أخته خالته وهو خالها.

● تكلم شاب يَوماً في مجلس الشعبي، فقال الشعبي: ما سمعنا بهذا. فقال الشاب: أكلَّ العلمِ سمعت؟ قال: لا، قال: فشَطرَه؟ قال: لا، قال: فاجعل هذا في الشطرِ الذي لم تسمعه، فأُفْحِمَ الشعبي!

● حُكي أن رجلاً أضاف رجلاً، فبيَّته في داره، فانتبه صاحبُ الدار بالليل، فسمع ضحك الضَّيفِ من أعلى الدار! فصاح به: فلان، قال: لبيك، فقال له: إنك كنت أسفلَ الدار! قال: تدحرجتُ، فقال: الناس يتدحرجون من العلو إلى السُّفْل، فكيف تدحرجت أنت؟! قال: فمن هذا أضحك!!

● لما تزوج الحارث بن عوف الكندي الخنساء بنت ملجم، وكانت ذات حسن وجمال فائق، فلما زفَّت إليه أمسكتها أمُّها على باب المحمل، وقالت: أي بنيَّة، إن الوصية لو تُركت لفضلِ أدبٍ، أو جودةِ حسبٍ لتركتُها عندكِ، لما أعلمهُ من حُسْنِ أدبك، وفضل حسبك، وجودة عقلك.

أي بُنَيَّة، لو استغنتِ امرأةٌ عن زوجٍ لحاجةِ أبيها إليها لكنتِ أغنى الناسِ عنه، ولكنهنَّ للرجال خُلقن، كما أن الرجالَ لهنَّ خُلقوا، وإنكِ خرجتِ من العشِّ الذي كنتِ فيه درجتِ،

ومن البيت الذي فيه نشأتِ، إلى رجلٍ لم تعرفيه وقرينٍ لم تألفيه، فكوني له أَمةً يكنْ لكِ عبداً، واحفظي خصالاً منِّي لتبلغي بها أمراً وتنشري بها ذكراً.

يا بنيَّة، عليكِ بحسن الصُّحبة بالقناعة، والمعاشرةِ بالسمع والطاعة، ففي القناعة راحةٌ للقلب، وفي الطاعة رضَى الزوجِ والربّ، والتفقُّد لموضع عينه وأنفه؛ فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمُّ منك إلا أطيبَ ريح؛ واعلمي يا بنيَّة أن الكُحْل هو الحُسن الموجود، والماءَ هو أطيبُ الطيب المفقود. والرعايةِ لعياله والحفظ لمالِه. ورعايةُ مالهِ وعيالهِ حسنُ التدبير، وحفظُ مالهِ حسنُ التقديرِ. والتفقدِ لوقت طعامه، والهدوءِ وقتَ منامه، فإن حرَّ الجوع ملهب، وتنغيصَ النوم مُغضب، ولا تُفشينَّ له سرّاً، ولا تَعصينَّ له أمراً، فإنك إن أفشيتِ سرَّه لم تأمني غدره، وإن عصيتِ أمره أَحْرَجتِ صدره، ولا تُظهري الفرحَ إذا كان تَرِحاً، ولا الاكتئابَ إذا كان فرحاً، ولئن زديته إعظاماً زادك إكراماً، وآثري هواهُ على هواك!

وعندما زفَّت إليه حظيت عنده وولدت منه أربعة ملوك، وهم: شرحبيل، وحجر، ومسلمة، ومعدي كرب!

● قيل لجالينوس: لِمَ كان الرجل الثقيل أثقلَ من حملِ

الميت؟

قال: لأن حملَ الميتِ ثقلُه على الأرض، والرجلُ الثقيلُ ثقلُه على القلب!

* * *

مُعيد النِّعم
ومُبيد النِّقم[1]

للسبكي

ورد عليَّ سؤال مضمونه: هل من طريق لمن سُلِبَ نعمةً دينيةً أو دنيوية، لمن سلكها، عادت إليه ورُدَّت عليه؟

---

(١) معيد النعم ومبيد النقم / تاج الدين عبد الوهاب السبكي؛ حققه وضبطه وعلق عليه محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، محمد أبو العيون. — القاهرة: مكتبة الخانجي؛ بغداد: مكتبة المثنى، ١٣٦٧هـ، ١٧٩ص.
بنى المؤلف كتابه على ذكر ما يحفظ على الإنسان في هذه الحياة النعمة التي أسداها الله إليه، ويدفع عنه السوء والبأساء. ومردُّ ذلك إلى أن يقوم كل امرئ. بما يجب عليه، ويؤدي حق العمل الذي خصص نفسه به، ويراعي ما رسم الشرع في أمره، وقد استتبع ذلك أن يذكر الأعمال في عصره، والوظائف الديوانية وغيرها، ويفصِّل ما يطلب في كل عمل ووظيفة، ويذكر ما يقضي به الحكم الشرعي حتى يُفضي العمل إلى غايته الصحيحة، ويتكون مجتمع صالح في هذه الحياة. وقد أيده وأعانه على هذا سعة فقهه وخبرته بأحوال عصره، وشؤون الدولة وطبقات الناس، فقد ولي وظائف حساسة جعلته قريباً من الحكام وسواد الناس، وألمَّ بالمساوئ وسير العمال إلمام الخبير العليم. فهو مرجع للصلح الاجتماعي الذي يعنيه تقويم الشعوب وتثقيف اعوجاجهم.. ثم إنه اشتمل على عروض أدبية وفكاهية تعجب الأديب وتستهويه.
وقد سبق عرض كتاب شبيه به بعنوان "نقر الطالب لزغل المناصب" لابن طولون، الذي عرضناه في "كتب نادرة من التراث الإسلامي" من هذه السلسلة، الذي اعتمد فيه على "معيد النعم" اعتماداً كبيراً، ولذلك استغنينا عن إيراد معلومات كثيرة وردت هنا. ==

فكان الجواب: طريقُه أن يَعْرِفَ من أين أُتِيَ، فيتوبَ منه، وأن فيما امتُحن به فوائدُ فيرضَى بها، ويعقدُ النيةَ على أنه إن عادت إليه النعمة لم يعد إليه، ثم يتضرَّعُ إلى الله تعالى بالطريق التي نذكرها...

وأنا أرجو أن من كانت عنده نعمة لله تعالى في دينه أو دنياه وزالت، فنظر في هذا الكتاب نظرَ معتقد، وفمهمه، وعمل بما تضمَّنه بعد الاعتقاد، عادت إليه تلك النعمة أو خيرٌ منها، وزالَ همُّه بأجمعه، وانقلبَ فرحاً مسروراً. فمن شكَّ فليستعملْ هذا الدواء، لا على قصد التجربةِ والافتقاد، ونظرِ الاختبار والانتقاد، بل بحسن الظنِّ وجميل الاعتقاد، فإنه عند ذلك يظفر بغاية المراد.

= والمؤلف عالم مشهور. ولد بالقاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها. ونسبته إلى "سبك" من أعمال المنوفية بمصر. وكان طلق اللسان، قوي الحجة، انتهى إليه قضاء القضاة في الشام، وعزل.. وتعصب عليه شيوخ عصره، وجرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض مثله، كما يقول الحافظ ابن كثير. وله مصنفات عديدة، أشهرها: طبقات الشافعية الكبرى، وله أيضاً: جمع الجوامع في أصول الفقه، وعلق عليه بعنوان: منع الموانع. وله أشباه النظائر في الفقه الشافعي، وتوشيح التصحيح في أصول الفقه. توفي سنة ٧٧١هـ.

● قالوا: النعمة إذا شُكرت مَرَّتْ، وإذا كُفِرَت فرَّتْ.

وقيل: لا زوال للنعمة إذا شُكرت، ولا بقاءَ لها إذا كُفرت.

● عن أبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني قال: قال موسى عليه السلام يوم الطور: يا ربّ، إنْ أنا صلَّيتُ فمن قِبَلك، وأن أنا تصدَّقتُ فمن قِبلك، وإن أنا بلَّغتُ رسالتك فمن قِبلك، فكيف أشكرك؟

قال: يا موسى الآن شكرتني.

وفي لفظ: إذا عرفتَ أن النعمَ مني فقد رضيتُ بذلك منك شكراً.

● رُوي أن وفداً قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فقام شاب ليتكلم، فقال عمر: الكُبْر الكُبْر.

فقال: يا أمير المؤمنين، لو كان الأمر بالسنِّ لكان في المسلمين من هو أسنُّ منك. فقال: تكلم.

قال: لسنا وفدَ الرغبةِ ولا وفدَ الرهبة؛ أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك، وأما الرهبةُ فقد آمننا منها عدلك، وإنما نحن وفدُ الشكر، جئناكَ نشكرك باللسان.

● قال الإمام الشافعي: من ضيَّع حقَّ الله تعالى فهو لما

سواه أضيع.

● كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يُبرد البريدَ للسلام على قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم... فهل رأيتَ في زماننا ملكاً يفعل ذلك؟

● لا يحلُّ لساقٍ يؤمنُ بالله واليوم الآخر أن يُحضِرَ لمخدومه منكراً يشربه، وعليه إعمالُ الفكرة والحيلة في سدِّ هذا الباب، وإبعادهِ عن الأمير بقدر طاقته وقدرته، وله أن يكذب ويقول: لم أجد، أو ذهب، وما شاء في هذا الباب مما لا يخفَى على صاحبِ التقوى.

● قال الفضيل بن عياض رحمه الله: إني لأرحم ثلاثة: عزيزَ قومٍ ذلّ، وغنياً افتقر، وعالماً تلعَّبُ به الدنيا.

وأنشد بعضهم:

عجبتُ لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين أعجبُ!

● بعض العلماء يطلب العلم للدنيا، ويتردَّد إلى أبوابِ السلاطين والأمراء، فيحبُّ المناصب والجاه، ويزول صفاءُ قلبه، ويشتغلُ عن الازياد في العلم. فكم رأينا فقيهاً تردَّد إلى أبواب الملوك فذهبَ فقهه، ونسي ما كان يعلمه.. كما أن الأمراء يستحقرون العلماء المتردِّدين إليهم، فلا يزالون يعظِّمون الفقيه

حتى يسألهم في حوائجه...

- قال شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد:

يقولـون لي: هـلا نهضـتَ إلى العُـلا فمـا لـذَّ عـيشُ الصـابر المتقنِّـعِ
وهـلاّ شـددتَ العِـيسَ حـتى تَحُلَّهـا بمصـرَ إلى ظـلِّ الجنـاب المرفَّـعِ
ففيهـا مـن الأعيـان مَـنْ فـيضُ كفِّـه إذا شـاء روَّى سـيلُه كـلَّ بلقـعِ
وفيهـا قضـاةٌ لـيس يخفَـى علـيهمُ تعـينُ كـونَ العلـم غـير مضـيَّعِ
وفيهـا شـيوخُ الـدين والفضـل والأُلى يشـير إلـيهم بالعُـلا كـلُّ إصـبعِ
وفيهـا، وفيهـا، والمهانـةُ ذلـةٌ فقـم واسْـعَ واقصدْ بابَ رزقك واقـرعِ
فقلت: نعم أسعَى إذا شئتُ أن أُرَى ذلـيلاً مُهـاناً مسـتخفّاً بموضـعي
وأسـعَى إذا مـا لـذَّ لي طـولُ مـوقفي علـى باب محجـوبِ اللقـاء ممنَّـعِ
وأسـعَى إذا كـان النفـاقُ طـريقتي أروحُ وأغـدو في ثيـابِ التصـنُّعِ
وأسـعَى إذا لم يبـقَ فيَّ بقيَّـةٌ أراعـي بهـا حـقَّ التقَـى والتـورُّعِ

- أنشد بعضهم في قاضيين: عُزل أحدهما ووُلّي الآخر:

عنـدي حـديث طريـف بمثلـه يُتَعـنَّى
في قاضـيين يُعَـزَّى هـذا وهـذا يُهـنَّى
هـذا يقـول: أكرَهـونا وذا يقـول: اسـترحنا
ويكـذبان جميعـاً ومـن يصـدق منَّـا

- قال أبو علي الدقّاق: من استهان بأدبٍ من آداب

الإسلام عُوقب بحرمان السُّنَّة، ومن ترك سُنَّةً عوقبَ بحرمان الفريضة، ومن استهان بالفرائض قَيَّض الله له مبتدعاً يوقع عنده باطلاً، فيوقع في قلبه شُبهة.

● ذكر الزبير بن بكار أن بعض المتقعِّرين كتب إلى وكيلٍ له بناحية البصرة: احمل إلينا من الخوزج والكَنعد الممقورين، والأوزِّ المَمْهُوج، ولحمِ مها البيد ما يصلحُ للتشرير والقديد.

فكتب إليه وكيله: إن لم تكفَّ عن هذا الكلام بارت قريتك، فإن الفلاحين ينسبون من ينطق بهذه الألفاظ إلى الجنون!

(الخوزج والكنعد: ضربان من السمك. الممقور: المنقوع في الخلّ. الممهوج: المسترخي البطن. التشرير: اليبس).

● ابتاع تلميذٌ ليعقوب بن إسحاق الكندي جاريةً، فاعتاصت عليه، فشكا حالها إلى يعقوب، فقال له: جئني بها. فلما حضرت عنده قال لها: يا هذه اللغوية، ما هذه الاختياراتُ الدالاّت على الجهالات؟ أما علمتِ أن فرط الاعتياصاتِ من الموقفاتِ على طالبي الودّات، مؤذناتٌ بعدم المعقولات؟ فقالت الجارية حيَّاها الله وبيَّاها: أما علمتَ أن هذه العثنوناتِ المنتشراتِ على صدور ذوي الرقاعاتِ محتاجاتٌ إلى

المواسي الحالقات؟

فقال يعقوب: لله دَرُّها! لقد قسمت الكلام تقسيماً!

● يُحكى عن الشيخ ركن الدين بن القَوْبع أن شحّاذاً سأله وهو في الطريق، فأجابه: يفتح الله.

فقال: يا شيخ، قد فتح الله تعالى عليك، إذا جادت الدنيا عليك فجُد بها.

فوقف ابن القوبع فقال: ولِمَ قلت: إنها جادت عليَّ؟ وإن سلَّمنا أنها جادت فلِمَ قلت: إنه يجبُ عليَّ الجودُ بها؟ وإن سلَّمنا أنه يجب فلِمَ قلت: إني ما جدت، وما انحصرت القسمة فيك...

فهذا غلبت عليه المناظرة، فاستعملها مع حرفوش لا يدري ما يُقال له!

● قال بعضهم:

فر عون مالي وها مان الأُلى زعموا أني بخلتُ بما يعطيه قارونا

"فِرْ" فعل أمر من وفَر له العطية، ومنه: عطاء موفور. و"عونة" امرأة رخَّمها، فقال: "عون" . والمعنى: أعطِ عونةَ مالي. وأما "وها" فدعاء من وهَى يَهي: إذا ضعف. و"مان" جمع مانة: البطن، وهي أسفل السُّرَّة. يقول: ضَعُف مانُ الذين

زعموا أني بخلت. و"قارون": المفعول الثاني لـ"يعطيه"، والمفعول الأول: الهاء العائدة إلى ما الموصولة. وفاعل "يعطيه" مضمرٌ للعلم به، كأنه قال: يعطيه الله قارون.

● حُكي أن كنيسةً ببلاد الروم عُمِلَ في جدرانها الأربعة وسقفها وأرضها ستةُ حجارة من المغناطيس متساويةً في القَدْرِ، وجُعِلَ في هوائها صليبٌ من حديد بمقدار ما يتساوَى فيه جذبُ تلك الحجارة الستة، بحيث لا يغلب حجر منها بقيتها في الجذب، فلَزِمَ من ذلك وقوفُ الصليبِ في الهواء دائماً من غير آلةٍ تُمسكه ظاهراً. فافتُتن به قومٌ من النصارى!

● على الورّاق أن يرجِّح جانبَ مَن يعلم أنه يشتري الورقَ لكتابةِ كتب العلم، ويمتنع عن بيعه لمن يعرف أنه يكتبُ ما لا ينبغي من البدع والأهواء، ومن شهاداتِ الزور والمرافعات، وأنحاء ذلك. وكذا الناسخُ والمجلِّد.

● من حقِّ الصبَّاغ ألا يصبغ بمحرَّم. ولقد كثر منهم الصبغُ بالدماء، وذلك محرَّم. فإن صبغَ بالدم، وغُسل بعد ذلك، فذهبَ الريحُ والطعم، وبقي اللون، وعَسُرت إزالته، فالأصحُّ أنه لا يضرُّ.

● من حقِّ بوَّاب المدرسة والجامع ونحوهما المبيتُ بقرب

الباب، بحيث يسمعُ من يطرق عليه، والفتحُ لساكنٍ في المكان أو قاصدٍ مقصداً دينياً، من صلاةٍ أو اشتغالٍ أيَّ وقت جاء من أوقاتِ الليل. وما يفعله بعض البوَّابين من غلق الباب في وقت معلومٍ من الليل، إما بعد صلاة العشاء الآخرة، أو في وقتٍ آخر بحيث إذا جاء أحدُ السكان أو المريدين للصلاة بعده لا يفتح له، غيرُ جائز؛ إلّا أن تكون مدرسة شَرَط واقفُها ألّا يفتح بابها إلا في وقتٍ معلوم. وفي صحة مثل هذا الشرط نظرٌ واحتمال. وأمَّا لو شرطه في مسجد أو جامعٍ فواضحٌ أنه لا يصحُّ.

● إذا علمت أن زوال نعمة عنك كان بسبب منك، وأيقنتَ به، فهمتَ أن الحقَّ تعالى عادلٌ فيك، غيرُ ظالمٍ لك، بل محسِنٌ إليك، أسداك نعمةً بلا استحقاق، فما رعيتها حقَّ رعايتها، فزوَاها عنك. فعليك شكر تلك الأيام التي كنت متلبساً بها فيها، والاستغفارَ من تفريطك. أرأيت رجلاً أجلسك في داره يُطعمك ويسقيك عشرة أيام، ثم قال لك: انصرف، أيكون مسيئاً إليكَ أم محسناً؟ إن قلت: مسيئاً إليكَ فأنت مجنون؛ فإنه لم يكن عليه حقٌّ لك، وقد أحسنَ إليك هذه المدَّة. فبأي طريق يجبُ عليه أن يُديمها؟ وإن قلت: يكون محسناً، وقد أزالها بلا سبب، فما ظنُّك بربٍّ لا يُزيل النعمة إلا

بسبب منك! ألستَ أنت الظالم!

حُكي أن ملكاً مات له ولد، فأفحش في إظهار الحزن عليه، والتسخُّطِ بسبب ما أصابه، فأتاه آت، فقال: أيها الملك، إن لي صاحباً أودعني جوهرة، فكانت عندي مرة، أتلذَّذ برؤيتها. ثم إنه استرجعها، وأنا أسألك طلبه، وإلزامه بإعادة الإيداع! فقال له: كيف أُلزمه بأن يودعَ ماله عندك؛ فقال له: فالله أودعَ عندك ولداً لك هذه المدة ثم استردَّه، فلِمَ هذا التسخط؟

فانشرح صدرُ الملك، ورفعَ العزاء.

* * *

المنتقى من أخبار الأصمعي[1]

لضياء الدين المقدسي

قال أعرابيٌّ لرجل: اشكرِ المنعمَ عليك، وأنْعِمْ على الشاكرِ لك، تستوجبْ من ربِّك زيادتَهُ، ومن أخيكَ مناصحته.

---

(١) المنتقى من أخبار الأصمعي للربعي/ انتقاء ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي؛ تحقيق محمد مطيع الحافظ. – دمشق: دار طلاس، ١٤٠٧هـ، ٢٠٠ص.

أصل الكتاب "أخبار الأصمعي" لأبي محمد عبد الله بن أحمد الربعي (ت ٣٢٩هـ) للربعي، وقد رأى الحافظ المقدسي أن ينتقي أخباره على طريقة المحدِّثين في انتقائهم الكتب، والمحدِّثون عادة يفعلون ذلك إما اختصاراً للأخبار المتكررة بأسانيد مختلفة، فيكون الانتقاء للخبر الأصح أو الأوثق أو الأوسع، وإما اختصاراً للأسانيد ذاتها.. كما قال المحقق.

والكتاب سِفر أدبي جامع، يطلعنا على علم الأصمعي وموسوعيته ومقدرته الفائقة في نقل اللغة والأدب وعلوم العربية.. ففيه اللغة المنقولة عن الأعراب وغيرهم، وفيه الأخبار الأدبية اللطيفة الشيقة الممتعة، والأدب الرفيع، والأخبار التاريخية: أخبار الخلفاء والأمراء والقواد والعلماء، وفيه تفسير آيات من القرآن الكريم، وإيضاح لجوانب من غريب الحديث..

والأصمعي (عبد الملك بن قريب) بحر في الروايات والأخبار، وهو راوية للشعر ناقد له، باحث في علم الجغرافيا وكتب البلدان، قارئ، مؤرِّخ، لغوي، أديب، ظريف.. يقول هو عن نفسه: "وصلتُ بالعلم، وكسبتُ بالمُلَح". وكان ديّناً صحيح العقيدة. درَّس وناظر وصنَّف عشرات الكتب. ومات سنة ٢١٧هـ بعد أن عمر ٩٤ عاماً.==

● تقدَّم رجلان إلى قاضي البصرة عُبيدالله بن الحسن

العنبري، فشهدا عنده على إعدام رجل (أي فقره)، فقال: تشهدان أنه مُعدمٌ مُفْقِع؟

فقالا: أصلح الله القاضي، شهدنا بما علمنا، فما المفقع؟

فقال: المفقعُ أجيرُ المعدم.

فقالا: نشهد أنه مُعدم مفقع مفاقيع متفقع!

● أسلم أعرابيٌّ في أيام عمر بن الخطاب، فجعل عمر يعلِّمه الصلاة فيقول: صلِّ الظهر أربعاً، والعصرَ أربعاً، والمغربَ ثلاثاً، والعشاء أربعاً، والصبحَ ركعتين. فلا يحفظ. ويعيدُ عليه فلا يحفظ، بل يجعل الأربع ثلاثاً، والثلاثَ أربعاً!

● فضجر عمر ثم قال: إن الأعراب أحفظُ شيء للشعر، فقال:

= والحافظ ضياء الدين المقدسي من دمشق، رحل في طلب العلم طويلاً، وجاهد مع إخوان له ضد الصليبيين مع السلطان صلاح الدين الأيوبي، وكانوا يواصلون طلب العلم مع جهادهم.. جمع علوم الحديث والفقه الحنبلي وطرفاً من الأدب، وكثيراً من التفسير واللغة، وأكبَّ على التصنيف ونشر السنَّة وعلومها، وبنى مدرسته "دار الحديث الضيائية" وأنشأ داخلها مكتبة عامرة. ت ٦٤٣هـ.

إن الصـــلاةَ أربـــعٌ وأربـــعُ ثمّ ثـــلاثٌ بعـــدهنَّ أربـــعُ

أحفظت؟ قال: نعم. قال: الحقْ بأهلك.

● الجرادةُ تطلق على الذكر والأنثى من الجراد، كما يقال: بطَّة وحيَّة.

● أسلفَ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الزبيرَ بن العوام ألفَ ألفِ درهم. فلما توفي الزبيرُ، قال ابنُ الزبير لعبدالله بن جعفر: إني وجدتُ في كتبِ أبي أن له عليك ألفَ ألفِ درهم.

فقال: هو صادق، فاقبضها إذا شئتَ!

ثم لقيه بعد فقال: يا ابن جعفر، إنما وهمتُ، المالُ لك عليه!

قال: فهو له!

قال: لا أريد ذاك.

قال: فاختر: إن شئت فهو له، وإن كرهتَ ذلك فلك فيه نَظِرة ما شئت، فإن لم تُرد ذلك فبعني من ماله ما شئت...

● مرَّ أعرابي بمجلسٍ من مجالس بني حنيفة، فسلَّم عليهم وانطلق، ثم عاد والهمُّ ظاهرٌ في وجهه، فقال لهم: إني قد سئمتُ لتكرارِ الليالي والأيام ودوْرِها عليَّ، فهل من شيء يُسلي عني

بعضَ ما أجد؟

فقال له بعضُهم: الصبرُ الجميلُ، ومدافعةُ الأزمان!

فولَّى غير بعيد، ثم عاد، فأقبل عليهم فقال: واهاً لقلوبٍ نقيةٍ من الآثام، واهاً لجوارح مسارعةٍ إلى طاعة الرحمن، واهاً لظهورٍ خفيفة من الأوزار، أولئك الذين لم يملُّوا الدنيا لتوسُّلهم فيها إلى ربِّهم بالطاعة، ولم يَكرَهوا الموتَ عند نزوله بهم لما يرجونَ في لقاء سيِّدهم من الزُّلفة، فكلا الحالتين لهم حالٌ حسنة، إن قَدِموا على الآخرة فازوا بما أسلفوا من الطاعة، وإن تطاولتْ أعمارُهم تضاعفَ ما يقدِّمونه من الزاد يوم الراحة، فرحم الله امرءاً أعتقَ نفسَه ولم يُهلكها. ثم انصرف.

قال: ومرَّ بهم يوماً آخر فقال: السلام عليكم أيها الإخوان، ما بالُ القوم حطُّوا رِكابهم في غير منهلهم؟! أترونهم يَبْلُغون سفراً بعيداً يريدونه وهم مقيمون دونه مقصِّرون عن التأهُّب له؟ هيهات، أنَّى لهم ذلك؟!

قال: ومرَّ بهم يوماً فقال: أيها الإخوان، ما ظنُّكم بمن لم يجعل هذه الدار له قراراً وهو عالمٌ بذلك، ثم يستقرُّ فيها حتى كأنه واثقٌ بأنه غيرُ راحل عنها ولا زائل؟! أَوَليس قد قرأتم في القرآن: ↓ 🕮❐▫♦❷◆↗♦◆③⬀❁💣 ♌⃠❶

♦×✓♑☪⬁♉ ⇔⚐←♍🕓☐✡⬀➔✸☝☐✍

قال: ثم غاب عنَّا؛ فما رأيناه حيناً. فسألنا عنه فقيل: قَتَلَهُ الخوفُ!

● قال ابن أبي الزناد: إني ما رأيتُ الفقهاء عن شيء أنكلَ منهم عن تفسير القرآن[٢].

● رأى الحسنُ بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في المنام أنه مكتوب بين عينيه: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)، ففرح بذلك!

فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: إن كان رأى هذه الرؤيا فقلَّ ما بقي من أجله.

قال: فلم يلبث الحسنُ بعدها إلا أياماً حتى مات!

● قال رؤية بن العجاج: أتيت النّسّاب البكري[٣] فقال:

---

(١) سورة الشعراء, الآيات ٢٠٥ – ٢٠٧.

(٢) نكل عن الشيء: ابتعد عنه. أي لعلمهم وخوفهم من ذلك.

(٣) رؤية راجز من الفصحاء المشهورين. ت ١٤٥هـ. والنسابة البكري كان نصرانياً.

من أنت؟ قلت: ابنُ العجّاج.

قال: قصَّرتَ وعرَّفتَ؛ لعلك كقومٍ يأتوني، إن سكتُّ عنهم لم يسألوني، وإن حدثتُهم لم يعوا عني!

قلت: أرجو أن لا أكون كذاك.

قال: فما أعداءُ المروءة؟

قلت: تخبرني.

قال: بنو عمِّ سوءٍ، إن رأوا صالحاً دفنوه، وإن رأوا شراً أذاعوه.

ثم قال: إن للعلم آفةً ونكداً وهُجنَةً. فآفتُه نسيانُه، ونكَده الكذبُ فيه، وهجنتُه نشرُه في غير أهله...

● اجتمع عدةٌ من الشعراء، منهم حميد بن ثور الهلالي، ومزاحم العقيلي، والعجير السلولي، فقالوا: ائتوا بنا منزل يزيد بن الطثرية[1] نتهكَّم به.

فأتوه، فلم يكن في منزله. فخرجت صبيَّةٌ له تَدْرُجُ، فقالت: ما أردتُم؟

قالوا: أباكِ.

---

(١) من شعراء الدولة الأموية.

قالت: وما تريدون منه؟

قالوا: أردنا أن نتهكمه!

فنظرت في وجوههم ثم قالت:

تجمَّعتم في كلِّ أفقٍ وجانبِ على واحدٍ لا زلتمُ قِرْنَ واحدِ[1]

● رأى رجلٌ في المنام جريراً الشاعر فقال: ما فعل بك ربُّك!؟

قال: غفر لي.

قال: بماذا؟

قال: بتكبيرةٍ كبَّرتها لله عزَّ وجلَّ على ظهر ماءٍ بالبادية!

فقلت: ما فعل أخوك الفرزدق؟

قال: ايهاه! أهلكه قذفُ المحصَنات!

قال الأصمعي: لم يَدَعْهُ في الحياة ولا في الممات!

● كتب هشام بن عبدالله بن مروان إلى أبيه عبدالملك: يا أمير المؤمنين، إنه حدثَتْ في ابنك خصال ثلاث: يصعدُ المنبرَ فلا يستطيع الخطبة، وتوضعُ المائدة بين يديه فلا ينالُ منها إلا اليسير، وفي مقرّه مائةُ جارية لا يكاد يصلُ إلى كبيرِ شيء

(١) القِرْن: المثيل في الشجاعة والشدة.

منهن!

فكتب إليه عبد الملك: أما قولك إنك تصعد المنبر فلا تستطع الخطبة، فإذا صعدتَ فارمِ بطرْفك إلى مواخير[1] الناس، فإنه يهونُ عليك مَن بين يديك.

وأما قولك في الطعام فمرِ الخبّاز أن يستكثر من الألوان، فإنه لا يعدمُك من كل لونْ لقمة.

وأما قولك في الجواري، فعليك بكل بيضاء بضَّةٍ وحسب!

● قال رجلٌ من بني عدي: أتيتُ العلاء بنَ زياد، فذكرتُ له وسوسةً أجدها في صدري، فقال: إنما مَثَلُ ذلك مَثَلُ البيت الذي تَطرُقه اللصوص، فإن كان فيه شيء عالجوه، وإلا مضَوا وتركوه، فكذلك قلبُ المؤمن، إنما يَعْرِضُ له الشيطانُ إذا كانا فيه خير.

● قال خالد بن صفوان: ليس شيء أحسنَ من المعروفِ إلا ثوابُه، وليس كلُّ مَنْ أمكنه أن يصنعه تكونُ له فيه نيّة، وليس كلُّ من تكونُ له فيه نيَّةٌ يؤذن له فيه. فإذا اجتمعت النيةُ والإمكان والإذن؛ فقد تمت السعادة.

---

(١) جمع مؤخرة.

● كان محمد بن مروان بن الحكم الأموي[1] قوياً في بدنه، شديدَ البأس، فكان عبد الملك يحسدهُ على ذلك، وعلى أشياء كان لا يزالُ يراها منه، وكان يداريه ويساتره حتى قُتل مصعب بن الزبير وانتظمت له الأمور، فجعل يُبدي له الشيء بعد الشيء مما في نفسه، ويقابله بما يكره من القول، ويبلغُه عنه أكثرَ من ذلك.

فلما رأى محمد ما أظهره له عبدالملك، تهيأ للرحيل إلى أرمينية، وأصلحَ شأنه وجهازَه، ورحلت إبله، حتى إذا استقلَّت للمسير دخلَ على عبد الملك مودِّعاً، فلما خاطبه قال عبدالملك: وما السبب في ذلك؟ وما الذي بعثك عليه؟

فأنشأ يقول:

وإنـــك لا تـــرى طـــرداً لحـــرٍّ كإلصـــاقٍ بـــه بعـــضَ الهـــوانِ
فلـــو كنـــا بمنزلـــةٍ جميعـــاً جَرَيْـتَ وأنـت مُضْـطَرَبُ العِنـانِ

فقال له عبدالملك: أقسمتُ عليك إلا ما أقمتَ، فوالله لا رأيتَ مكروهاً بعدها. فأقام!

(١) أمير, من الشجعان الأبطال. كان والي الموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان. اشتهر بقوة البأس, حتى كان أخوه الخليفة عبد الملك يحسده على ذلك. له وقائع وحروب مع الروم. وهو والد "مروان" آخر ملوك بني أمية. ت ١٠١هـ.

● قال شعيب بن درهم: كان هذا المكان – وأومأ إلى مجرى الدموع من خدَّيه – من خدَّي ابن عباس، مثل الشِّراك البالي. يعني من كثرة البكاء!

● أمر عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بمال ومتاع كثير لنُصيب الشاعر – وكان عبداً أسود –، فقالوا له: كلُّ هذا للأسود؟

فقال: إنما هي رواحلُ تنضَى[1]، وثيابٌ تبلَى، وطعامٌ يَفنَى، وثناءٌ يبقَى.

● قال الأصمعي: ما كان أعجب الحجّاج، ما ترك إلا ثلاثمائة درهم!

● أولُ من أذَّن بلال، وأول من ابتنَى مسجداً يُصلَّى فيه عمَّارُ بن ياسر، وأول من رمَى بسهم في سبيل الله سعدُ بن أبي وقاص، وأول من تغنَّى بالحجاز المصطلقُ من خزاعة، وإنما سمِّي المصطلق لحسن صوته!

* * *

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

---

(١) أي تبلى.